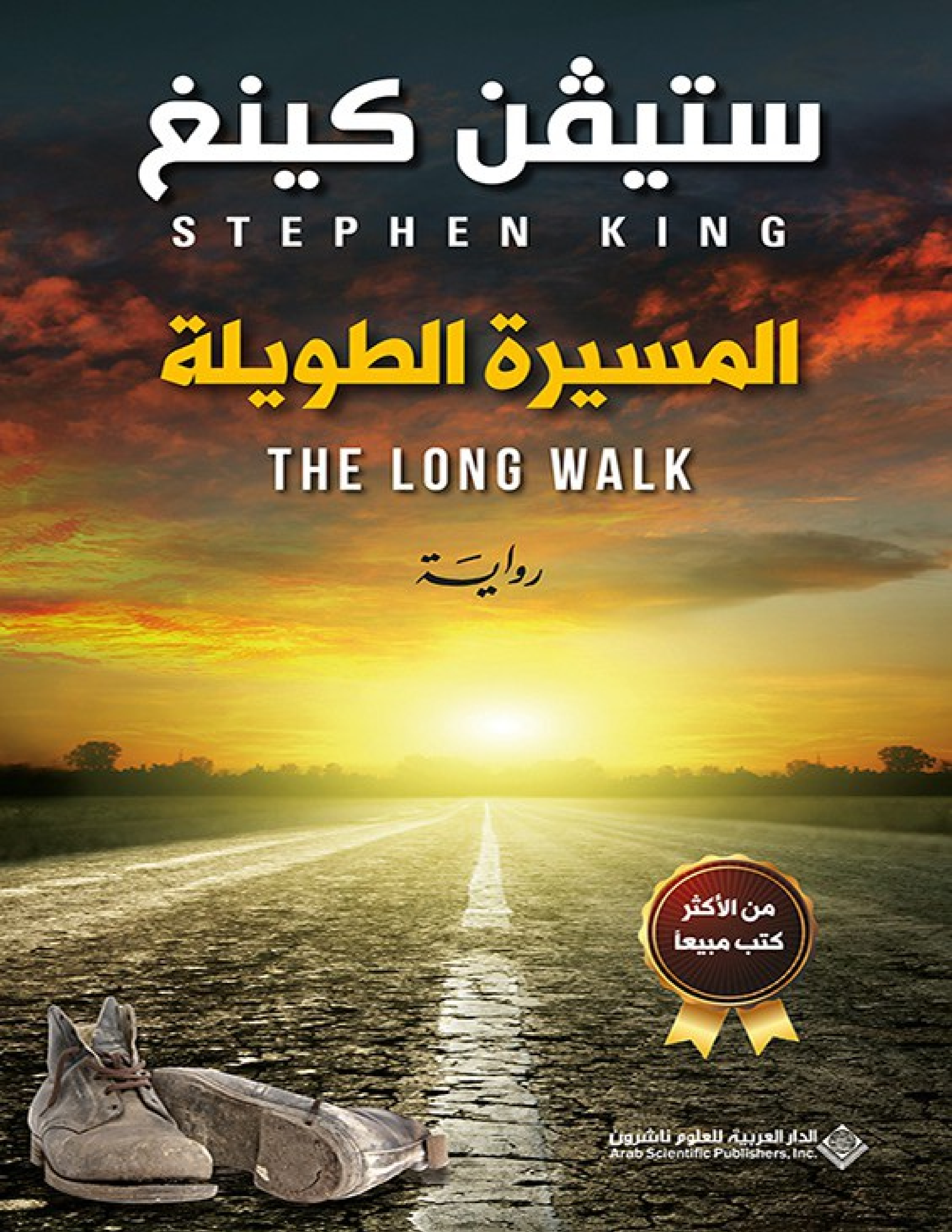

ستيفن كينغ
STEPHEN KING
المسيرة الطويلة
THE LONG WALK
رواية
من الأكثر
كتب مبيعاً
الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

المسيرة الطويلة
THE LONG WALK

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

المسيرة الطويلة

YHE LONG WALK

ترجمة

اوليغ عوكي

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بسم الله الرحمن الرحيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

The Long Walk

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2018 م

ردمك 978-614-02-3428-4

عين التينة ، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الانترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)

الطباعة : **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

فقط الموت يستطيع أن يمنعك من الوصول
إلى خط النهاية – في المنافسة الـمُطلقة
في المستقبل القريب جداً...

المسيرة الطويلة

كل سنة، في اليوم الأول من شهر مايو، يلتقي مئة فتى مراهق للمشاركة في حدث معروف في كل أنحاء الدولة تحت اسم "المسيرة الطويلة". وبين المحصول الـمُختار لهذه السنة راي غارّاتي البالغ السادسة عشرة من عمره. إنه يعرف القواعد: أن التحذيرات تصدُر إذا أبطأ تحت السرعة المسموحة، إذا تعثَّر، إذا جلس. أنه بعد ثلاثة تحذيرات... يحصل على بطاقة. وما يجري عندها يخدم كتذكير مروِّع إلى أنه لا يمكن أن يكون هناك سوى فائز واحد في المسيرة – الشخص الذي يصمد...

الجزء الأول
الانطلاق

الفصل 1

"قل كلمة السر واربح مئة دولار.

جورج، مَن هم أول متسابِقينا؟

جورج...؟ هل تسمعني، جورج؟"

– غروتشو ماركس
البرنامج التلفزيوني You Bet Your Life

توقفت سيارة فورد زرقاء قديمة في مرأب السيارات المحروس في ذلك الصباح، وبدت مثل كلب صغير مُتعَب بعد ركض شاق. طلب أحد الحراس، وكان شاباً ذا وجه خالٍ من أي تعبير ويرتدي زيّاً موحَّداً كاكياً وحزاماً يلتفّ قطرياً فوق الكتف اليمنى، رؤية بطاقة الهوية البلاستيكية الزرقاء. سلَّمها الفتى الجالس على المقعد الخلفي إلى أمه. وسلَّمتها أمه إلى الحارس. أخذها الحارس إلى كمبيوتر بدا غريباً ولا ينتمي إلى السكون الريفي. أكلَ الكمبيوتر البطاقة وعرضَ التالي على شاشته:

غارّاتي ريموند دايفس

الطريق 1 باونال ماين

مقاطعة أندروسكوغن

رقم الهوية 89-801-49

مقبول – مقبول– مقبول

ضغط الحارس زراً آخر واختفى كل هذا، تاركاً شاشة الكمبيوتر ناعمة وخضراء وفارغة مرة أخرى. لوَّح لهما بالتقدّم.

"ألا يعيدون البطاقة؟"، سألت السيدة غارّاتي. "ألا-".

"لا يا أمي"، قال غارّاتي بصبر.

"حسناً، لا يعجبني هذا"، قالت، وقادت السيارة إلى الأمام نحو مساحة فارغة. كانت تقول ذلك منذ أن انطلقا في الظلمة عند الثانية صباحاً. كانت تقوله بأنين، في الواقع.

"لا تقلقي"، قال من دون أن يسمع نفسه. فقد كان مشغولاً بالنظر بتوقّعه المرتبك وخوفه. خرج من السيارة تقريباً قبل أن يلفظ المحرّك المصاب بالرَّبو آخر أنفاسه – فتى طويل قوي البنية يرتدي سترة جيش باهتة في برد الربيع للساعة الثامنة.

كانت أمه طويلة أيضاً، لكنها نحيلة أيضاً. كان صدرها غير موجود تقريباً: مجرد نتوءان دلاليان. كانت عيناها هائمتين وغير أكيدتين، مصدومتين بطريقة أو بأخرى. كان وجهها مريضاً. وشعرها الحديدي اللون أصبح موروباً تحت تعقيد اللقطات التي كان يُفترَض بها أن تبقيه متماسكاً في مكانه. وفستانها يتدلّى بشكل سيئ على جسمها كما لو أنها فقدت الكثير من وزنها مؤخراً.

"راي"، قالت بذلك الصوت الهامس المتآمر الذي أصبح يخافه. "راي، اسمع-".

حنى رأسه وتظاهر أنه يرتّب قميصه. كان أحد الحراس يأكل طعاماً من إحدى المعلبات ويقرأ كتاباً هزلياً. راقَبه غارّاتي يأكل ويقرأ وفكَّر للمرة العشرة آلاف: كل هذا حقيقي. والآن، أخيراً، بدأت الفكرة تكتسب بعض الثقل.

"لا يزال هناك وقت لتغيِّر رأيك-".

ازداد منسوب الخوف والتوقّع قليلاً.

"لا، ليس هناك وقت لذلك"، قال. "كان آخر موعد للانسحاب البارحة".

أيضاً بذلك الصوت المتآمر المنخفض الذي يكرهه: "سيتفهمّون، أعرف أنهم سيتفهمّون. الرائد-".

"الرائد سوف–"، بدأ غارّاتي يقول، ورأى أمه تجفل. "أنت تعرفين ما الذي سيفعله الرائد يا أمي".

كانت سيارةٌ أخرى قد أنهت التدابير الصغيرةِ عند البوابة وركنت. خرَج منها فتى ذو شعر داكن. تبِعه والداه ووَقَف ثلاثتهم للحظات في حلقة كما لو أنهم لاعبو بيسبول قلقون. كان الفتى، مثل بعض الفتيان الآخرين، يحمل حقيبة ظهر خفيفة. تساءل غارّاتي لو أنه لم يكن غبياً قليلاً بعدم إحضاره واحدة بنفسه.

"ألن تغيّر رأيك؟".

كان ذنباً، ذنباً يتمظهر على شكل قلق. رغم أنه كان في السادسة عشرة فقط، إلا أن راي غارّاتي يعرِف شيئاً عن الذنب. فقد شعَرت أنها جافة جداً، مُتعَبة جداً، أو ربما فقط منهمكة جداً بأحزانها القديمة لكي توقف جنون إبنها في مراحله الأولى – أن توقِفه قبل أن تتولى الآلات الثقيلة للدولة بحراسها ذوي الملابس الكاكية وكمبيوتراتهم الغريبة زمام الأمور، ويربط نفسه بشكل محكم أكثر بذهنيتها العديمة الحس مع مرور كل يوم، حتى البارحة، عندما أُطبق الغطاء بدويّ نهائي.

وَضَع يداً على كتفها. "هذه فكرتي يا أمي. أعرف أنها لم تكن فكرتك. أنا–". وألقى نظرة سريعة حوله. لم يكن أحد يعيرهما أي اهتمام. "أحبك، لكن هذه هي أفضل طريقة، بشكل أو بآخر".

"لا ليست أفضل طريقة"، قالت، وقد أصبحت الآن على وشك البكاء. "راي، هذه ليست أفضل طريقة، لو كان أبوك هنا، لكان منعك من–".

"حسناً، أبي ليس هنا، أليس كذلك؟" كان صارماً، ويأمل أن يتجنّب دموعها... ماذا لو اضطروا إلى سحبها؟ لقد سمع أن ذلك يحصل أحياناً. الفكرة جَعَلت جسمه يقشعر. فقال بصوت أنعم، "انسي الأمر الآن يا أمي. اتفقنا؟". وأجبَر نفسه على الابتسام. "اتفقنا"، أجاب عنها.

كان ذقنها لا يزال يرتعش، لكنها أومأت برأسها. لا لم نتفق، لكن فات الأوان. لم يكن هناك شيء يستطيع أي شخص القيام به.

هبّت رياح خفيفة في أشجار الصنوبر. كانت السماء زرقاء نقية. والطريق أمامه مباشرةً والعمود الحجري البسيط الذي يحدِّد الحدود بين أميركا وكندا. فجأة أصبح توقّعه أكبر من خوفه، وأراد أن يبدأ بمشروعه على الطريق.

"لقد صنعتُ هذه. يمكنك أخذها، أليس كذلك؟ ليست ثقيلة جداً، صح؟". ودفعت نحوه حزمة

كعكات ملفوفة بورق ألمنيوم.

"بلى". أخذها ثم أمسَك بأمه بشكل غريب، محاولاً إعطاءها ما كانت تحتاج إليه. قبَّل خدها. كانت بشرتها مثل حرير قديم. للحظة كان يمكنه أن يبكي بنفسه. ثم تذكّر وجه الرائد المبتسم ذا الشارب وخطا خطوة إلى الوراء، وحشرَ الكعكات في جيب سترته.

"وداعاً يا أمي".

"وداعاً راي. كن فتىً مؤدَّباً".

وَقَفت هناك للحظة وشعرَ أنها خفيفة جداً، كما لو أن النسيم الخفيف الذي يهبّ هذا الصباح قد يجعلها تطير في الهواء. ثم عادت إلى السيارة وشغّلت المحرّك. بقي غارّاتي واقفاً هناك. رفعت يدها ولوَّحت له. كانت الدموع تنهمر الآن. يمكنه رؤيتها. لوَّح لها بدوره ثم عندما ابتعدت بقي يقف هناك واضعاً ذراعيه بجانب جسمه، مُدركاً كم يبدو جيداً وشجاعاً ووحيداً. لكن عندما مرّت السيارة بجانب البوابة، أصابه البؤس وعاد مجرد فتى في السادسة عشرة من عمره، وحيداً في مكان غريب.

استدار نحو الطريق. كان الفتى الآخر، ذو الشعر الداكن، يراقب والديه يغادران. كانت لديه ندبة سيئة على أحد خدّيه. سار غارّاتي نحوه وسلَّم عليه.

رمقَهُ الفتى الداكن الشعر. "مرحبا".

"أنا راي غارّاتي"، قال، شاعراً ببعض الحقارة.

"أنا بيتر ماكفريز".

"هل أنت جاهز؟"، سأل غارّاتي.

هزَّ ماكفريز كتفيه. "أشعر بالتوتر. وهذا أسوأ شيء".

أومأ غارّاتي برأسه.

سار الاثنان نحو الطريق والعلامة الحجرية. خلفهما، كانت هناك سيارات أخرى تغادر. بدأت امرأة تصرخ فجأة. اقترب غارّاتي وماكفريز من بعضهما عن غير إدراك. كلاهما لم يلتفتا إلى الوراء. كان الطريق أمامهما، عريضاً وأسود.

"هذا السطح سيصبح حاراً عند الظهر"، قال ماكفريز فجأة. "سألتزم بحافة الطريق".

أومأ غارّاتي برأسه. ونَظَر ماكفريز إليه بتبصّر.

"كم وزنك؟".

"اثنان وسبعون".

"أنا خمسة وسبعون. يقولون إن الشباب الأثقل وزناً يتعبون بشكل أسرع، لكنني أعتقد أنني بصحة جيدة".

بالنسبة لغارّاتي، بدا بيتر ماكفريز أكثر من ذلك – بدا بصحة رائعة. تساءل مَن الذي قال إن الشباب الأثقل وزناً يتعبون بشكل أسرع، وكاد يسأله، لكنه عدل عن رأيه. كانت المسيرة أحد تلك الأشياء التي تثير حولها زوبعة من الطلاسم والأساطير.

جلَس ماكفريز في الظل بالقرب من فتيَين آخرَين، وبعد لحظة، جلَس غارّاتي بجانبه. بدا ماكفريز أنه نسي أمره كلياً. نَظَر غارّاتي إلى ساعته. كانت الثامنة وخمس دقائق. خمس وخمسون دقيقة للانطلاق. عاد شعوره بنفاد الصبر والتوقّع، وبذل قصارى جهده ليقمعه، قائلاً لنفسه بأن يستمتع بالجلوس بينما يستطيع ذلك.

كان كل الفتيان جالسين. كانوا يجلسون في مجموعات وفرادى؛ وقد تسلَّق أحد الفتيان أدنى غصن في شجرة صنوبر تطلّ على الطريق وكان يأكل ما بدا شطيرة هلام. كان نحيلاً وأشقر، ويرتدي بنطلوناً أرجوانياً وقميصاً قطنياً رقيقاً أزرق تحت كنزة خضراء قديمة ذات سحّاب مع فجوات عند الـمَرفقين. تساءل غارّاتي إن كان الفتيان النحيلين سيصمدون أو ينهارون بسرعة.

كان الفتَيان اللذان جلس وماكفريز بجانبهما يتكلمان.

"لن أُسرِع"، قال أحدهما. "لماذا عليَّ أن أُسرِع؟ وما الضرر إذا نلتُ تحذيراً؟ أعدِّل سرعتي فحسب، هذا كل شيء. التعديل هو مفتاح الحل هنا. تذكّر أين سمِعته لأول مرة".

نظر حوله واكتشف غارّاتي وماكفريز.

"مزيد من الحُملان للذبح. هانك أولسون إسمي. والسير مهارتي". قال هذا من دون أثر لأي ابتسامة أبداً.

عرَّف غارّاتي عن إسمه. وقال ماكفريز إسمه بذهن شارد، وكان لا يزال ينظر نحو الطريق.

"أنا آرت بايكر"، قال الآخر بهدوء. تكلَّم بلكنة جنوبية خفيفة جداً. وتصافح أربعتهم.

مرّت لحظة صمت، ثم قال ماكفريز، "مخيف قليلاً، أليس كذلك؟".

أومأوا كلهم برؤوسهم ما عدا هانك أولسون، الذي هزّ كتفيه وابتسم. راقَب غارّاتي الفتى الجالس على شجرة الصنوبر يُنهي شطيرته، ويكوِّر الورقة المشمَّعة التي كانت فيها، ويقذفها إلى حافة الطريق. سينهار باكراً، قال لنفسه. جَعَله هذا يشعر بتحسّن قليل.

"هل ترى تلك البقعة بجانب عمود العلامة؟"، قال أولسون فجأة.

نظرَ الجميع. كان النسيم يرسم ظلالاً متحركةً على الطريق. لم يعرف غارّاتي إن كان قد رأى أي شيء أم لا.

"هذه من المسيرة الطويلة في السنة قبل الماضية"، قال أولسون برضى متجهّم. "كان الولد خائفاً جداً لدرجة أنه تجمَّد في أرضه عند الساعة التاسعة".

فكَّروا بمقدار ذلك الرعب بصمت.

"لم يستطع أن يتحرّك. نال تحذيراته الثلاثة ثم عند الساعة 9:02 صباحاً أعطوه بطاقته. هناك عند عمود الانطلاق تماماً".

تساءل غارّاتي إن كانت رجلاه ستتجمَّدان. لم يعتقد ذلك، لكنه كان من الأمور التي لن تكون متيقناً منها إلى أن يحين الوقت، وكانت فكرة فظيعة. تساءل لماذا أراد هانك أولسون ذكر هكذا شيء فظيع.

استوى آرت بايكر جالساً فجأة. "ها هو آتٍ".

سار جيبٌ قاتم اللون حتى العلامة الحجرية وتوقف. وتبعته مركبة غريبة تسير بشكل أبطأ بكثير. كانت هناك أطباق رادار صغيرة مركَّبة على مقدمة هذه العربة نصف المجنزَرة ومؤخرتها. وكان جنديان يسترخيان على ظهر المركبة، وشعَر غارّاتي بقشعريرة في بطنه عندما نَظَر إليها. كانا يحملان بندقيتين قصيرتين عسكريتين من العيار الثقيل.

نهض بعض الفتيان، لكن غارّاتي لم ينهض. كما لم ينهض أولسون أو بايكر، وبعد نظرته الأولية، بدا أن ماكفريز عاد وغاص في أفكاره. كان الولد النحيل على شجرة الصنوبر يلوِّح قدميه بخمول.

نزل الرائد من الجيب. كان رجلاً طويلاً وسحنته السمراء الداكنة من الصحراء تتلائم جيداً مع سرواله الكاكيّ اللون. كان هناك مسدس معلّقٌ بحزامه الذي يلتفّ قطرياً فوق الكتف اليمنى، وكان يرتدي نظارات شمسية عاكسة. كان يُشاع أن عيني الرائد حسّاستان جداً من الضوء، ولم يره أحدٌ أبداً من دون نظاراته الشمسية علناً.

"اجلسوا يا فتيان"، قال. "تذكّروا دائماً النصيحة الثالثة عشرة". النصيحة الثالثة عشرة كانت "ادّخر الطاقة كلما أمكن".

جلس أولئك الذين كانوا قد وقفوا. نَظَر غارّاتي إلى ساعته مرة أخرى. كانت 8:16، وقرَّر أنها متقدمة بمقدار دقيقة. فقد كان الرائد يصل على الوقت دائماً. فكّر للحظة بإعادة العقرب مقدار دقيقة ثم تجاهل الأمر.

"لن ألقي خطاباً"، قال الرائد وهو ينظر إليهم جميعاً بالعدسات الجوفاء التي كانت تغطي عينيه. "أهنّئ الفائزين في مجموعتكم، وأحيّي شجاعة الخاسرين".

استدار إلى الجهة الخلفية للجيب. كان هناك صمت حيّ. تنشَّق غارّاتي هواء الربيع عميقاً. سيكون الجو دافئاً. يوم جيد للسير.

عاد الرائد إليهم. كان يحمل حافظةً. "عندما أنادي كل إسم، أرجو منه أن يتقدَّم ويأخذ رقمه. ثم يعود إلى مكانه إلى أن يحين وقت الانطلاق. افعلوا هذا بذكاء، رجاءً".

"أنتم في الجيش الآن"، همَس أولسون مبتسماً، لكن غارّاتي تجاهَله. لا يمكنك إلا إبداء إعجابك بالرائد. كان والد غارّاتي، قبل أن تُبعده الفِرق، مولَعاً بالقول إن الرائد أندَر وأخطر وحش تستطيع أي دولة إنتاجه، شخص مضطرب اجتماعياً مدعوم من المجتمع. لكنه لم ير الرائد شخصياً أبداً.

"آرونسون".

ترنّح فتى مزرعة قصير ومكتنز ذو عنق محترق من الشمس إلى الأمام، من الواضح أنه كان مرتعباً من حضور الرائد، وأخذ قطعته البلاستيكية الكبيرة ذات الرقم 1. علَّقها على قميصه بواسطة شريط الضغط وربَّت له الرائد على ظهره.

"أبراهام".

كان فتى طويلاً ذا شعر ضارب إلى الحُمرة ويرتدي سروال جينز وقميصاً تائياً. كانت سترته معقودة عند خصره على طريقة الطلاب وتلوح بعنف حول رُكبتيه. ضَحِكَ أولسون بفتور.

"بايكر، آرثر".

"هذا أنا"، قال بايكر، ووقف على قدميه. تحرّك باسترخاء مُخادِع، وهذا وتَّر غارّاتي. سيكون بايكر صلباً. سيصمد بايكر لفترة طويلة.

عاد بايكر. كان قد ضغط رقمه 3 على الصدر الأيمن لقميصه.

"هل قال لك أي شيء؟"، سأل غارّاتي.

"سألني إن كان الطقس قد بدأ يصبح حاراً في بلدتي"، قال بايكر بخجل. "أجل، لقد... تكلَّم الرائد معي".

"لن يكون حاراً مثلما سيصبح هنا"، قال أولسون ممازحاً.

"بايكر، جايمس"، قال الرائد.

استمرّ على هذا المنوال حتى الساعة 8:40. لا أحد تورى. وفي مرأب السيارات، اشتغلت بعض المحرّكات وبدأ عدد من السيارات بالمغادرة – فتيان من اللائحة الاحتياطية الذين سيذهبون إلى منازلهم الآن ويشاهدون تغطية المسيرة الطويلة على التلفزيون. أصبحت الأمور جدّية، فكّر غارّاتي، أصبحت جدّية حقاً.

عندما جاء دوره، أعطاه الرائد الرقم 47 وقال له "حظاً سعيداً". كان يبدو ذكورياً جداً عن قُرب وطاغياً بطريقة أو بأخرى. شعر غارّاتي برغبة قوية بأن يلمس رِجل الرجل ويتأكد أنه إنسان حقيقي.

كان رقم بيتر ماكفريز 61. وهانك أولسون 70. بقي واقفاً مع الرائد لفترة أطول من كل الباقين. وضحِك الرائد من شيء قاله أولسون وربَّت له على ظهره. "لقد قلتُ له أن يُبقي الكثير من المال بمتناول اليد"، قال أولسون عندما عاد. "وقال لي أن أُريهم الويل. قال إنه يحبّ رؤية شخص يتوق إلى الانطلاق. أرِهم الويل يا فتى، قال".

"جيد جداً"، قال ماكفريز، ثم غمزَ غارّاتي. تساءل غارّاتي ما الذي قصَدَه ماكفريز من غمزه هكذا. هل كان يسخر من أولسون؟

كان الفتى النحيل على الشجرة يدعى ستابنز. حصل على رقمه مُخفضاً رأسه، ودون أن يتكلّم مع الرائد أبداً، ثم عاد وجلس عند جذع شجرته. كان غارّاتي مبهوراً من الفتى بطريقة أو بأخرى.

كان الرقم 100 فتى أحمر الشعر ذا بشرة بركانية. ويدعى زاك. حصل على رقمه ثم جلس الجميع وانتظروا ما سيحصل بعد ذلك.

ثم وزَّع ثلاثة جنود من العربة نصف المجنزَرة أحزمة عريضة ذات جيوب. كانت الجيوب معبأة بأنابيب معجون مركَّز عالي الطاقة. وأتى مزيد من الجنود حاملين قِرَب ماء. ربطوا الأحزمة وعلَّقوا القِرَب. علَّق أولسون حزامه عند مستوى منخفض على خصره مثل مسلَّحٍ، وعثر على لوح شوكولا، وبدأ يأكله. "ليس سيئاً"، قال مبتسماً. وراح يعبّ من القِربة، ليغسل الشوكولا التي أكلها، وتساءل غارّاتي إن كان أولسون يتظاهر ببساطة، أو أنه يعرِف شيئاً لا يعرفه غارّاتي.

نظر الرائد إليهم برصانة. كانت ساعة معصم غارّاتي تشير إلى 8:56 – كيف تأخر الوقت إلى هذا الحد؟ تطوَّحت معدته بشكل مؤلم.

"حسناً يا شباب، انتظموا في صفوف من عشرة أشخاص، رجاءً. لا ترتيب معيّن. ابقوا مع أصدقائكم، إذا أردتم".

نهض غارّاتي. شعَر بخَدر وبانفصال عن الواقع. كان الأمر كما لو أن جسمه ينتمي الآن إلى شخص آخر.

"ها قد بدأنا"، قال ماكفريز بصوت خافت. "حظاً سعيداً للجميع".

"حظاً سعيداً لك"، قال غارّاتي متفاجئاً.

قال ماكفريز: "يجب أن يُفحَص رأسي اللعين". بدا شاحباً ومبلَّلاً بالعرق فجأة، ولم يعد بصحة ممتازة كالسابق. كان يحاول أن يبتسم ويفشل في ذلك. برزت الندبة على خده مثل علامة تنقيط متوحشة.

نهض ستابنز ومشى متمهلاً إلى مؤخرة الطابور البالغ عرضه عشرة أشخاص والبالغ عمقه عشرة أشخاص. كان أولسون وبايكر وماكفريز وغارّاتي في الصف الثالث. وكان فم غارّاتي جافاً. تساءل إن كان عليه أن يشرب بعض الماء. قرَّر ألا يفعل ذلك. لم يكن أبداً في حياته مُدركاً لقدميه إلى هذا الحد. تساءل إن كان سيجمد في أرضه وينال بطاقته عند خط الانطلاق. تساءل إن كان ستابنز سينهار باكراً – ستابنز مع شطيرة هلامه وبنطلونه الأرجواني. تساءل إن كان أول شخص

سينهار. تساءل كيف سيكون الشعور–

أشارت ساعة معصمه إلى 8:59.

كان الرائد يُمعن النظر في ساعة توقيته المصنوعة من فولاذ لا يصدأ. رفع أصابعه ببطء، وتجمَّد كل شيء عند يده. راح مئة فتى يراقبه بدقة، وكان الصمت مريعاً وهائلاً. كان الصمت كل شيء.

أشارت ساعة غارّاتي إلى 9:00، لكن اليد المتأهِّبة لم تسقط.

افعلها! لماذا لا يفعلها؟

شعَر أنه على وشك أن يصرخ بذلك.

ثم تذكَّر أن ساعته أسرع بدقيقة – يمكنك أن تضبط ساعتك على الرائد، إلا أنه لم يفعل ذلك، نسي أن يفعل ذلك.

انخفضت أصابع الرائد. "الحظ للجميع"، قال. كان وجهه خالياً من أي تعبير، وقد أخفت النظارات الشمسية العاكسة عينيه. بدأوا يسيرون بهدوء، من دون تدافع.

سار غارّاتي معهم. لم يجمد في أرضه. لم يجمد أحد في أرضه. مرّت قدماه بعد العلامة الحجرية، في خطى استعراضية مع ماكفريز على يساره وأولسون على يمينه. كان صوت الأقدام صاخباً جداً.

هذه هي، هذه هي، هذه هي.

شعر فجأة برغبة مجنونة بالتوقف. فقط ليرى إن كانوا جدّيين بما يقولونه حقاً. رفَض الفكرة بسخط وببعض الخوف.

خرجوا من الظل وإلى الشمس، شمس الربيع الدافئة. كان شعوراً جميلاً. استرخى غارّاتي، ووضع يديه في جيوبه، وأخذ يجاري ماكفريز في خطواته. بدأت المجموعة تنتشر، وكل شخص يجد الخطى والسرعة الخاصة به. راحت العربة نصف المجنزَرة تقعقع عند حافة الطريق، وترمي غباراً رفيعاً. وأطباق الرادار الصغيرة جداً تدور بنشاط، مراقبةً سرعة كل سائر بواسطة كمبيوتر متطوّر على متنها. كانت السرعة الأدنى المسموحة ستة كيلومترات ونصف في الساعة بالضبط.

"تحذير! تحذير ل. 88!".

جفل غارّاتي ونظر حوله. كان ستابنز. ستابنز صاحب الرقم 88. أصبح متأكداً فجأة أن ستابنز سينال بطاقته في هذا المكان بالضبط، ولا يزال عمود الانطلاق مرئياً.

"ذكي". كان أولسون.

"ماذا؟"، سأل غارّاتي. اضطر إلى بذل جهد واعٍ ليحرّك لسانه.

"ينال الشاب تحذيراً بينما لا يزال نشطاً فتتكوّن لديه فكرة عن الحدود المسموحة. ويمكنه أن يتخلّص منه بسهولة كبيرة – إذا سرتَ ساعة كاملة من دون نيل تحذير، تخسر أحد تحذيراتك القديمة. أنت تعرف هذا".

"بالتأكيد أعرفه"، قال غارّاتي. كان مذكوراً في كتاب القواعد. يعطونك ثلاثة تحذيرات. والمرة الرابعة التي تنخفض فيها سرعتك تحت ستة كيلومترات ونصف في الساعة، تصبح... حسناً، تصبح خارج المسيرة. لكن إذا كانت لديك ثلاثة تحذيرات واستطعت أن تسير لثلاث ساعات، ستعود إلى الأضواء مرة أخرى.

"لذا أصبح يعرف الآن"، قال أولسون. "وعند الساعة 10:02، سيصبح بأمان مرة أخرى".

سار غارّاتي بخطوات سريعة جيدة. كان يشعر أنه على ما يرام. لم يعد عمود الانطلاق مرئياً بعدما صعِدوا تلة وبدأوا ينزلون نحو وادٍ طويل مرصَّع بالصنوبر. كانت هناك حقول مستطيلة يميناً ويساراً قُلبَت تربتها حديثاً.

"بطاطا، حسبما أخبروني"، قال ماكفريز.

"الأفضل في العالم"، أجاب غارّاتي تلقائياً.

"أنت من ماين؟"، سأل بايكر.

"نعم، الجزء الجنوبي من الولاية". ونظَرَ إلى الأمام. كان عدة فتيان قد ابتعدوا عن المجموعة الرئيسية، ويسيرون بسرعة تسعة كيلومترات ونصف في الساعة تقريباً. كان اثنان منهم يرتديان سترتين جلديتين متماثلتين، مع ما يبدو نسوراً على ظهرهما. كان الإسراع مغرياً، لكن غارّاتي رفَض أن يُسرِع. "ادّخر الطاقة كلما أمكن" – النصيحة 13.

"هل يمرّ الطريق في أي مكان قريب من مسقط رأسك؟"، سأل ماكفريز.

"حوالي أحد عشر كيلومتراً من إحدى الجهتين. أظن أن أمي وحبيبتي ستأتيان لرؤيتي". ثم صمت لبرهة وأضاف بحذر: "إذا كنتُ لا أزال أسير، بالطبع".

"اللعنة، لن نكون قد قطعنا أربعيناً عندما نصل إلى الجزء الجنوبي من الولاية"، قال أولسون.

ساد الصمت بينهما بعد ذلك. كان غارّاتي يعرف أن المسألة ليست هكذا، واعتقَد أن أولسون يعرف ذلك أيضاً.

نال فتَيان آخران تحذيرين، وبالرغم مما قاله أولسون، تطوَّح قلب غارّاتي كل مرة. نظر إلى الخلف ليطمئن على ستابنز. كان لا يزال في المؤخرة، ويأكل شطيرة هلام أخرى. كانت هناك شطيرة ثالثة ناتئة من جيب كنزته الخضراء الرثّة. تساءل غارّاتي إن كانت أمه قد أعدّتها له، وتذكّر الكعكات التي أعطته إياها أمه – بإلحاح، كما لو أنها ستحميه من الأرواح الشريرة.

"لماذا لا يدعون الناس يشاهدون بداية المسيرة الطويلة؟"، سأل غارّاتي.

"يُفسد تركيز السائرين"، قال صوت حاد.

أدار غارّاتي رأسه. كان فتى صغيراً داكناً يبدو انفعالياً يحمل الرقم 5 على ياقة سترته. لم يتمكن غارّاتي من تذكّر إسمه. "التركيز؟"، قال.

"نعم". اقترب الفتى من غارّاتي. "لقد قال الرائد إنه من المهم جداً التركيز على الهدوء في بداية المسيرة الطويلة". وضغَط إبهامه بشكل تأمليّ على طرف أنفه الحاد. كانت هناك بثرة حمراء ساطعة عليه. "أوافقك الرأي. الإثارة، الحشود، التلفزيون لاحقاً. كل ما نحتاج إليه الآن هو التركيز". حدَّق في غارّاتي بعينيه البنيتين الداكنتين وقالها مرة أخرى. "التركيز".

"كل ما أركِّز عليه حالياً هو قطعها والانتهاء منها"، قال أولسون.

بدا أن 5 شعر بالإهانة. "عليك أن تضبط وتيرتك. عليك أن تركِّز على نفسك. يجب أن تكون لديك خطة. أنا غاري باركوفيتش، بالمناسبة. وأعيش في واشنطن العاصمة".

"أنا جون كارتر"، قال أولسون. "وأعيش في المريخ".

لوى باركوفيتش شفته ازدراءً وتراجع إلى الخلف.

"أظن أن هناك أبله في كل حيّ"، قال أولسون.

لكن غارّاتي اعتبر أن منطق باركوفيتش سليمٌ – على الأقل إلى أن نادى أحد الحارس "تحذير! تحذير ل. 5!" بعد حوالي خمس دقائق.

"هناك حجر في حذائي!"، قال باركوفيتش بشراسة.

لم يردّ الجندي. نزل من العربة نصف المجنزَرة ووَقَف على حافة الطريق مقابل باركوفيتش. كان يحمل في يده ساعة توقيت مصنوعة من فولاذ لا يصدأ مثل الرائد تماماً. توقَف باركوفيتش كلياً وخلع حذاءه. أخرَجَ حصاة صغيرة جداً منه. كان وجهه القوي والشاحب يلمع من العرق، ولم يكترث عندما نادى الجندي، "التحذير الثاني يا 5". بدلاً من ذلك، نعَّم جوربه بعناية فوق قوس قدمه.

"آه–آه"، قال أولسون. استدار الجميع وأصبحوا يسيرون عكسياً.

ستابنز، الذي كان لا يزال في المؤخرة، تجاوز باركوفيتش من دون أن ينظر إليه. أصبح باركوفيتش لوحده الآن، قليلاً إلى يمين الخط الأبيض، يعيد ربط حذائه.

"التحذير الثالث يا 5. التحذير الأخير".

كان هناك شيء في بطن غارّاتي بدا كأنه كُرة لزجة من المُخاط. لم يرغب أن ينظر، لكن لم يكن بمقدوره أن يشيح بنظره. لم يكن يدّخر الطاقة كلما أمكن عبر السير عكسياً، لكن لم يكن بوسعه ألا يفعل ذلك أيضاً. كان يمكنه أن يشعر بثواني باركوفيتش تتقلّص إلى لا شيء.

"آه، يا إلهي"، قال أولسون. "هذا المغفّل اللعين، سينال بطاقته".

لكن باركوفيتش وقف في تلك اللحظة. توقف مؤقتاً لينفض بعض أوساخ الطريق عن رُكبتَي بنطلونه. ثم بدأ يهرول، ولحِق بالمجموعة، وعاد واستقرّ في وتيرة سيره. تجاوز ستابنز، الذي كان لا يزال لا ينظر إليه، ولحِق بأولسون.

ابتسم، ولمعت عيناه البنيتان. "أرأيتم؟ لقد أعطيتُ نفسي بعض الراحة. كل ذلك في خطتي".

"ربما تظن ذلك"، قال أولسون بصوت أعلى من المعتاد. "كل ما أراه هو أنك حصلت على ثلاثة تحذيرات. من أجل دقيقتك والنصف السخيفة، عليك أن تسير ثلاث... ساعات... لعينة. ولماذا احتجتَ إلى راحة لعينة؟ لقد بدأنا للتو!".

بدا أن باركوفيتش شعر بالإهانة. توقّدت عيناه نحو أولسون. "سنرى مَن ينال بطاقته أولاً، أنت أو أنا"، قال. "كل ذلك في خطتي".

"هناك شبه مشبوه بين خطتك وبين الأمور التي تخرج من مؤخرتي"، قال أولسون، وضحِك بايكر ضحكة خافتة.

متذمراً، تجاوزهم باركوفيتش بخطوات كبيرة.

لم يتمكن أولسون من منع نفسه من إبداء تعليق ساخر. "فقط لا تتعثَّر يا صديقي. لن يحذِّروك مرة أخرى. سوف فقط...".

لم يلتفت باركوفيتش إلى الوراء، واستسلَم أولسون مشمئزاً.

عند الساعة 9:13 حسب ساعة غارّاتي (كان قد تكبَّد عناء إرجاعها بمقدار دقيقة واحدة)، صعِد جيب الرائد التلة التي كانوا قد بدأوا نزولها للتو. تجاوزهم عند حافة الطريق المقابلة للعربة نصف المجنزَرة التي تسير بخطى موزونة ووضع مكبِّر صوت يعمل على البطارية أمام شفتيه.

"يسرّني أن أعلن لكم أنكم أنهيتم أول كيلومتر ونصف من رحلتكم. وأودّ أن أذكّركم أيضاً أن أطول مسافة قطعتها مجموعة كاملة من السائرين هي اثنا عشر كيلومتراً ونصف. آمل أن تحققوا أفضل من ذلك".

انطلق الجيب مسرعاً. وبد أن أولسون يفكِّر بهذه الأخبار بتساؤل جافل، وحتى مخيف. ليس حتى ثلاثة عشر كيلومتراً، فكّر غارّاتي في سرّه. لم يكن بالقدر الذي ظنَّه. لم يتوقّع أن ينال أي شخص – ولا حتى ستابنز – بطاقة إلا في وقت متأخر من بعد الظهر على الأقل. فكّر بباركوفيتش. كل ما عليه فعله هو الإبطاء تحت السرعة القانونية مرةً في الساعة القادمة.

"راي؟". كان آرت بايكر. كان قد خلَع معطفه وعلَّقه فوق إحدى ذراعيه. "هل هناك سبب محدَّد لمشاركتك في المسيرة الطويلة؟".

فتح غارّاتي القِربة وشرب جرعة سريعة من الماء. كان بارداً ولذيذاً. بقيت بعض نقاط الرطوبة على شفته العليا فلعقها. كان جيداً الشعور بالأشياء بهذه الطريقة.

"لا أعرف حقاً"، قال بصدق.

"أنا أيضاً". فكّر بايكر للحظة. "هل كنتَ تشارك في سباقات المضمار أو ما شابه؟ في

المدرسة؟".

"لا".

"أنا أيضاً. لكن لا أظن أن هذا يهمّ، أليس كذلك؟ ليس الآن".

"لا، ليس الآن"، سأل غارّاتي.

هدأت المحادثة. مرّوا في قرية صغيرة تتضمن متجراً ومحطة وقود. كان هناك عجوزان يجلسان على كرسيَي حديقة قابلين للطي خارج محطة الوقود، ويراقبانهم بعيون تشبه عيون الزواحف. وعلى درجات المتجر، وقفت امرأة يافعة حاملة إبنها الصغير لكي يتمكن من رؤيتهم. وكان هناك طفلان أكبر سناً، في حوالي الثانية عشرة من عمريهما، حسب تقدير غارّاتي، يراقبانهم بحزن بعيداً عن الأنظار.

بدأ بعض الفتيان يخمّنون المسافة التي قطعوها. وصل الخبر بأنه تم إرسال عربة نصف مجنزَرة ثانية لتغطية الفتيان الستة المتواجدين في الطليعة... كانوا قد أصبحوا بعيدين عن الأنظار كلياً. قال شخصٌ إنهم يسيرون بسرعة أحد عشر كيلومتراً في الساعة. وقال آخر إن السرعة عشرة كيلومترات في الساعة. أخبرهم شخصٌ بنبرة رسمية أن شاباً أمامهم كان يتراخى وحُذِّر مرتين. تساءل غارّاتي لماذا لم يلحقوا به لو كان الخبر صحيحاً.

أنهى أولسون لوح الشوكولا الذي كان قد بدأه عند الحدود وشرِب بعض الماء. كان بعض الآخرين يأكلون أيضاً، لكن غارّاتي قرَّر أن ينتظر إلى أن يجوع حقاً. لقد سمع أن المعجون المركَّز جيد جداً. حتى أن روّاد الفضاء يأخذونه معهم إلى الفضاء.

بعد الساعة العاشرة بقليل، مرّوا بلافتة تقول "لايمستون 16 كيلومتراً". تذكّر غارّاتي المسيرة الطويلة الوحيدة التي سمح له أبوه أن يذهب إليها. ذهبوا إلى فريبورت وشاهدوهم يمرّون. وكانت أمه معهما. كان السائرون مُتعَبين وغائري العيون وبالكاد واعين للافتات التشجيع وصيحات الجماهير المتواصلة للمتسابقين المفضّلين لديهم والمتسابقين الذين توقّعوا فوزهم. أخبره أبوه في وقت لاحق من ذلك اليوم أن الناس اصطفوا على جوانب الطرقات بدءاً من بانغور. لم يكن الوضع مثيراً للاهتمام إلى هذا الحد في المناطق الداخلية، وكان الطريق مطوَّقاً تماماً – ربما لكي يتمكنوا من المحافظة على هدوئهم، مثلما قال باركوفيتش. لكن الوضع تحسَّن مع مرور الوقت، بالطبع.

عندما مرَّ السائرون في فريبورت تلك السنة، كانوا قد بدأوا سيرهم على الطريق منذ أكثر من

اثنتين وسبعين ساعة. كان غارّاتي في العاشرة من عمره وقد أدهشه كل شيء. وكان الرائد قد ألقى كلمةً أمام الحَشد بينما كان الفتيان لا يزالون بعيدين ثمانية كيلومترات عن البلدة. بدأ بموضوع المنافسة، ثم انتقل إلى الوطنية، وانتهى بشيء يسمّى إجمالي الناتج القومي – ضحِك غارّاتي على ذلك، لأن كلمة "إجمالي" بالنسبة له تعني شيئاً بغيضاً. كان قد أكل ست قطع نقانق وعندما رأى السائرين قادمين أخيراً، كان قد بلَّل بنطلونه.

كان أحد الفتيان يصرخ. هذا أكثر شيء يتذكّره. كان كلما وَضَع قدم على الأرض، يصرخ: لا أستطيع. لا أستطيع. لا أستطيع. لا أستطيع. لكنه واصل السير. كلهم واصلوا السير، وسرعان ما تجاوز آخرهم ل. ل. بينز عند الطريق العام رقم 1 وتواروا عن الأنظار. خاب أمل غارّاتي قليلاً من عدم رؤية أي شخص ينال بطاقة. لم يذهبوا لمشاهدة مسيرة طويلة أخرى أبداً. في وقت لاحق من تلك الليلة، سمع غارّاتي أباه يصرخ بقوة على شخص على الهاتف، بطريقته المعهودة عندما يكون ثملاً أو يناقش موضوعاً سياسياً، وأمه في الخلفية، بهمسها التآمري، تتوسّله أن يتوقف قبل أن يلتقط أحدهم خط الحزب.

شرِب غارّاتي بعض الماء وتساءل عن حال باركوفيتش.

أصبحوا يمرّون بمزيد من المنازل الآن. وكانت هناك عائلات تجلس على مروجها الأمامية، يبتسم أفرادها ويلوّحون ويشربون الكوكا كولا.

"غارّاتي"، قال ماكفريز. "يا للروعة، انظر إلى هذا".

كانت هناك فتاة جميلة في حوالي السادسة عشرة من عمرها ترتدي بلوزة بيضاء وسروالاً مرقّطاً بالأحمر يصل إلى ربلة الساق ترفع لافتة كبيرة خطَّتها بيدها: هيا–هيا–غارّاتي الرقم 47 نحبك يا راي "ممثل ماين".

شعَر غارّاتي بقلبه ينتعش. عرف فجأة أنه سيفوز. فقد برهنت الفتاة المجهولة ذلك.

صفَّر أولسون بصوتٍ عالٍ، وبدأ يُدخِل سبّابته المشدودة ويُخرجها بسرعة من قبضته الملتفّة بشكل غير مُحكم. شعر غارّاتي بالخجل من رؤيته ينفّذ هذه الحركة البذيئة.

اللعنة على النصيحة 13. ركَض غارّاتي إلى جانب الطريق. رأت الفتاة رقمه وزعَقت. ورمت نفسها عليه وقبَّلته بقوة. تعرَّق غارّاتي فجأة وتأثّر كثيراً. وقبَّلها بنفسه بقوة. عانقته الفتاة بشدّة. بالكاد كان يُدرك ما الذي يفعله، حيث وَضَع يده برفق على أحد ردفَيها المستديرين.

"تحذير! تحذير ل. 47!".

تراجَع غارّاتي إلى الوراء وابتسم. "شكراً".

"آه... آه... آه بالتأكيد!"، كانت عيناها تلمعان كالنجوم.

حاوَل التفكير بشيء آخر يقوله، لكن كان يمكنه رؤية الجندي يفتح فمه ليعطيه التحذير الثاني. عاد إلى مكانه، يلهث ويبتسم قليلاً. لكنه شعَر ببعض الذنب بعد تغاضيه عن النصيحة 13.

كان أولسون يبتسم أيضاً. "لهذا أنا مستعد أن أتلقى ثلاثة تحذيرات".

لم يُجبه غارّاتي، لكنه استدار وسار عكسياً ولوَّح للفتاة. عندما أصبحت بعيدة عن الأنظار استدار وبدأ يسير بحزم. قبل ساعة من زوال تحذيره. يجب أن ينتبه من عدم الحصول على تحذير آخر. لكنه شعَر شعوراً جميلاً. شعَر أنه لائق بدنياً. شعَر أنه يمكنه السير حتى الوصول إلى فلوريدا. بدأ يسير بشكل أسرع.

"راي". كان ماكفريز لا يزال يبتسم. "لماذا تُسرِع؟".

أجل، هذا كان صحيحاً. النصيحة 6: البطء والهدوء يفيان بالغرض. "شكراً".

استمر ماكفريز يبتسم. "لا تشكرني كثيراً. أنا هنا لأفوز أيضاً".

حدَّق فيه غارّاتي، بارتباك.

"أعني، دعنا لا نعتمد أسلوب الفرسان الثلاثة. أنا معجب بك ومن الواضح أنك ناجح مع الفتيات الجميلات. لكنني لن أنتشلك إذا وقعتَ".

"أجل". ابتسم له بدوره، لكن ابتسامته بدت ضعيفة.

"من جهة أخرى"، تشدَّق بايكر بلطف، "نحن كلنا معاً في هذا ومن الأفضل أن نسلّي بعضنا بعضاً".

ابتسم ماكفريز. "لما لا؟".

وصلوا إلى تلة ووفّروا أنفاسهم لصعودها. في منتصف الطريق صعوداً، نَزَع غارّاتي سترته وعلَّقها فوق كتفه. بعد بضع لحظات مرّوا بكنزة شخصٍ مرمية على الطريق. شخص، اعتقَد غارّاتي،

سيتمنى لو أنها معه هذه الليلة. أمامهم، كان شخصان من السائرين في الطليعة يتباطآن.

ركّز غارّاتي على تمييزهما ووضعهما أرضاً. كان لا يزال يشعر شعوراً جميلاً. يشعر أنه قوي.

الفصل 2

"أنتِ تملكين المال الآن يا إلين،

ويمكنك الاحتفاظ به. إلا إذا أردتِ،

بالطبع، استبداله بما يوجد خلف الستارة".

– مونتي هول

البرنامج التلفزيوني Let's Make a Deal

"أنا هاركْنس. الرقم 49. أنت غارّاتي. الرقم 47. صح؟".

نَظَر غارّاتي إلى هاركْنس، الذي كان يرتدي نظارات وقصّ شعره قصيراً. كان وجه هاركْنس أحمر ومبلَّلاً بالعرق. "صح".

كان هاركْنس يملك مفكرة. كتَب فيها إسم غارّاتي ورقمه. كان خط يده غريباً ومتشنِّجاً، يرتجّ صعوداً ونزولاً بينما يسير. اصطدم بزميل يدعى كولي باركر طلب منه أن ينتبه أين يسير بطريقته اللعينة. قمَع غارّاتي ابتسامةً.

"إنني أدوِّن أسماء الجميع وأرقامهم"، قال هاركْنس. عندما رفع نظره، تلألأت شمس منتصف الصباح على عدسات نظاراته، واضطر غارّاتي أن يُحوِل عينيه ليرى وجهه. كانت الساعة 10:30، وكانوا يبعدون 13 كيلومتراً عن لايمستون، وأمامهم 3 كيلومترات فقط ليكسروا الرقم القياسي لأبعد مسافة قطعتها مجموعة كاملة في المسيرة الطويلة.

"أظن أنك تتساءل لماذا أدوّن أسماء الجميع وأرقامهم"، قال هاركْنس.

"أنت من الفِرق"، قال أولسون ممازحاً من خلفه.

"لا، سأؤلّف كتاباً"، قال هاركْنس بسرور. "عندما ينتهي كل هذا، سأؤلِّف كتاباً".

ابتسم غارّاتي. "تقصد أنك إذا فزتَ ستؤلّف كتاباً".

هزَّ هاركْنس كتفيه. "نعم، أظن ذلك. لكن انظر إلى هذا: كتاب عن المسيرة الطويلة من وجهة نظر مشارِك يمكن أن يجعلك ثرياً".

انفجر ماكفريز ضاحكاً. "إذا فزتَ، لن تحتاج إلى كتاب لتصبح ثرياً، صح؟".

عبس هاركْنس. "حسناً... أظن ذلك. لكنه سيكون كتاباً مثيراً للاهتمام".

تابعوا السير، وتابَع هاركْنس يدوِّن الأسماء والأرقام. معظمهم أعطوه أسماءهم وأرقامهم طوعياً، ممازحينه عن الكتاب الرائع.

قطعوا الآن تسعة كيلومترات ونصف. وصلهم الخبر بأن هذا يبدو جيداً لكسر الرقم القياسي. خمَّن غارّاتي بإيجاز عن سبب رغبتهم بكسر الرقم القياسي. فكلما ازداد عدد المنسحبين، كلما تحسَّنت احتمالات الفوز للباقين. افترَض أنها مسألة فخر. وصل الخبر أيضاً أن التوقّعات تشير إلى أمطار رعدية لفترة بعد الظهر – افترَض غارّاتي أن أحدهم يحمل راديو ترانزستور. إذا كان هذا الخبر صحيحاً، فهو خبر سيئ. فأمطار مايو الـمُبكرة ليست دافئة.

استمروا بالسير.

كان ماكفريز يسير بحزم، مُبقياً رأسه مرفوعاً وملوِّحاً بذراعيه قليلاً. جرَّب السير على حافة الطريق، لكن محاربة التربة الرخوة هناك جَعَلته يستسلم. لم يتلقَّ تحذيراً، وإذا كانت حقيبة الظهر تُتعبه أو تغيظه، فإنه لم يُظهر أي دلالة على ذلك. كانت عيناه تبحثان في الأفق دائماً. وعندما كانوا يمرّون بتجمّعات صغيرة من الناس، كان يلوِّح لهم ويبتسم ابتسامته الرفيعة الشفتين. لم يُظهر أي علامات بالتعب.

كان بايكر يمشي متمهلاً، جارّاً قدميه مقوِّساً رُكبتيه عندما كانوا لا ينظرون إليه. ويلوِّح معطفه بخمول، مبتسماً للناس الذي يشيرون إليه، ويصفِّر أحياناً لحناً منخفضاً. شعَر غارّاتي أنه بدا قادراً على مواصلة السير إلى الأبد.

لم يعد أولسون يتكلم كثيراً، وكان يلوي ركبته بسرعة كل بضع لحظات. كان غارّاتي يستطيع سماع فرقعة مِفصَله كل مرة. شعَر غارّاتي أن أولسون يتصلَّب قليلاً، بعد أن بدأت تظهر عليه آثار السير لعشرة كيلومترات. قدَّر غارّاتي أن إحدى قِرَبه يجب أن تكون فارغة تقريباً. سيحتاج أولسون إلى أن يبوِّل قريباً.

حافظ باركوفيتش على نفس الوتيرةِ المتشنِّجة، وقد أصبح الآن في مقدمة المجموعة الرئيسية كما لو أنه يريد اللحاق بطليعة السائرين الذين كانوا يتراجعون الآن نحو موضع ستابنز في المؤخرة. تخلّص من أحد تحذيراته الثلاثة وأعاد الحصول عليه بعد خمس دقائق. قرَّر غارّاتي أنه لا بدّ أنه يحبّ أن يكون على حافة الخطر.

واصل ستابنز السير بمفرده. لم يره غارّاتي يتكلَّم مع أي شخص. تساءل إن كان ستابنز وحيداً أو مُتعَباً. لا يزال يعتقد أن ستابنز سينهار باكراً – ربما سيكون أول مَن ينهار – رغم أنه لم يعرف لماذا يعتقد ذلك. كان ستابنز قد خلَع كنزته الخضراء القديمة، ويحمل آخر شطيرة هلام في يده. لم ينظر إلى أحد. كان وجهه قناعاً.

واصلوا السير.

كان الطريق يتقاطع مع طريق آخر، وقد أوقف رجال الشرطة حركة المرور لكي يمرّ السائرون. حيّوا كل سائرٍ، وأومأ فتَيان، مطمئنان من حصانتهما، متحدّيانهم بوضع إبهاميهما على أنفهما. لم يوافق غارّاتي على هذا التصرّف. فابتسم وأومأ برأسه للشرطة وتساءل إن كانوا يظنونهم كلهم مجانين.

أطلقت السيارات أبواقها، ثم صاحت امرأةٌ لإبنها. كانت قد ركنت بجانب الطريق، منتظرةً على ما يبدو أن تتأكد أن ابنها لا يزال في المسيرة.

"بيرسي! بيرسي!".

كان حامل الرقم 31. تورَّد خجلاً، ثم لوَّح قليلاً، ثم أسرعَ مُحنياً رأسه قليلاً. حاوَلت المرأة الركض على الطريق. تصلَّب الحارس على ظهر العربة نصف المجنزَرة، لكن أحد رجال الشرطة أمسك بذراعها وأوقفها بلطف. ثم انعطف الطريق وتوارى التقاطع عن الأنظار.

مرّوا بجسر خشبي فوق غدير صغير. سار غارّاتي قريباً من الدرابزين، وتمكَّن، للحظة فقط، من رؤية انعكاس صورته المشوَّهة على سطح الماء.

مرّوا بلافتة تقول "لايمستون 11 كيلومتراً". ثم تحت راية متموِّجة تقول "تفتخر لايمستون بالترحيب بالمشاركين في المسيرة الطويلة". قدَّر غارّاتي أنه لا بد أنهم أقل من كيلومتر ونصف لكسر الرقم القياسي.

ثم وصل الخبر، وكان هذه المرة عن فتى يدعى كيرلي، حامل الرقم 7. أُصيب كيرلي بتشنّج وحصل على تحذيره الأول. زاد غارّاتي سرعته ووصل إلى ماكفريز وأولسون. "أين هو؟".

أشار أولسون بإصبعه إلى فتى نحيل فارع الطول يرتدي سروال جينز أزرق. كان كيرلي حاول أن يربّي سوالفه. لكن السوالف فشلت. كان وجهه الهزيل والجدي الآن يُظهر علامات تركيز كبير، وكان يحدِّق في رِجله اليمنى. كان يقدِّر وضعه الحالي. فقد كان يتراجع ووجهه يُظهر ذلك.

"تحذير! تحذير لـ 7!".

بدأ كيرلي يُجبر نفسه على الإسراع. كان يلهث قليلاً. فكّر غارّاتي في سرّه أن ذلك بسبب الخوف بقدر ما كان بسبب المجهود. نسي غارّاتي كل تعقّبه للوقت. نسي كل شيء ما عدا كيرلي. راح يراقبه يكافح، مُدركاً أن هذه قد تكون مكافحته بعد ساعة أو يوم من الآن.

كان أروع شيء رآه في حياته.

تراجَع كيرلي ببطء، وصدرت عدة تحذيرات لآخرين قبل أن يُدرك أفراد المجموعة أنهم كانوا يعدِّلون سرعتهم وفقاً لسرعته في افتتانهم به. وهذا يعني أن كيرلي كان قريباً جداً من الحافة.

"تحذير! تحذير لـ 7! التحذير الثالث يا 7!".

"أُصبتُ بتشنّج!"، صرخ كيرلي بصوت أجش. "هذا ليس عدلاً إذا أُصبتَ بتشنّج!".

أصبح بجانب غارّاتي تقريباً الآن. وكان غارّاتي قادراً على رؤية تفاحة آدم في عنق كيرلي ترتفع وتنخفض. كان كيرلي يدلِّك رِجله بشكل مضطرب. واستطاع غارّاتي أن يشمّ رائحة الذعر الصادرة عن كيرلي في موجات، وكانت تشبه رائحة ليمونة ناضجة قُطفَت حديثاً.

بدأ غارّاتي يتجاوزه، وسمع كيرلي يصيح: "الحمد لله! إنها ترتخي!".

لم يقل أحد شيئاً. شعَر غارّاتي بخيبة أمل حاقِدة. افترَض أنه كان دنيئاً، وغير رياضي، لكنه أراد أن يتأكد من نيل أحدهم بطاقةً قبله. مَن يريد أن ينسحب أولاً؟

أشارت ساعة غارّاتي إلى الحادية عشرة وخمس دقائق الآن. افترَض أن ذلك يعني أنهم كسروا الرقم القياسي، محقِّقين ساعتين ضرب ستة كيلومترات ونصف في الساعة. سيصلون إلى لايمستون قريباً. رأى أولسون يثني ركبة واحدة أولاً، ثم الأخرى، مرة أخرى. جرَّب ذلك بنفسه بدافع الفضول. طقطقت مفاصل ركبتيه بصوتٍ عالٍ، وتفاجأ من مقدار التصلّب الذي حلّ بهما. ومع ذلك، لم تؤلمه قدماه. كان هذا شيئاً ملفتاً للنظر.

مرّوا بشاحنة حليب مركونة عند أعلى طريق فرعي صغير. كان موزِّع الحليب يجلس على غطاء المحرّك. لوَّح لهم بدماثة. "تنشَّطوا يا شباب!".

شعَر غارّاتي بالغضب فجأة. شَعَر أنه يريد أن يصيح. لماذا لا تنهض عن مؤخرتك السمينة وتتنشَّط معنا؟ لكن موزِّع الحليب كان قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره. في الواقع، بدا أنه تجاوز الثلاثين من عمره بمقدار كبير. كان هرِماً.

"حسناً، استريحوا لخمس دقائق"، قال أولسون فجأة، وتلقى بعض الضحكات.

توارت شاحنة الحليب عن الأنظار. وظهر المزيد من الطرقات الآن، والمزيد من رجال الشرطة والأشخاص الذي يطلقون أبواق سياراتهم ويلوِّحون بأيديهم. رمى أحدهم قصاصات ورقية ملوَّنة. بدأ غارّاتي يشعر أنه شخص مهم. فقد كان، في النهاية، "ممثل ماين".

فجأة صرخ كيرلي. اِلتفَت غارّاتي إلى الوراء. كان كيرلي قد انحنى، ماسكاً رِجله ويصرخ. كان لا يُصدَّق أنه لا يزال يسير بطريقة أو بأخرى، لكن ببطء. ببطء شديد.

حصل كل شيء ببطء عندها، كما لو أنه يطابق طريقة سير كيرلي. رفع الجنود الجالسون على سطح العربة نصف المجنزَرة البطيئة الحركة بنادقهم. لهث الحَشد، كما لو أنهم لم يعرفوا أن الأمور تتم بهذه الطريقة، ولهث السائرون، كما لو أنهم لم يعرفوا، ولَهَث غارّاتي معهم، لكنه كان يعرف بالطبع، كانوا كلهم يعرفون بالطبع، كانت المسألة بسيطة جداً، سينال كيرلي بطاقته.

فُتحت مزاليج الأمان. وتبعثر الفتيان بعيداً عن كيرلي مثل طيور السُمّان. وجد نفسه وحيداً فجأة على الطريق المغمور بالشمس.

"هذا ليس عدلاً!"، صَرَخ. "هذا ليس عدلاً أبداً!".

دخل الفتيان السائرون فسحة ظل مورِقة، والتفت بعضهم إلى الوراء، ونظر بعضهم إلى الأمام، خائفين من مشاهدة ما سيحصل. كان غارّاتي ينظر. كان عليه أن ينظر. ساد الصمت بين

المتفرِّجين الملوِّحين بأيديهم كما لو أن شخصاً ضغط زراً فسكتوا جميعاً.

"هذا ليس-".

أطلقت أربع بنادق قصيرةِ النار. كان الصوت صاخباً جداً. وتنقّلت الضجة مثل كُرات بولينغ، فضربت التلال، وتدحرَجت عائدةً.

اختفى رأس كيرلي الزاويّ الكثير البثور في بركة دم وخلايا دماغ وقطع متطايرةٍ من الجمجمة. وسقط ما تبقّى منه على الخط الأبيض مثل كيس بريد.

99 الآن، قال غارّاتي لنفسه باشمئزاز. 99 زجاجة عصير على الجدار، وفي حال سقطت إحداها... يا إلهي... يا إلهي...

عَبَر ستابنز فوق الجثة. انزلقت قدمه قليلاً في بعض الدم، وخلّفت خطواته التالية بتلك القدم مساراً دموياً، مثل صورة فوتوغرافية في مجلة المحقِّق الرسمي. لم يُخفض ستابنز نظره إلى ما تبقّى من كيرلي. لم يتغيَّر التعبير على وجهه. ستابنز، أيها الوغد، فكّر غارّاتي في سرّه، أنت مَن كان يُفترَض أن ينال بطاقته أولاً، ألم تعرف ذلك؟ ثم أشاح غارّاتي بنظره. لم يرغب أن يتقيأ.

وضعت امرأة تقف بجانب حافلة فولكسفاغن وجهها في يديها. وصدرت أصوات غريبة عن حنجرتها، ووجَد غارّاتي أنه يمكنه رؤية سروالها الداخلي تحت فستانها. سروالها الداخلي الأزرق. لسبب غير مفهوم، وجَد نفسه مستثاراً مرة أخرى. كان هناك رجل سمين ذو رأس أصلع يحدِّق في كيرلي ويفرك ثؤلولاً بجانب أذنه بشكل مضطرب. رطَّب شفتيه الكبيرتين السميكتين وواصل النظر وفَرْك الثؤلول. كان لا يزال ينظر عندما مرَّ غارّاتي بجانبه.

واصلوا السير. وجَد غارّاتي نفسه يسير مع أولسون وبايكر وماكفريز مرة أخرى. كانوا أشبه بمجموعة يحمون بعضهم بعضاً. كان كلهم ينظرون الآن بشكل مستقيم إلى الأمام، وكل وجوههم خالية من أي تعبير. بدا صدى البنادق القصيرة قد علق في الهواء. بقي غارّاتي يفكِّر بالأثر الدموي الذي خلّفه حذاء ستابنز. وتساءل إن كان لا يزال يترك أثراً أحمر، وكاد يدير رأسه لكي ينظر، ثم عدل عن رأيه لكي لا يكون مغفَّلاً. لكن لم يكن بمقدوره التوقف عن التساؤل. تساءل إن كان كيرلي قد تألَّم. تساءل إن كان كيرلي قد شَعَر بالرصاصات تصيبه، أو فقط كان حيّاً في إحدى الثواني وميتاً في الثانية التي تلتها.

لكنها كانت مؤلمة بالطبع. فقد كانت مؤلمة سابقاً، في أسوأ الطرق الممزِّقة، معرفة أنك لن

تعود متواجداً وسيستمر الكون بالدوران مثل السابق، غير متضرِّر وغير معرقَل.

وصل الخبر بأنهم قطعوا حوالي أربعة عشر كيلومتراً ونصف قبل أن يشتري كيرلي بطاقته. قيل إن الرائد مسرور جداً. تساءل غارّاتي كيف يستطيع أي شخص معرفة أين يتواجد ذلك الرائد اللعين.

اِلتفَت إلى الوراء فجأة، فقد أراد أن يعرف ماذا كان يحصل لجثة كيرلي، لكنهم كانوا قد انعطفوا منعطفاً آخر من قبل. وكان كيرلي قد توارى عن الأنظار.

"ماذا لديك في حقيبة ظهرك؟"، سأل بايكر ماكفريز فجأة. كان يبذل جهداً ليُجري أي محادثة، لكن صوته كان عالياً وحاداً، على وشك أن ينكسر.

"قميص نظيف"، قال ماكفريز. "وبعض الهمبرغر النيء".

"همبرغر نيء–"، قال أولسون مكشِّراً.

"طاقة سريعة جيدة في الهمبرغر النيء"، قال ماكفريز.

"أنت مجنون. ستتقيأ في كل مكان".

اكتفى ماكفريز بالابتسام.

تمنى غارّاتي لو أنه أحضَر بعض الهمبرغر النيء هو أيضاً. لم يكن يعرف عن الطاقة السريعة، لكن فكرة الهمبرغر النيء أعجبته. فهذا أفضل من ألواح الشوكولا والمعجون المركَّز. تذكّر فجأة كعكاته، لكنه لم يكن جائعاً جداً بعد ما حصل مع كيرلي. بعد كيرلي، هل يمكنه أن يفكِّر حقاً بأكل همبرغر نيء؟

انتشر بين المتفرِّجين الخبر بأن أحد السائرين نال بطاقته، ولسبب من الأسباب بدأوا يبتهجون بأصوات عالية أكثر. وراح تصفيق ضعيف يفرقع كالفشار. تساءل غارّاتي إن كان مُحرِجاً أن يُطلَق النار على شخص أمام الناس، وخمَّن أن المرء لن يكترث حقاً عندما يحين ذلك الوقت. لم يبدُ أن كيرلي اكترث، بالطبع. لكن الاضطرار إلى قضاء الحاجة. هذا سيكون سيئاً. قرَّر غارّاتي عدم التفكير بالموضوع.

كانت عقارب ساعته تقف مستقيمة الآن مشيرة إلى الظهر. اجتازوا جسراً حديدياً صدئاً يمتدّ فوق واد ضيق جاف، وكانت هناك لافتة على الجهة الأخرى تقول: "حدود مدينة لايمستون – أهلاً

وسهلاً بالمشاركين في المسيرة الطويلة!".

ابتهَج بعض الفتيان، لكن غارّاتي وفّر أنفاسه.

ازداد عرض الطريق وتوزَّع السائرون عليه بشكل مريح، وارتخت أعصابهم قليلاً. ففي النهاية، كان كيرلي خلفهم بخمسة كيلومترات الآن.

أخرَج غارّاتي كعكاته، وقلَّب حزمة أوراق الألمنيوم في يديه للحظة. شعَر بشوق إلى أمه، ثم دفن ذلك الشعور عميقاً. سيرى أمه وجانيس في فريبورت. كان هذا وعداً. أكَل كعكةً وشَعَر بتحسّن قليل.

"أَتعلَم؟"، قال ماكفريز.

هزّ غارّاتي رأسه. أخذ رشفة من قِربته ولوَّح نحو عجوزين يجلسان بجانب الطريق حاملين لافتة كرتونية صغيرة مكتوب عليها "غارّاتي".

"ليست لديَّ أي فكرة ماذا سأريد أن أفعل إذا فزتُ بهذا"، قال ماكفريز. "ليس هناك شيء أحتاج إليه حقاً. أعني، ليس لديَّ أم عجوز مريضة في المنزل أو أب موصول بآلة غسيل الكلى، أو أي شيء من هذا القبيل. حتى إنه ليس لديَّ أخ صغير يُحتضَر ببسالة من سرطان الدم". ضحِك وفكَّ وثاق قِربته.

"لديك وجهة نظر معقولة هنا"، وافَق غارّاتي.

"تعني أنه ليست لديَّ وجهة نظر معقولة هنا. القصة بأكملها بلا وجهة نظر".

"أنت لا تقصد ذلك حقاً"، قال غارّاتي بثقة. "إذا تسنّى لك أن تفعل ذلك مرة أخرى–".

"أجل، أجل، سأفعل ذلك، لكن–".

"انظرا!"، قال الفتى الموجود أمامهما، بيرسون. "أرصفة!".

بدأوا يدخلون البلدة أخيراً. كانت هناك مجموعة منازل جميلة بعيدة عن الطريق تطلّ عليهم من مروج خضراء مرتفعة. وكانت المروج مزدحمة بأشخاص يلوّحون بأيديهم ويبتهِجون. بدا لغارّاتي أن جميعهم تقريباً كانوا يجلسون. يجلسون على الأرض، على كراسي مَرِجة مثل العجائز في محطة الوقود، يجلسون على طاولات نزهات. وحتى يجلسون على أراجيح. شعَر ببعض الغضب الغيور.

واصلوا التلويح بأيديكم قدر ما تشاؤون. سأكون غبياً إذا لوَّحتُ بعد الآن. النصيحة 13. ادّخر الطاقة كلما أمكن.

لكنه قرَّر أخيراً أنه يتصرَّف بحماقة. فقد يظن الناس أنه يتصرَّف بعجرفة. فقد كان، في النهاية، "ممثل ماين". قرَّر أنه سيلوّحِ لكل الأشخاص الذين يحملون لافتات عليها اسمه. ولكل الفتيات الجميلات.

تجاوزتهم الشوارع الجانبية والشوارع المتقاطعة بثبات. شارع الجُمَّيز وجادة كلارك، وشارع البورصة وزقاق العرعر. مرّوا ببقالة معلَّق على نافذتها إعلان لصنف شراب شعير، ومحل لبيع السلع الرخيصة مُزدان بصور الرائد.

كانت هناك صفوف من المتفرّجين على الأرصفة، لكنها صفوف رفيعة. بالإجمال، خاب أمل غارّاتي. كان يعرف أن الحشود الحقيقية ستظهر لاحقاً على الطريق، لكن الوضع كان لا يزال رتيباً. وحتى هذا فات على كيرلي المسكين.

ظهر جيب الرائد فجأة من شارع جانبي وبدأ يسير بجانب المجموعة الرئيسية. كانت طليعة السائرين لا تزال تسبقهم ببعض المسافة.

علت صيحات ابتهاج بين الجماهير. أومأ الرائد برأسه وابتسم ولوَّح للحشود. ثم استدار إلى اليسار وحيّا الفتيان. شعَر غارّاتي برعشة تملأ ظهره. ومَضت نظارات الرائد الشمسية في نور شمس بعد الظهر.

رفع الرائد مكبِّر الصوت العامل على البطارية إلى شفتيه. "أنا فخور بكم يا شباب. فخور!".

من مكان ما خلف غارّاتي، قال صوتٌ بلطف لكن بوضوح: "هراء".

أدار غارّاتي رأسه، لكن لم يكن هناك سوى أربعة أو خمسة فتيان يراقبون الرائد باهتمام (أدرك أحدهم أنه كان يؤدّي له التحية فأنزل يده بخجل)، وستابنز. لم يبدُ ستابنز أنه حتى ينظر إلى الرائد.

زأر الجيب متقدماً إلى الأمام. بعد لحظة اختفى الرائد مرة أخرى.

وصلوا إلى وسط مدينة لايمستون حوالي 12:30. خاب أمل غارّاتي. فقد كانت مجرد بلدة صغيرة. كان هناك مركز أعمال وثلاثة مواقف سيارات مستعملة ومتجر ماكدونالد وبرغر كينغ وبيتزا هت ومنطقة صناعية، وهذا كل شيء.

"ليست كبيرة جداً، أليس كذلك؟"، قال بايكر.

ضحِك أولسون.

"الأرجح أنها مكان لطيف للعيش"، قال غارّاتي بنبرة دفاعية.

"نجّني يا رب من أماكن العيش اللطيفة"، قال ماكفريز، لكنه كان يبتسم.

"حسناً، المهم أن يروق لك"، قال غارّاتي بنبرةٍ غير مُقنعة.

عند الساعة الواحدة، أصبحت لايمستون مجرد ذكرى. وكان قد سار إلى جانبهم فتى متبجِّح صغير يرتدي وزرةً مرقَّعةً لحوالي كيلومتر، ثم جلس وراقبهم يبتعدون عنه.

ازدادت كمية التلال في الريف. وشعَر غارّاتي بأوائل خيوط العرق الحقيقي تظهر عليه. أصبح قميصه ملتصقاً بظهره. وعلى يمينه، كانت طلائع الرعد تتشكّل، لكنها كانت لا تزال بعيدة. كان هناك نسيم خفيف، وهذا ساعد قليلاً.

"ما هي البلدة الكبيرة التالية يا غارّاتي؟"، سأل ماكفريز.

"أظن أنها كاريبو". كان يتساءل إن كان ستابنز قد أكل شطيرته الأخيرة أم لا. كان ستابنز قد علق في ذهنه مثل أغنية تدور وتدور إلى أن تظن أنها ستُصيبك بالجنون. كانت الساعة الواحدة والنصف. لقد قطعوا تسعة وعشرين كيلومتراً حتى الآن.

"كم تبعد؟"، تساءل غارّاتي عن الرقم القياسي للكيلومترات التي قُطعت مع نيل سائر واحد فقط بطاقته. بدت التسعة والعشرين كيلومتراً جيدة جداً له. فقد كانت مسافةً يستطيع أي رجل أن يفتخر بها. لقد سرتُ تسعة وعشرين كيلومتراً. تسعة وعشرين.

"لقد قلتُ–"، بدأ ماكفريز يقول بصبر.

"ربما خمسون كيلومتراً من هنا".

"خمسون"، قال بيرسون. "يا إلهي".

"إنها أكبر من لايمستون"، قال غارّاتي. كان لا يزال يتكلم بنبرة دفاعية، لا أحد يعلم لماذا. ربما لأن العديد من هؤلاء الفتيان سيموتون هنا، وربما كلهم. الأرجح كلهم. فقط ست مسيرات طويلة في التاريخ انتهت على خط ولاية نيو هامبشاير، وفقط واحدة وصلت إلى ماساتشوستس، وقد قال

الخبراء إن ذلك مماثل لتسجيل هانك هارون سبعمئة وثلاثين هدفاً، أو ما شابه... رقم قياسي لن يعادله أي شخص أبداً. ربما سيموت هنا، هو أيضاً. ربما. لكن هذا كان مختلفاً. تراب بلدته. سيروق هذا للرائد. "لقد مات على تراب بلدته".

رفع قِربته إلى شفتيه ووجدها فارغة. "قِربة!"، صاح. "47 يطلب قِربةً!".

قفز أحد الجنود عن العربة نصف المجنزَرةِ وأعطاه قِربة جديدة. عندما انصرَف، لمَس غارّاتي البندقية القصيرة المعلَّقة على ظهر الجندي. فعلَ ذلك بشكل مستتر. لكن ماكفريز رآه.

"لماذا فعلت ذلك؟".

ابتسم غارّاتي وشَعَر بالارتباك. "لا أعرف. ربما مثل الدقّ على الخشب".

"أنت فتى لطيف يا راي"، قال ماكفريز، ثم زاد سرعته قليلاً ولحِق بأولسون، تاركاً غارّاتي يسير لوحده، ويشعر بالارتباك أكثر من أي وقت مضى.

تجاوزه الرقم 93 – لم يكن غارّاتي يعرف إسمه – عن يمينه. كان يحدِّق في قدميه ويحرّك شفتيه بصمت وهو يعدّ خطواته. كان يتمايل قليلاً.

"مرحبا"، قال غارّاتي.

ارتعد 93 خوفاً. كان هناك فراغ في عينيه، نفس الفراغ الذي كان في عيني كيرلي بينما كان يخسر حربه ضد التشنّج. إنه مُتعَب، فكّر غارّاتي في سرّه. إنه يعرف هذا، وهو خائف. شَعَر غارّاتي فجأة أن معدته انقلبت ثم عدَّلت نفسها ببطء.

أصبح ظلّهما يسيران إلى جانب بعضهما البعض الآن. كانت الواحدة وأربعين دقيقة. التاسعة صباحاً، الجو منعش، جالساً على العشب في الظل، كان ذلك منذ شهر.

قبل الساعة الثانية بقليل، وصل الخبر مرة أخرى. كان غارّاتي يتلقى درساً مباشراً في علم نفس الإشاعات. يكتشف شخصٌ شيئاً، وينتشر الخبر فجأة. تنتقل الإشاعات على الألسن. هذا يبدو مثل المطر. هناك احتمال أن تُمطر. سوف تُمطر قريباً جداً. يقول الشاب مالك الراديو أنها ستُمطر بغزارة بين لحظة وأخرى. لكنه مضحك كم مرة تكون الإشاعة صحيحة. وعندما يصل الخبر أن شخصاً يتباطأ، أن شخصاً يواجه بعض المتاعب، تكون الإشاعة صحيحة دائماً.

كان الخبر هذه المرة عن ظهور بثور على قدمَي الرقم 9، إيوينغ، وقد حُذِّر مرتين. لقد حُذِّر

الكثير من الفتيان، لكن هذا أمر عادي. كان الخبر أن الوضع يبدو سيئاً لإيوينغ.

مرَّر الخبر إلى بايكر، وبدا بايكر متفاجئاً. "الزميل الأسود؟"، قال بايكر. "أسود لدرجة أنه يبدو أزرق تقريباً؟".

قال غارّاتي إنه لا يعرف إن كان إيوينغ أسود أو أبيض.

"بلى، إنه أسود"، قال بيرسون. وأشار إلى إيوينغ. كان باستطاعة غارّاتي رؤية حُبيبات صغيرة جداً من العرق تلمع في شعر إيوينغ المتجعِّد. بنظرة كلها رعب، شاهد غارّاتي أن إيوينغ يرتدي حذاءً رياضياً.

النصيحة 3: لا، أكرّر، لا ترتدي حذاءً رياضياً. فلا شيء سيسبِّب لك بثوراً في المسيرة الطويلة أسرع من الحذاء الرياضي.

"لقد استقلّ الحافلة معنا"، قال بايكر. "إنه من تكساس".

زاد بايكر سرعته إلى أن أصبح يسير بجانب إيوينغ. تكلَّم مع إيوينغ لمدة لا بأس بها. ثم خفَّض سرعته تدريجياً ليتجنّب الحصول على تحذير هو أيضاً. كان وجهه كئيباً. "بدأت البثور تظهر قبل ثلاثة كيلومترات. وبدأت تتفقئ في لايمستون. إنه يسير في قيح البثور المنفقئة".

كان الكل يستمعون بصمت. تذكّر غارّاتي ستابنز مرة أخرى. فقد كان يرتدي حذاء كرة مضرب. ربما كان ستابنز يحارب البثور الآن.

"تحذير! تحذير لـ 9! هذا هو تحذيرك الثالث يا 9!".

أصبح الجنود يراقبون إيوينغ بدقة الآن. وكذلك السائرون. كان إيوينغ محطّ الأنظار. كانت الجهة الخلفية لقميصه التائي، الذي يلمع بياضاً بشكل مُذهِل على بشرته السوداء، ملطَّخة بالعرق كلياً في الوسط. وكان باستطاعة غارّاتي رؤية عضلات ظهره الضخمة تتموّج وهو يسير. عضلات تكفي لتدوم لعدة أيام، وقال بايكر إنه يسير في قيح. بثور وتشنّجات. ارتعش غارّاتي. موت مفاجئ. كل تلك العضلات وكل ذلك التدريب لا يمكنهما منع البثور والتشنّجات. بماذا كان إيوينغ يفكِّر عندما ارتدى هذا الحذاء؟

انضم إليهم باركوفيتش. كان باركوفيتش ينظر إلى إيوينغ، أيضاً. "بثور!". قالها بنبرة جعلتها تبدو كما لو أم إيوينغ كانت بائعة هوى. "ماذا يمكنكم أن تتوقعوا من زنجي مغفّل؟".

"ابتعد"، قال بايكر بهدوء، "وإلا سأدفعك".

"هذا مخالف للقوانين"، قال باركوفيتش بابتسامة متكلّفة. "تذكّر هذا دائماً أيها المنافق". لكنه ابتعَد. كان الأمر كما لو أنه أخذ سحابة سم صغيرة معه.

الثانية أصبحت الثانية والنصف. وأصبحت ظلالهم أطول. صعدوا تلة طويلة، واستطاع غارّاتي عند القمة رؤية جبال منخفضة، ضبابية وزرقاء، من بعيد. كانت طلائع الرعد الطاغية في الغرب قد أصبحت داكنة أكثر الآن، والنسمات تصلَّبت، مما سبَّب له القشعريرة عندما جفَّ العرق على بشرته.

راح بعض الرجال المتحلّقين حول شاحنة فورد موصولة بها عربة تخييم يلوِّحون لهم بابتهاج كبير. كان كل الرجال ثملين جداً. ولوَّحوا لهم كلهم بدورهم، حتى إيوينغ. كانوا أول المتفرِّجين الذين يلتقون بهم منذ الفتى الصغير المتبجِّح في الوزرة المرقَّعة.

فتح غارّاتي أنبوب معجون مركَّز من دون أن يقرأ الملصق عليه وأكله. كان مذاقه يشبه اللحم قليلاً. تذكّر همبرغر ماكفريز. تذكّر قالب الشوكولا الكبير الذي عليه حبة كرز. تذكّر الفطائر. لسبب مجنون ما، أراد فطيرة باردة مليئة بهلام التفاح. الغداء البارد الذي كانت أمه تُعدّه دائماً عندما يذهب إلى الصيد مع أبيه في نوفمبر.

اشترى إيوينغ ورطةً لنفسه بعد حوالي عشر دقائق.

كان يسير مع مجموعة فتيان عندما تباطأ تحت السرعة القانونية للمرة الأخيرة. ربما ظنَّ أن الفتيان سيحمونه. لكن الجنود بارعون جداً في عملهم. كانوا خبراء. دفَعوا الفتيان الآخرين جانباً. وسحَبوا إيوينغ إلى حافة الطريق. حاوَل إيوينغ أن يقاومهم، لكن ليس كثيراً. ثبَّت أحد الجنود ذراعَي إيوينغ خلف ظهره بينما وضع آخر بندقيته على رأس إيوينغ وأطلق النار عليه. راحت إحدى رِجليه تركل بتشنّج.

"ينزف نفس اللون كأي شخص آخر"، قال ماكفريز فجأة. كان صوته صاخباً جداً في السكون الذي تلا الطلقة الوحيدة. راحت تفاحة آدم تتمايل في عنقه، وطقطقَ شيءٌ في حنجرته.

اثنان منهم زالا الآن. وتحسَّنت الاحتمالات بشكل طفيف جداً لصالح الباقين. جرى تداول بعض الكلام المكبوت، وتساءل غارّاتي مرة أخرى ماذا يفعلون بالجثث.

أنت تتساءل كثيراً! صاح على نفسه فجأة.

وأدرك أنه كان مُتعَباً.

الجزء الثاني

السير على الطريق

الفصل 3

"ستكون لديك ثلاثون ثانية، وتذكّر رجاءً

أن إجابتك يجب أن تكون على شكل سؤال".

– آرت فليمينغ
جيوباردي

كانت الساعة الثالثة عندما تساقطت أولى قطرات المطر على الطريق، كبيرة وداكنة ومستديرة. كانت السماء سوداء ومتوحشة وساحرة. دوَّى رعدٌ في مكان ما فوق السُحُب. وضرب برقٌ أزرق الأرض في مكان ما أمامهم.

كان غارّاتي قد ارتدى معطفه بعد فترة قصيرة من نيل إيوينغ بطاقته، وأغلق سحّابها الآن ورفَع ياقته. هاركْنس، المؤلف المحتمل، خبّأ مفكرته بعناية في كيس بلاستيكي. وارتدى باركوفيتش قبعة مطر صفراء مصنوعة من الفينيل. كان هناك شيء غير معقول في ما فعلته لوجهه، لكن من الصعب تحديد ذلك بدقة. كان يحدِّق من تحتها كما لو أنه حارس منارة مشاكس.

سمعوا صوت رعد مذهل. "ها هو آتٍ**!**"، صاح أولسون.

هطل المطر بغزارة. كان غزيراً جداً لبضع لحظات لدرجة أن غارّاتي وجَد نفسه منعزلاً كلياً داخل ستارة دُش متموّجة. أصبح مبللاً كلياً بشكل فوري. رفع وجهه نحو المطر، مبتسماً. تساءل إن كان بإمكان الجنود رؤيتهم. وتساءل إن كان بإمكان المرء أن–

بينما كان لا يزال يتساءل، خفَّت شدة الانهمار الوحشي الأول قليلاً وأصبح بإمكانه أن يرى

مرة أخرى. نظر إلى الوراء نحو ستابنز. كان ستابنز يسير محدَّباً، واضعاً يديه عند بطنه، وظنَّ غارّاتي في البدء أنه أُصيب بتشنّج. بقي غارّاتي أسير ذعر قوي للحظات. لا يشبه بأي شيء على الإطلاق شعوره عندما اشترى كيرلي وإيوينغ بطاقتيهما. لم يعد يرغب بأن يزول ستابنز باكراً.

ثم رأى أن ستابنز كان فقط يحمي آخر نصف شطيرة هلام معه، فاستدار إلى الأمام من جديد وهو يشعر بالارتياح. قرَّر أن أم ستابنز لا بدّ أن تكون غبية لعدم لفّها شطائره اللعينة في أوراق ألمنيوم، فقط في حال أمطرت.

دوَّى الرعد بشكل حاد، أشبه بحصّة تدريب على المدفعية في السماء. شعَر غارّاتي بالابتهاج، وبدا أن بعض تعبه انجرف من جسمه مع العرق. هطل المطر مرة أخرى، بقوة وسرعة، ثم تحوَّل في النهاية إلى قطرات هادئة. وبدأت السُحُب تنقشع في السماء.

كان بيرسون يسير بجانبه الآن، وقد سحب بنطلونه إلى أعلى. كان يرتدي سروال جينز كبيراً جداً عليه بقي يسحبه إلى أعلى باستمرار. كما يرتدي نظارات ذات إطار عظمي وعدسات تشبه قعر زجاجات الكولا، وقد نزعها الآن وبدأ ينظِّفها على ذيل قميصه. راح يحملِق بتلك الطريقة العزلاء القصيرة البصر التي يستخدمها الأشخاص ضعفاء البصر عندما يخلعون نظاراتهم. "هل تستمتع بالدُش يا غارّاتي؟".

أومأ غارّاتي برأسه. أمامهم، كان ماكفريز يبوِّل، ويسير عكسياً بينما يفعل ذلك، فيرشّ بوله على حافة الطريق بعيداً عن الآخرين.

نظر غارّاتي إلى الجنود. كانوا مبلَّلين أيضاً، بالطبع، لكن إذا كانوا غير مرتاحين، فإنهم لم يُظهروا ذلك. كانت وجوههم خشبية تماماً. أتساءل ما هو شعورهم، فكّر في سرّه، عندما يُطلقون النار على أحدهم. أتساءل إن كان ذلك يجعلهم يشعرون بالقوة. تذكَّر الفتاة ذات اللافتة، والتقبيل، وملمس مؤخرتها. تلمَّس نعومة سروالها الداخلي تحت بنطلونها الذي يصل إلى ربلة الساق. ذلك جَعَله يشعر بالقوة.

"ذلك الشاب في الخلف لا يقول الكثير، أليس كذلك؟"، قال بايكر فجأة. وأشار بإبهامه إلى ستابنز. كان بنطلون ستابنز الأرجواني قد أصبح أسود تقريباً بعد أن تبلَّل بالكامل.

"صح. صح، لا يتكلَّم كثيراً".

نال ماكفريز تحذيراً بسبب إبطائه كثيراً لكي يُغلق سحّابه. وكرَّر بايكر ما قاله عن ستابنز.

"إنه شخص منعزِل، وما الضرر في ذلك؟"، قال ماكفريز، وهزّ كتفيه. "أظن-".

"مهلاً"، قاطعه أولسون. كان أول شيء يقوله منذ بعض الوقت، وبدا صوته غريباً. "هناك شعور غريب في رجليَّ".

نَظَر غارّاتي إلى أولسون عن كثب ورأى الذعر ينمو في عينيه. كان التظاهر بالشجاعة قد زال. "غريب بأي معنى؟"، سأله.

"كما لو أن كل العضلات أصبحت... رخوة".

"استرخِ"، قال ماكفريز. "لقد حصَل هذا معي منذ ساعتين. سيزول".

ظهر ارتياح في عيني أولسون. "حقاً؟".

"أجل، بالتأكيد سيزول".

لم يقل أولسون شيئاً، لكن شفتيه تحرّكتا. ظنَّ غارّاتي للحظة أنه يصلّي، لكنه أدرَك بعدها أنه يعدّ خطواته فقط.

دوَّى صوت طلقتين فجأة. وسُمع صراخ، ثم صوت طلقة ثالثة.

نظروا ورأوا فتىً يرتدي كنزة زرقاء وسروالاً أبيض قذراً مستلقياً ووجهه غارقاً في بركة ماء. كانت إحدى فردتَي حذائه قد طارت من رجله. رأى غارّاتي أنه يرتدي جوارب رياضية بيضاء. النصيحة 12 أوصت بهذا.

عَبَر غارّاتي فوقه، دون أن ينظر عن كثب بحثاً عن ثقوب. وصل الخبر بأن هذا الفتى مات من الإبطاء. ليس من البثور أو التشنّج، بل فقط لأنه أبطأ مرات أكثر من المسموح ونال بطاقة.

لم يعرف غارّاتي إسمه أو رقمه. ظنَّ أن الخبر سيصل حول ذلك، لكنه لم يصل أبداً. ربما لا أحد يعرف تلك المعلومات. ربما كان منعزِلاً مثل ستابنز.

قطعوا الآن أربعين كيلومتراً في المسيرة الطويلة. وأصبحت المناظر الطبيعية عبارة عن لوحة جدارية متواصلة من الغابات والحقول، يتخلّلها بين الحين والآخر منزل أو مفترق طرق حيث يلوّح أشخاص مبتهِجون بالرغم من الرذاذ المُحتضَر. كانت هناك سيدة عجوز تقف متجمّدة تحت مظلّة سوداء، لا تلوّح ولا تتكلم ولا حتى تبتسم. بل اكتفت بمراقبتهم يمرّون بعينين ثاقبتين. لم تكن هناك أي

علامة حياة أو حركة فيها ما عدا حاشية فستانها الأسود التي ترفرف في الهواء. كانت تضع خاتماً كبيراً عليه حجرة أرجوانية في الإصبع الوسطي ليدها اليمنى. وكانت هناك قلادة ملطَّخة على رقبتها.

اجتازوا سكة حديدية تم هجْرها منذ زمن طويل – كانت القضبان صدئة والنجيل نما في الألواح الخشبية بين الفواصل. تعثَّر أحدهم وسقط وحُذِّر ونهض وواصل السير بركبة نازفة.

كانوا يبعدون ثلاثين كيلومتراً فقط عن كاريبو، لكن الظلام سيحلّ قبل ذلك. لا راحة للملعونين، فكّر غارّاتي في سرّه، وشعر أن هذا مُضحكاً. فضحِك.

نَظَر إليه ماكفريز عن كثب. "بدأتَ تتعب؟".

"لا"، قال غارّاتي. "أصبحتُ مُتعَباً منذ مدة لا بأس بها الآن". ونَظَر إلى ماكفريز نظرة عَداء. "تعني أنك لستَ تعباً؟".

قال ماكفريز، "فقط واصل الرقص معي هكذا إلى الأبد يا غارّاتي ولن أتعب أبداً. سنمسح أحذيتنا على النجوم ونتدلّى رأساً على عقب من القمر".

أرسل قبلة في الهواء نحو غارّاتي وابتعَد.

راح غارّاتي يراقبه. لم يعرف ما هو تقييمه لماكفريز.

عند الرابعة والرُبع، أصبحت السماء صافية وظهر قوس قزح في الغرب، حيث كانت الشمس تجلس تحت سُحُب ذهبية الأطراف. ولوَّنت الأشعة المائلة لشمس بعد الظهر الحقول المقلوبة حديثاً التي كانوا يمرّون بها، مما جعل الأثلام حادة وسوداء حيث تحيط التلال المنحدِرة الطويلة.

كان صوت العربة نصف المجنزَرة هادئاً، ويكاد يكون مهدئاً للأعصاب. ترك غارّاتي رأسه يتدلّى إلى الأمام والنعاس يغلبه بينما كان يسير. في مكان ما أمامهم كانت فريبورت. لكن ليس هذه الليلة أو غداً. بعد خطوات كثيرة. بعد مسافة طويلة. وجَد أنه لا يزال لديه الكثير من الأسئلة وعدد غير كاف من الأجوبة. بدت المسيرة بأكملها مجرد علامة استفهام كبيرة. أبلَغ نفسه أن شيئاً كهذا يجب أن يكون له معنى عميق. بالتأكيد كان كذلك. فشيءٌ كهذا يجب أن يوفّر جواباً لكل سؤال؛ كان يتطلّب فقط إبقاء قدمك على الدوّاسة. الآن فقط لو يستطيع أن–

وطأت قدمه في بركة ماء وجفل مستيقظاً بالكامل مرة أخرى. نَظَر إليه بيرسون بسخرية ودفعَ نظاراته صعوداً على أنفه. "هل تعرف ذلك الشاب الذي سقَط وجرح نفسه عندما كنا نجتاز السكة؟".

"نعم. كان زاك، أليس كذلك؟".

"أجل. لقد سمعتُ للتو أنه لا يزال ينزف".

"كم نبعُد عن كاريبو أيها المهووس؟"، سأله أحدهم. نظر غارّاتي من حوله. كان باركوفيتش، وقد ثنى قبعة مطره في جيبه الخلفي حيثه راحت ترفرف بمُجون.

"كيف يمكنني أن أعلم أيها اللعين؟".

"أنت تعيش هنا، أليس كذلك؟".

"حوالي سبعة وعشرين كيلومتراً"، أخبره ماكفريز. "اذهب الآن وانشر الخبر أيها الرجل الصغير".

ظهر الشعور بالإهانة على وجه باركوفيتش وابتعَد.

"يا له من تافه"، قال غارّاتي.

"لا تدعه يغيظك"، ردَّ ماكفريز. "فقط ركِّز على السير".

"حاضر يا أستاذ".

ربَّت ماكفريز على كتف غارّاتي. "ستفوز بهذا السباق يا بُنيّ".

"يبدو كما لو أننا بدأنا نسير منذ ما قبل التاريخ، أليس كذلك؟".

"صحيح".

لعَق غارّاتي شفتيه، راغباً أن يعبِّر عن نفسه دون أن يعرف كيف. "هل سمعتَ يوماً عن أن شريط حياة الرجل الغريق يمرّ أمام عينيه؟".

"أعتقد أنني قرأتُ ذلك مرةً. أو سمعتُ شخصاً يقول ذلك في فيلم".

"هل فكَّرت يوماً أن ذلك قد يحدث لنا؟ في المسيرة؟".

تظاهر ماكفريز بالارتعاش. "يا إلهي، لا أتمنى ذلك".

بقي غارّاتي صامتاً للحظة ثم قال، "هل تعتقد.. لا تهتمّ. اللعنة على هذا".

"لا، أكمل كلامك. هل أعتقد ماذا؟".

"هل تعتقد أنه يمكننا أن نحيا بقية حياتنا على هذا الطريق؟ هذا ما قصدتُه. الجزء الذي كنا سنحياه لو لم... أنت تعرف".

بحَث ماكفريز في جيبه بارتباك وأخرَج علبة سجائر. "هل تدخِّن؟".

"لا".

"أنا أيضاً"، قال ماكفريز، ثم وضع سيجارة في فمه. وجَد علبة أعواد ثقاب عليها وصفة طهي صلصة طماطم. أشعَل السيجارة، وأخذ مجّةً، وراح يسعل من الدخان. تذكّر غارّاتي النصيحة 10: وفّر أنفاسك. إذا كنتَ مدخِّناً، حاول ألا تدخِّن في المسيرة الطويلة.

"ظننتُ أنني سأتعلَّم"، قال ماكفريز بتحدٍّ.

"إنها حماقة، أليس كذلك؟"، قال غارّاتي متأسفاً.

نَظَر إليه ماكفريز متفاجئاً، ثم رمى السيجارة أرضاً. "صحيح"، قال. "أظنُه ذلك".

اختفى قوس قزح عند الساعة الرابعة. دايفدسون، 8، تراجع إلى الخلف لينضم إليهما. كان فتىً وسيماً ما عدا لحَبّ الشباب المنتشر على جبهته. "هذا الشاب زاك يتألم حقاً"، قال دايفدسون. كان يحمل حقيبة ظهر آخر مرة رآه فيها غارّاتي، لكنه لاحَظ أن دايفدسون تخلَّص منها في لحظة من اللحظات.

"هل لا يزال ينزف؟"، سأل ماكفريز.

"مثل حيوان مجروح". هزّ دايفدسون رأسه. "مُضحك كيف تسير الأمور، أليس كذلك؟ تسقط في أي وقت آخر، فلا تُصاب إلا ببعض الرضوض. يحتاج إلى غُرَز". أشار إلى الطريق. "انظروا إلى هذا".

نظرَ غارّاتي ورأى بُقعاً داكنةً صغيرةً على سقف العربة الذي كان بدأ يجفّ. "دم؟".

"ليس دبس السكر"، قال دايفدسون بتجهّم.

"هل هو خائف؟"، سأل أولسون بصوت جاف.

"يقول إنه لا يكترث البتّة"، قال دايفدسون. "لكن أنا خائف". كانت عيناه واسعتين ورماديتين. "أنا خائف عنا جميعاً".

استمروا يسيرون. أشار بايكر إلى لافتة أخرى لغارّاتي.

"تباً"، قال غارّاتي من دون أن يرفع نظره. كان يلاحق آثار دم زاك، مثل دانيال بُون وهو يتعقّب هندياً مجروحاً. كانت الآثار تتمايل ببطء يميناً ويساراً على الخط الأبيض.

"ماكفريز"، قال أولسون. كان صوته قد أصبح أنعم في الساعتين الأخيرتين. وكان غارّاتي قد قرَّر أن أولسون يروق له بالرغم من وجه أولسون الخارجي الجريء. لم يكن يحبّ رؤية أولسون خائفاً، لكن لا شكّ أنه كان خائفاً.

"ماذا؟"، قال ماكفريز.

"إنه لا يزول. ذلك الشعور بالارتخاء الذي أخبرتُك عنه. إنه لا يزول".

لم يقل ماكفريز أي شيء. بدت الندبة على وجهه بيضاء جداً في ضوء شمس الغروب.

"أشعر كما لو أن رجليَّ تنهاران ببساطة. مثل أساسات سيئة. لن يحصل ذلك، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟". أصبح صوت أولسون حاداً قليلاً.

لم يقل ماكفريز أي شيء.

"هل يمكنني أن آخذ سيجارة؟"، سأل أولسون. كان صوته منخفضاً مرة أخرى.

"نعم. يمكنك الاحتفاظ بالعلبة".

أشعَل أولسون سيجارةً بسهولة خبيرٍ، وأشار بأنفه إلى أحد الجنود الذين يراقبونه من العربة نصف المجنزَرة. "بدأوا يرمقونني نظرة ازدراء منذ ساعة تقريباً. لديهم حاسّة سادسة لهذه الأمور". رفع صوته مرة أخرى. "يعجبكم هذا، أليس كذلك؟ يعجبكم هذا أيها اللعينون؟".

نظرَ إليه عدد من السائرين القريبين ثم أشاحوا بنظرهم بسرعة. أراد غارّاتي أن يشيح بنظره أيضاً. كانت هناك هستيريا في صوت أولسون. نَظَر الجنود إلى أولسون بفتور. تساءل غارّاتي إن كان الخبر حول أولسون سيصل بسرعة، ولم يتمكن من كبح ارتعاشةٍ.

عند الرابعة والنصف كانوا قد قطعوا ثمانية وأربعين كيلومتراً. كان نصف الشمس قد غاب،

وتحوَّلت إلى أحمر قانٍ في الأفق. وابتعدت طلائع الرعد نحو الشرق، وأصبحت السماء زرقاء داكنة. تذكّر غارّاتي نظريته عن الرجل الغريق مرة أخرى. لا شيء نظريّ في ذلك. كان الليل القادم مثل ماء سيغمرهم قريباً.

ملأه شعور بالذعر. أصبح واثقاً فجأة وبشكل رهيب أنه ينظر إلى آخر ضوء نهار في حياته. أراده أن يمتدّ أكثر. أراده أن يدوم لفترة أطول. أراد أن يستمر الغسق لساعاتٍ.

"تحذير! تحذير لـ 100! تحذيرك الثالث يا 100!".

نظرَ زاك حوله. كانت هناك نظرة ذهول وعدم فهم في عينيه. كانت رِجل بنطلونه اليمنى مكسوة بدم جاف. ثم، فجأة، بدأ يسير بسرعة. شق طريقه بشكل متعرّج بين السائرين مثل لاعب كرة قدم. ركَض بنفس تعبير الذهول على وجهه.

زادت العربة نصف المجنزَرة سرعتها. سمِعها زاك قادمة وركَض أسرع. كان ركضه غريباً ومتثاقلاً الحركة وأعرج. انفتح الجرح على ركبته مرة أخرى، وبينما كان يندفع أمام المجموعة الرئيسية، استطاع غارّاتي رؤية نقاط الدم الطازج تتناثر وتتطاير من ثنية ساق بنطلونه. ركَض زاك صعوداً إلى التلة التالية، وتحوَّل للحظات إلى صورة ظليّة في السماء الحمراء، شكل أسود جلفاني، متجمِّد للحظة في ركضه مثل فزّاعة في حقل. ثم توارى عن الأنظار وتبِعته العربة نصف المجنزَرة. وراح الجنديان اللذان كانا قد ترجّلا منها يسيران إلى جانب الفتيان، بوجوه فارغة.

لم يقل أحد أي كلمة. بل اكتفوا بالإنصات. لم يصدر أي صوت لمدة طويلة. مدة طويلة بشكل لا يُصدَّق. فقط عصفور، وبضعة جداجد مُبكرة، وفي مكان ما خلفها، طائرة بدون طيّار.

ثم سُمع دويّ حاد واحد، وصمت قصير، ثم دويّ ثانٍ.

"للتأكد"، قال شخص بصوت بائس.

عندما تجاوزوا قمة التلة رأوا العربة نصف المجنزَرة تقف على حافة الطريق على بُعد كيلومتر. كان دخان أزرق يخرج من عادمها المزدوج. لم يكن هناك أي أثر لزاك. لا أثر على الإطلاق.

"أين الرائد؟"، صَرَخ شخص. كان الصوت على حافة الذعر. كان صوت فتى ذا رأس غليظ مستدير يدعى غريبل، حامل الرقم 48. "أريد رؤية الرائد، اللعنة! أين هو؟".

لم يُجب الجنديان السائران عند حافة الطريق. لم يُجب أحدٌ.

"هل يلقي خطاباً آخر؟"، صاح غريبل بعنف. "هل هذا ما يفعله؟ حسناً، إنه قاتل! هذه هي حقيقته، قاتل! سوف... سوف أقولها له! هل تظنون أنني لن أفعل ذلك؟ سأقولها له وجهاً لوجه!". لم ينتبه لنفسه في ثورة غضبه وأبطأ تحت السرعة المسموحة، وكاد يقف، وأصبح الجنود مهتمين به لأول مرة.

"تحذير! تحذير ل 48!".

ترنّح غريبل، ثم زاد سرعته. وراح ينظر إلى قدميه وهو يسير. وسرعان ما وصلوا إلى حيث كانت العربة نصف المجنزَرة تنتظرهم. فعاودت سيرها ببطء بجانبهم.

عند حوالي 4:45، تناول غارّاتي عشاءه – أنبوب لحم تونة معالَج، وبضع قطع بسكويت هشّ مدهونة عليها بعض الجبنة، والكثير من الماء. أجبَر نفسه على الاكتفاء بذلك. فبإمكانك الحصول على قِربة ماء في أي وقت، لكن لن يتم توزيع أنابيب معجون مركَّز طازجة حتى صباح الغد عند الساعة التاسعة... وقد يرغب بتناول وجبة خفيفة عند منتصف الليل. اللعنة، قد يحتاج إلى وجبة خفيفة عند منتصف الليل.

"قد تكون مسألة حياة أو موت"، قال بايكر، "لكنها لا تؤذي شهيتك بالتأكيد".

"لا أستطيع تحمّل أعباء السماح بذلك"، أجاب غارّاتي. "لا تعجبني فكرة أن يُغمى عليَّ عند الثانية فجراً".

وخطرت على باله فكرة بغيضة بحقّ. لن تعرف أي شيء، على الأرجح. لن تشعر بأي شيء. بل فقط ستستيقظ في العالم الآخر.

"يدفعك هذا إلى التفكير، أليس كذلك؟"، قال بايكر بلطف.

نَظَر إليه غارّاتي. في ضوء النهار المتلاشي، كان وجه بايكر ناعماً ويافعاً وجميلاً. "نعم. كنتُ أفكّر بأشياء كثيرة".

"مثل ماذا؟".

"هو، على سبيل المثال"، قال غارّاتي وأشار برأسه نحو ستابنز، الذي كان لا يزال يسير بنفس الوتيرة التي كان يسير بها عندما بدأوا. كان بنطلونه يجفّ على جسمه. وكان وجهه مُبهماً. كان لا

يزال يوفّر نصف شطيرته الأخيرة.

"ماذا بشأنه؟".

"أتساءل لماذا هو هنا، لماذا لا يقول أي شيء. وما إذا كان سيعيش أو يموت".

"غارّاتي، سنموت كلنا".

"لكن آمل ألا يحصل ذلك هذه الليلة"، قال غارّاتي. أبقَ صوته مرحاً، لكن رعشةً أصابته فجأة. لم يعرف إن كان بايكر قد رآها أم لا. انقبضت كُليتاه. استدار، وفكّ سحاب سرواله، وبدأ يسير عكسياً.

"ما رأيك بالجائزة؟"، سأل بايكر.

"لا أرى فائدة كبيرة في التفكير بها"، قال غارّاتي، وبدأ يبوِّل. عندما انتهى، أغلق السحّاب، واستدار مرة أخرى، مسروراً قليلاً من إنجازه العملية من دون الحصول على تحذير.

"أنا أفكِّر فيها"، قال بايكر بنبرةٍ حالمة. "ليس بالجائزة بحد ذاتها بل بالمال. كل ذلك المال".

"لا يدخل الأغنياء السماوات"، قال غارّاتي. راح يراقب قدميه اللتين كانتا الشيء الوحيد الذي يمنعه من معرفة إن كان هناك أغنياء حقاً في السماوات أم لا.

"أحسنت القول"، قال أولسون. "ستكون هناك مرطبات بعد الاجتماع".

"هل أنت متديّن؟"، سأل بايكر غارّاتي.

"لا، ليس كثيراً. لكنني لستُ من المهووسين بالمال".

"قد تصبح كذلك إذا ترعرعتَ على حساء البطاطا والكُرُنب"، قال بايكر. "واللحم فقط عندما يستطيع الأب تحمّل ثمنه".

"هذا قد يُحدِث فرقاً"، وافَق غارّاتي، ثم صمت لبرهة، متسائلاً ما إن كان عليه أن يقول أي شيء آخر. "لكنه ليس الشيء المهم أبداً حقاً". رأى بايكر ينظر إليه بعدم فهم وببعض الازدراء.

"لا يمكنك أن تأخذه معك، هذه جملتك التالية"، قال ماكفريز.

ألقى غارّاتي نظرة سريعة نحوه. كان ماكفريز يبتسم ابتسامته المثيرة للغضب مرة أخرى. "هذا

صحيح، أليس كذلك؟"، قال. "لا نُحضِر أي شيء معنا إلى العالم وبالتأكيد لن نأخذ أي شيء أيضاً".

"نعم، لكن ألا تظن أن الفترة بين ذلك الحدثين ستكون لطيفة أكثر في الرخاء؟"، قال ماكفريز.

"آه، الرخاء، هراء"، قال غارّاتي. "إذا أطلق أحد أولئك الحمقى الجالسين في تلك اللعبة المضخَّمة النار عليك، لن يكون هناك أي طبيب في العالم قادر على إنقاذك من الموت".

"لستُ ميتاً"، قال بايكر بلطف.

"نعم، لكن يمكنك أن تكون ميتاً". فجأة أصبح من المهم جداً لغارّاتي أن يوضِّح التالي. "ماذا لو فزتَ؟ ماذا لو أمضيتَ الأسابيع الستة التالية تخطِّط ما الذي ستفعله بالمال – لا تهتمّ بالجائزة، فقط بالمال – وماذا لو صدمتك سيارة أجرة في أول خروج لك لشراء شيء؟".

اقترب منهم هاركْنس وبدأ يسير بجانب أولسون. "ليس أنا يا عزيزي"، قال. "أول شيء سأفعله هو شراء أسطول كامل من السيارات. إذا فزتُ، قد لا أحتاج إلى السير أبداً".

"لم تفهمني"، قال غارّاتي، ساخطاً أكثر من أي وقت مضى. "حساء بطاطا أو لحم مشوي، قصر أو تخشيبة، عندما تموت، يضعونك على لوح تبريد مثل زاك أو إيوينغ وينتهي أمرك. من الأفضل لك أن تعيش كل يوم بيومه، هذا كل ما أريد قوله. إذا عاش الناس كل يوم بيومه، سيكونون أكثر سعادة بكثير".

"آه، يا له من كلام فارغ"، قال ماكفريز.

"حقاً؟"، صاح غارّاتي. "كم مقدار التخطيط الذي تقوم به؟".

"حسناً، لقد عدَّلتُ آفاقي الآن، هذا صحيح–".

"بالتأكيد هو صحيح"، قال غارّاتي بتجهّم. "الفرق الوحيد هو أننا ضالعون في الموت الآن".

ساد صمت مُطبِق بعد ذلك. نَزَع هاركْنس نظاراته وبدأ يلمّعها. بدا أولسون شاحباً أكثر بقليل. تمنّى غارّاتي لو أنه لم يقله؛ فقد تمادى كثيراً.

ثم قال شخص في الخلف بصوت واضح جداً: "اسمعوا، اسمعوا!".

نظر غارّاتي من حوله، وبالتأكيد كان ستابنز رغم أنه لم يسمع صوت ستابنز أبداً. لكن ستابنز لم يُعطِ أي إشارة. فقد كان ينظر إلى الطريق أمامه.

"أظن أنني تحمَّستُ"، تمتم غارّاتي، رغم أنه لم يكن الشخص الذي تحمَّس. بل كان زاك. "هل يريد أحدكم كعكةً؟".

وزَّع الكعكات، وكانت الساعة الخامسة. بدت الشمس كما لو أنها تجمَّدت في منتصف مسافتها فوق الأفق. قد يكون كوكب الأرض توقف عن الدوران. القنادس الثلاثة أو الأربعة المتلهّفون الذين كانوا لا يزالون في المقدمة تراجعوا إلى الخلف إلى أن أصبحوا يبعدون أقل من خمسين متراً أمام المجموعة الرئيسية.

بدا لغارّاتي أن الطريق أصبحت تركيبةً خبيثةً من منحدرات صاعدة من دون المنحدرات الهابطة الموازية لها. كان يفكّر أنه إذا كان هذا صحيحاً، فسينتهي بهم الأمر يتنفّسون من خلال أقنعة أكسجين قريباً عندما داست قدمه على حزام مرمي فيه أنابيب معجون مركَّز. فرفع نظره متفاجئاً. كان أولسون. كانت يداه ترتعشان عند خصره. وكان هناك عبوس تفاجؤ على وجهه.

"لقد أوقعتُه"، قال. "أردتُ أن آكل شيئاً وأوقعتُه". ضحِك، كما لو أنه يريد إظهار سذاجة ما حصل. توقفت الضحكة فجأة. "أنا جائع"، قال.

لم يُجب أحدٌ. بحلول ذلك الوقت كان الجميع قد تجاوزه ولم تكن هناك أي فرصة لرفعه. اِلتفَت غارّاتي إلى الوراء ورأى حزام طعام أولسون جالساً على خط المرور الأبيض المتقطِّع.

"أنا جائع"، كرَّر أولسون بهدوء.

الرائد يحبّ رؤية شخص يتوق إلى الانطلاق، ألم يكن هذا ما قاله أولسون عندما عاد بعد الحصول على رقمه؟ لم يعد أولسون يبدو أنه يتوق إلى الانطلاق. نَظَر غارّاتي إلى جيوب حزامه. كان قد بقيت معه ثلاثة أنابيب معجون مركَّز، زائد قطع البسكويت الهشّ والجبنة. لكن الجبنة كانت كريهة جداً.

"خذ"، قال، وأعطى أولسون الجبنة.

لم يقل أولسون شيئاً، لكنه أكَل الجبنة.

"فارس شهم"، قال ماكفريز، بنفس تلك الابتسامة المائلة.

عند الخامسة والنصف كان الهواء مليئاً بالدخان مع الشَفَق، وبعض اليراعات الـمُبكرة ترفرف بلا هدف في الهواء. وتخثَّر ضبابٌ في الخنادق والأخاديد السفلية للحقول. سأل شخص أمامهم ماذا

يحصل إذا تكثَّف الضباب وخرج أحدٌ عن حدود الطريق عن طريق الخطأ.

عاد صوت باركوفيتش الجليّ بسرعة وبغض: "ما رأيك أيها الأبله؟".

هلك أربعةٌ، فكّر غارّاتي في سرّه. ثماني ساعات ونصف على الطريق وأربعة فقط هلكوا. شعر ببعض الانقباض في معدته. لن أصمد أطول منهم كلهم أبداً، فكّر في سرّه. ليس كلهم. لكن من جهة أخرى، لما لا؟ يجب أن يحقّق أحدهم ذلك.

تضاءل الكلام مع ضوءِ النهار. وكان الصمت الذي حلّ بينهم ثقيلاً. الظلام الزاحف، الضباب المتجمّعِ في أحواض متخثِّرةٍ صغيرة... بدا كل ذلك حقيقياً جداً وغير طبيعي كلياً لأول مرة، وأراد إما جانيس أو أمه، أي امرأة، وتساءل ما هذا الأمر اللعين الذي يفعله وكيف تورَّط فيه من الأصل. لا يمكنه حتى أن يضحك على نفسه بأن كل شيء لا يجري أمامه، لأنه كان كذلك. وحتى إنه لم يفعل ذلك لوحده. بل كان هناك حالياً خمسة وتسعون مغفَّلاً آخر في هذا الاستعراض.

عادت كُرة المُخاط إلى حنجرته من جديد، مما صعَّب البلع عليه. أدرَك أن شخصاً أمامهم كان يشهق بلطف. لم يسمع الصوت يبدأ، ولا أحد لفت انتباهه إليه؛ كان الأمر كما لو أنه هناك من البداية.

ستة عشر كيلومتراً إلى كاريبو الآن، وستكون هناك بعض الأضواء على الأقل. الفكرة أبهجت غارّاتي قليلاً. كان الوضع على ما يرام في النهاية، أليس كذلك؟ فقد كان حيّاً، ولا داعي للتفكير مسبقاً بالوقت الذي قد لا يكون حيّاً فيه. مثلما قال ماكفريز، كل المسألة مجرد تعديل آفاق.

عند السادسة والرُبع، وصل الخبر عن فتى يدعى ترافين، أحد السائرين في الطليعة الذي كان يتراجع ببطء الآن إلى المجموعة الرئيسية. لقد أُصيب ترافين بإسهال. سمِع غارّاتي الخبر ولم يظن أنه صحيح، لكنه عندما رأى ترافين عرِف أنه صحيح. كان الفتى يسير رافعاً بنطلونه إلى أعلى في الوقت نفسه، وينال تحذيراً كلما قرفص. تساءل غارّاتي لماذا لا يدعه ترافين يسيل على رجليه. أن تكون قذراً أفضل من أن تكون ميتاً.

كان ترافين منحنياً، ويسير مثل ستابنز مع شطيرته، وكلما ارتجَف عرِف غارّاتي أنه تعرَّض لتشنّج آخر في معدته. شعَر غارّاتي بالاشمئزاز. لم يكن هناك أي شيء فاتن في هذا، ولا شيء سري. كان فتىً يعاني من وجع في بطنه، هذا كل شيء، ومن المستحيل الشعور بأي شيء سوى القرف وببعض الرعب الغريزي. شعر ببعض الغثيان في معدته.

راح الجنود يراقبون ترافين بشكل دقيق. يراقبون وينتظرون. أخيراً انحنى ترافين في نصف قرفصاء وكاد يقع، وأطلق عليه الجنود النار وهو مُخفِض بنطلونه. تدحرَج ترافين وابتسم للسماء، بشكل بشع ومثير للشفقة. تقيأ أحدهم بصخب ونال تحذيراً. بدا غارّاتي كما لو أنه تقيأ كامل محتويات معدته.

"سيكون التالي"، قال هارْكْنس بنبرة جدّية.

"اصمت"، قال غارّاتي بصوت مختنق. "ألا يمكنك أن تصمت؟".

لم يردّ أحدٌ. بدا هارْكْنس خجِلاً وبدأ يلمّع نظاراته مرة أخرى. لم تُطلَق النار على الفتى الذي تقيأ.

مرّوا بمجموعة مراهقين مبتهِجين يجلسون على بطانية ويشربون الكولا. تعرَّفوا على غارّاتي وصفّقوا له وقوفاً. جَعَله هذا يشعر بعدم ارتياح. كان صدر إحدى الفتيات كبيراً جداً. وكان حبيبها يراقبه يهتزّ وهي تقفز إلى الأعلى والأسفل. قرَّر غارّاتي أنه كان يتحوَّل إلى مهووس بالعلاقات الحميمة.

"انظر إليهما"، قال بيرسون. "يا للروعة، يا للروعة".

تساءل غارّاتي إن كانت بِكراً، مثله.

مرّوا ببركة ساكنة تكاد تكون دائرية تماماً، وعليها غشاء رقيق من الضباب. بدت أشبه بمرآة ملبَّدة بالغيوم، وفي التشابك الغامض للنباتات المائية المتزايدة حول الحافة، سمعوا نقيقاً أجش لضفدع كبير. شعر غارّاتي أن البركة أحد أجمل الأشياء التي رآها في حياته.

"هذه ولاية كبيرة جداً"، قال باركوفيتش من مكان ما أمامهم.

"هذا الشاب يزعجني كثيراً"، قال ماكفريز بوقار. "هدفي الوحيد في الحياة الآن هو الصمود أطول منه".

كان أولسون يتلو دعاءً.

نَظَر إليه غارّاتي، قلِقاً.

"كم تحذير لديه؟"، سأل بيرسون.

"لا أعرف"، قال بايكر.

"نعم، لكنه لا يبدو بحالة جيدة".

"في هذه المرحلة، لا أحد منا يبدو بحالة جيدة"، قال ماكفريز.

ساد صمت آخر. أدرَك غارّاتي لأول مرة أن قدميه تؤلمانه. ليس رجلَيه فقط، اللتين كانتا تُزعجانه منذ بعض الوقت، بل قدميه. لاحَظ أنه كان يسير على الجهة الخارجية للنعال عن غير إدراك، لكنه يطأ الأرض بكامل سطح قدمه بين الحين والآخر ويجفَل. أغلق سحّاب سترته بالكامل وقلَبَ الياقة على عنقه. كان الهواء لا يزال رطباً وبارداً.

"انظروا إلى هناك!"، قال ماكفريز بابتهاج.

نظر غارّاتي والآخرون إلى اليسار. كانوا يمرّون بجانب مقبرة تقع على أعلى رابية عشبية صغيرة يحيط بها جدار حجري، والضباب تسلَّل ببطء حول شواهد القبور المائلة. كان هناك تمثال ذو يد مكسورة يحدِّق بهم بعينين فارغتين. وقد جثم طيرٌ على أعلى سارية علم صدئة متروكة من عيد وطني ما وراح ينظر إليهم بغرور.

"أول مقبرة لنا"، قال ماكفريز. "إنها على جهتك يا راي، لذا تخسر كل نقاطك. هل تتذكّر تلك اللعبة؟".

"أنت تتكلم كثيراً"، قال أولسون فجأة.

"ما مشكلة المقابر يا عزيزي هنري؟ إنه مكان ممتاز وخصوصي، مثلما قال الشاعر. نعش لطيف مانع للماء–".

"اصمت فقط!".

"آه، يا للخطر"، قال ماكفريز. وَمَضت ندبته ببياض قوي في ضوء النهار الـمُحتضَر. "لا تمانع حقاً من فكرة الموت، أليس كذلك يا أولسون؟ مثلما قال الشاعر أيضاً، ليس الموت بحد ذاته، بل الاستلقاء لفترة طويلة في القبر. هل هذا ما يزعجك أيها المغفَّل؟"، بدأ ماكفريز يصيح. "حسناً، ابتهج يا عزيزي! هناك يوم أكثر إشراقاً قاد–".

"اتركه وشأنه"، قال بايكر بهدوء.

"لماذا عليَّ أن أفعل ذلك؟ فهو مشغول في إقناع نفسه أنه يستطيع أن يغادر متى يشاء. أنه إذا استسلم ببساطة، لن يكون ذلك سيئاً بقدر الباقين. حسناً، لن أدعه يُفلِت من العواقب".

"إذا لم يمت، ستموت أنت"، قال غارّاتي.

"أجل، إنني أتذكر"، قال ماكفريز، وابتسم لغارّاتي ابتسامته المائلة... ما عدا أنها كانت خالية من أي فكاهة هذه المرة. فجأة بدا ماكفريز غاضباً، وكاد غارّاتي يخاف منه. "هو مَن ينسى. هذا الأحمق".

"لم أعد أريد القيام بهذا"، قال أولسون بصوت أجوف. "لقد قرِفتُ".

"تتوق إلى الانطلاق"، قال ماكفريز وقد استدار نحوه. "أليس هذا ما قلته؟ اللعنة إذاً. لماذا لا تستسلم ببساطة؟".

"اتركه وشأنه"، قال غارّاتي.

"اسمع يا راي–".

"لا، اسمع أنت. يكفينا باركوفيتش واحد. دعه يُنجز هذا بطريقته الخاصة. لا فرسان، تذكَّر".

ابتسم ماكفريز مرة أخرى. "حسناً يا غارّاتي. ليكن ما تشاء".

لم يقل أولسون شيئاً. بل اكتفى يقطعها وينتهي منها.

حلَّ ظلام دامس عند السادسة والنصف. وكان يمكنهم رؤية كاريبو، التي تبعد الآن تسعة كيلومترات ونصف فقط، في الأفق كتوهّج معتم. كان هناك عدد قليل من الأشخاص على الطريق لكي يروهم يدخلون البلدة. يبدو أنهم ذهبوا كلهم إلى منازلهم لتناول العشاء. كان الضباب قارساً حول قدمي راي غارّاتي. واستقرّ على التلال في رايات شبحية مترنّحة. كانت النجوم أكثر إشراقاً فوق رؤوسهم، وكوكب الزُهرة يتوهج بثبات، والدب الأكبر في مكانه الاعتيادي. لطالما كان بارعاً في الكوكبات. أشار إلى ذات الكرسي لبيرسون، الذي نخَر فقط.

تذكّر جانيس، فتاته، وشَعَر بوخزة ذنب بشأن الفتاة التي قبَّلها سابقاً. لم يعد قادراً على تذكّر شكل تلك الفتاة بالضبط، لكنها حمَّسته. وضع يده على مؤخرتها بتلك الطريقة حمَّسه – ماذا كان سيحصل لو حاوَل وضع يده بين رجليها؟ شعَر بضغط بين منفرج ساقيه جَعَله يجفل قليلاً وهو يسير.

كان شعر جانيس طويلاً، يصل إلى خصرها تقريباً. كانت في السادسة عشرة. لم يكن صدرها كبيراً كصدر تلك الفتاة التي قبَّلته. لقد لعب بصدرها كثيراً. وكان ذلك يدفعه إلى الجنون. لم تكن تدعه يقيم علاقة حميمة معها، ولم يعرف كيف يجعلها تقبل. لقد أرادت ذلك، لكنها كانت تمانع. كان غارّاتي يعرف أن بعض الفتيان يستطيعون فعل ذلك، يستطيعون جعل الفتاة تتماشى معهم، لكن لم يبدُ أنه يملك ما يكفي من قوة الشخصية – أو ربما من قوة الإرادة – ليُقنِعها. تساءل كم فتى في المسيرة هنا كان بِكراً. اعتبر غريبل أن الرائد قاتل. تساءل إن كان غريبل بِكراً. قرَّر أن غريبل بكرٌ على الأرجح.

مرّوا قرب حدود مدينة كاريبو. كان هناك حَشد كبير، وشاحنة أخبار من إحدى المحطات التلفزيونية. ومجموعة من الأضواء تغمر الطريق في وهج أبيض دافئ. كان ذلك أشبه بدخول بُقعة دافئة مفاجئة من ضوء الشمس، والخوض فيها، ثم الظهور منها مرة أخرى.

خَبَّ إلى جانبهم صحافي سمين يرتدي حلّة كاملة، ودفعَ بميكروفونه الطويل الذراع في وجه مختلف السائرين. وكان خلفه تقنيان نشطان يكرّان أسطوانة سلك كهربائي.

"ما شعورك؟".

"بخير. أظن أنني أشعر بخير".

"هل تشعر بالتعب؟".

"نعم، حسناً، أنت تعرف. نعم. لكنني لا أزال بخير".

"ما برأيك هي فرصك الآن؟".

"لا أعرف... لا بأس، أظن. لا أزال أشعر أنني قوي جداً".

ثم سأل شاباً ضخماً، سكرام، عن رأيه بالمسيرة الطويلة. ابتسم سكرام، وقال إنه أكثر شيء لعين رآه في حياته، وقام المراسِل الصحفي بحركة قصقصة بأصابعه للتقنيَين. فأومأ أحدهما برأسه له بتثاقل.

بعدها بوقت قصير، نَفَد منه سلك الميكروفون وبدأ يعود إلى عربته الجوّالة، محاولاً تجنّب حصول تشابك في السلك الممدود. وراح الحَشد، المسرور من وجود طاقم التلفزيون بقدر سروره من وجود المشاركين في المسيرة الطويلة، يبتهَج بحماسة. وراحوا يرفعون ويُخفضون بشكل إيقاعي

مُلصقات إعلانية للرائد منصوبة على عُصي خام وجديدة لدرجة أنها كانت لا تزال تُفرز نُسغاً. وعندما جالت الكاميرات فوقهم، ابتهَجوا بشكل مضطرب أكثر من السابق ولوَّحوا للعمّة بتّي والعمّ فْرَد.

انعطفوا انعطافةً ومرّوا بمتجر صغير كان مالكه، وهو رجل صغير يرتدي ملابس بيضاء ملطَّخة، قد أعدَّ برّاد مشروبات غازية فوقه لافتة تقول: مجاناً للمشاركين في المسيرة الطويلة!! تقدمة متجر "أف"! كانت هناك سيارةِ شرطة مركونة في مكان قريب، وكان الشرطيان يشرحان بصبر للسيد أف، مثلما يحصل بلا شك كل سنة، أن القوانين لا تسمح للمتفرّجين بتقديم أي نوع من المساعدة – بما في ذلك المشروبات الغازية – للسائرين.

مرّوا بمصنع الورق في كاريبو، وهو بناء ضخم مُسَوَّد بالسُخام على ضفاف نهر قذر. كان العمال مصطفين عند السياجات السلكية، مبتهِجين بدماثة ويلوِّحون بأياديهم. صفرت صفّارةٌ مع مرور آخر السائرين – ستابنز – ورآهم غارّاتي، الذي اِلتفَت إلى الوراء، يندفعون إلى الداخل من جديد.

"هل سألك؟"، قال صوت حاد لغارّاتي بنبرةِ استفسارية. أخفَض غارّاتي نظره نحو غاري باركوفيتش وهو يشعر بإرهاق كبير.

"مَن سألني ماذا؟".

"المراسِل الصحفي يا أبله. هل سألك ما شعورك؟".

"لا، لم يصل إليَّ". تمنّى لو يذهب عنه باركوفيتش. تمنّى لو يذهب عنه الألم الكبير الذي في نعلَي قدميه.

"لقد سألني"، قال باركوفيتش. "هل تعرف ماذا قلتُ له؟".

"ماذا؟".

"قلتُ له إنني أشعر بخير"، قال باركوفيتش بعدوانية. كانت قبعة المطر لا تزال تتخبَّط في جيبه الخلفي. "قلتُ له إنني أشعر بقوة حقيقية. قلتُ له إنني أشعر بالقدرة على الاستمرار إلى الأبد. وهل تعرف ماذا قلتُ له أيضاً؟".

"آه، اصمت"، قال بيرسون.

"مَن سألك أيها الطويل البشع؟"، قال باركوفيتش.

"ابتعد"، قال ماكفريز. "أنت تسبِّب لي صُداعاً".

شاعراً بالإهانة مرة أخرى، تقدَّم باركوفيتش في الخط وأمسَك كولي باركر. "هل سألك ما–".

"اخرج من هنا قبل أن أنزع أنفك اللعين وأجعلك تأكله"، قال كولي باركر بغضب شديد. فابتعد باركوفيتش بسرعة. كان الصيت الذائع عن كولي باركر أنه شخص شرير.

"هذا الشاب يُفقدني أعصابي"، قال بيرسون.

"سيسرُّه سماع هذا"، قال ماكفريز. "يعجبه ذلك. قال أيضاً لذلك المراسِل الصحفي إنه خطَّط ليرقص على قبور كثيرة. وهو جدّي، أيضاً. هذا ما يُبقيه صامداً".

"أظنّ أنني سأعرقله عندما يقترب في المرة القادمة"، قال أولسون. بدا صوته مملاً ومستنزَفاً.

"توت–توت"، قال ماكفريز. "القاعدة 8، لا تتدخَّل بزملائك السائرين".

"أنت تعرف ماذا يمكنك أن تفعل بالقاعدة 8"، قال أولسون بابتسامة شاحبة.

"انتبه"، ابتسم ماكفريز، "لقد بدأتَ تبدو حيوياً من جديد".

بحلول السابعة مساءً، بدأت السرعة، التي كانت قريبة جداً من الحد الأدنى، ترتفع قليلاً. كان الجو بارداً وإذا سرتَ بشكل أسرع ستصبح أكثر دفئاً. مرّوا تحت المعبر الفوقي لطريق رئيسي، وهتف لهم عدة أشخاص بأفواه ممتلئة بكعكات دونات من المتجر المسوَّر بالزجاج الذي يقع بالقرب من قاعدة منحَدَر المخرَج.

"سنصل إلى الطريق الرئيسي في مكان ما، أليس كذلك؟"، سأل بايكر.

"في أولدتاون"، قال غارّاتي. "بعد حوالي مئة وتسعين كيلومتراً".

صفَّر هاركْنس.

بعد فترة قصيرة من ذلك، دخلوا وسط مدينة كاريبو. كانوا يبعدون سبعين كيلومتراً عن نقطة انطلاقهم.

الفصل 4

"أفضل برامج الألعاب هو الذي

يُقتَل فيه المتسابِق الخاسر".

– تشاك بارّس
مبتكر برامج ألعاب
مقدِّم البرنامج التلفزيوني The Gong Show

خاب أمل الجميع من كاريبو.

فقد كانت مثل لايمستون بالضبط.

كانت الحشود أكبر، لكن ما عدا ذلك كانت مجرد بلدة أخرى تضم عدداً من المتاجر ومحطات الوقود، ومركز تسوّق واحد كان يقدِّم، وفقاً للافتات المعلَّقة في كل مكان، "حسوماتنا السنوية الفُجائية!"، ومنتزه فيه نصب تذكاري للحرب. كانت هناك فرقة موسيقية رديئة للمدرسة الثانوية تعزف النشيد الوطني، ثم مزيجاً من الألحان العسكرية، ثم، بطريقة سيئة للغاية لدرجة أنها كادت أن تكون مروِّعة، مقطوعة الزحف إلى بريتوريا.

نفس المرأة التي سبَّبت هرجاً ومرجاً عند مفترقات الطرق حتى الآن ظهرت مرة أخرى. كانت لا تزال تبحث عن بيرسي. تمكَّنت هذه المرة من اختراق طَوق الشرطة ووصلت إلى الطريق. شقّت طريقها بين الفتيان، وجعلت أحدهم يتعثّر عن غير قصد. كانت تصيح لبيرسي بأن يعود إلى المنزل حالاً. جهَّز الجنود بنادقهم، وبدا للحظة أن أم بيرسي ستشتري لنفسها بطاقة تدخُّل. ثم أمسك شرطي

بيدها وسحبها بعيداً. كان هناك فتى صغير يجلس على برميل ويأكل شطيرة نقانق ويراقب رجال الشرطة يضعون أم بيرسي في إحدى سياراتهم. كانت أم بيرسي أبرز حدث خلال عبور كاريبو.

"ماذا يأتي بعد أولدتاون يا راي؟"، سأل ماكفريز.

"لستُ خريطة سير"، قال غارّاتي بانزعاج. "أظن بانغور. ثم أوغستا. ثم كيتيري وحدود الولاية، حوالي خمسمئة وثلاثين كيلومتراً من هنا. تقريباً. اتفقنا؟ هذا كل ما أعرفه".

صفَّر أحدهم. "خمسمئة وثلاثون كيلومتراً".

"لا يُصدَّق"، قال هاركْنس باكتئاب.

"الأمر اللعين بأكمله لا يُصدَّق"، قال ماكفريز. "أتساءل أين الرائد؟".

"عند حبيبته في أوغستا"، قال أولسون.

ابتسموا جميعاً، وفكَّر غارّاتي بمدى غرابة وضع الرائد، الذي تقهقهر من شخص فائق الاحترام إلى مكروه في عشر ساعات فقط.

غادر خمسة وتسعون. لكن ذلك لم يعد أسوأ شيء. فأسوأ شيء كان محاولة تخيّل ماكفريز يصدِّق ذلك، أو بايكر. أو هاركْنس بفكرة كتابه الساذجة. طرد الفكرة من ذهنه.

بعدما أصبحت كاريبو خلفهم، كاد الطريق يصبح مهجوراً. مَرّوا بمفترقات طرق ريفية تحتوي على عمود إنارة واحد مرتفع عالياً فوقهم، كان يجعل ظلالهم تبدو سوداء متموجة. صفَّر قطارٌ من بعيد بسخرية. وألقى القمر ضوءاً مريباً على الضباب، مما جعله يبدو لؤلؤياً وبرّاقاً في الحقول.

شرب غارّاتي رشفة ماء.

"تحذير! تحذير لـ 12! هذا هو تحذيرك الأخير يا 12!".

كان 12 فتىً يدعى فنترْ يرتدي قميصاً تائياً تذكارياً مكتوب عليه "ركبتُ السكة الحديدية ذات التروس لجبل واشنطن". كان فنترْ يلعق شفتيه. وتقول الأخبار أن قدميه تصلَّبتا عليه بشكل سيئ. عندما أُطلق عليه النار بعد عشر دقائق، لم يكترث غارّاتي كثيراً. فقد كان مُتعَباً جداً. سار حول فنترْ. وعندما أخفض نظره رأى شيئاً يلمع في يد فنترْ. ميدالية سانت كريستوفر.

"إذا نجوتُ من هذا"، قال ماكفريز فجأة، "هل تعرفون ماذا سأفعل؟".

"ماذا؟"، سأل بايكر.

"سأواصل المجامعة إلى أن يزرقَّ كل جسمي. لم أشعر أبداً في حياتي بالاستثارة التي أشعر بها في هذه الدقيقة، في الثامنة والرُبع في الأول من مايو".

"هل أنت جديّ؟"، سأل غارّاتي.

"نعم"، أكَّد ماكفريز. "يمكنني حتى أن أصبح مستثاراً عليك يا راي لو لم تكن تحتاج إلى أن تحلِق ذقنك".

ضحِك غارّاتي.

"أمير الأحلام، هذا أنا"، قال ماكفريز. ولمس الندبة التي على خده. "كل ما أحتاج إليه الآن هو الجميلة النائمة. يمكنني إيقاظها بقبلة كبيرة وسنُبحر كلانا في الغروب. على الأقل إلى أقرب فندق".

"سِر"، قال أولسون بسأم.

"ماذا؟".

"سِر في الغروب".

"السير في الغروب، حسناً"، قال ماكفريز. "الحب الحقيقي في الحالتين. هل تصدِّق وجود الحب الحقيقي يا عزيزي هانك؟".

"أصدِّق وجود علاقات حميمة جيدة"، قال أولسون، وانفجر آرت بايكر في الضحك.

"أصدِّق وجود الحب الحقيقي"، قال غارّاتي، ثم ندم على قول ذلك. فقد بدا ساذجاً.

"هل تريد أن تعرف لماذا لا أصدِّق وجوده؟"، قال أولسون. ثم نظر إلى غارّاتي وابتسم ابتسامة مستترة مخيفة. "اسأل فنترْ. اسأل زاك. هما يعرفان".

"يا له من موقف لعين"، قال بيرسون. كان قد خرج من الظلام من مكان ما وراح يسير معهم مرة أخرى. كان بيرسون يعرج، ليس بشكل سيئ، لكن بوضوح تام.

"لا، ليس موقفاً لعيناً"، قال ماكفريز، ثم أضاف بشكل غامض بعد لحظة: "لا أحد يحبّ

الموتى".

"إدغار آلان بو كان يحبّهم"، قال بايكر. "لقد أعددتُ تقريراً عنه في المدرسة ووجدتُ أنه كانت لديه ميول لمج–لمجا–".

"لمجامعة جثة"، قال غارّاتي.

"نعم، هذا صحيح".

"ماذا تقصد؟"، سأل بيرسون.

"أقصد أن يكون لدى المرء رغبة ليقيم علاقة حميمة مع امرأة ميتة"، قال بايكر. "أو مع رجل ميت، إذا كنتَ امرأة".

"أو إذا كنتَ فاكهةً"، علَّق ماكفريز.

"كيف فتحنا هذا الموضوع اللعين؟"، قال أولسون معترضاً. "فقط كيف فتحنا موضوع مجامعة الموتى؟ هذا مقرف جداً".

"لما لا؟"، قال صوت عميق كئيب. كان أبراهام، حامل الرقم 2. كان طويلاً ومفكَّك المظهر؛ ويسير بتثاقل دائم. "أعتقد أن علينا جميعاً أخذ لحظة أو لحظتين للتفكير بنوع العلاقات الحميمة في العالم الآخر".

"أريد مارلين مونرو"، قال ماكفريز. "يمكنك أخذ إليانور روزفلت، يا عزيزي آبي".

مدَّ له أبراهام إصبعه. أمامهم، وجَّه له أحد الجنود تحذيراً.

"مهلاً لحظة. مهلاً لحظة لعينة". تكلَّم أولسون ببطء، كما لو أنه يجد صعوبة هائلة في التعبير. "خرجتم كلكم عن الموضوع".

"النوعية المتسامية للحب، محاضرة للفيلسوف الأثيوبي الشهير هنري أولسون"، قال ماكفريز. "مؤلف الخوخة ليست خوخة من دون نواة وأعمال أخرى عن–".

"انتظر!"، صرَخ أولسون. كان صوته حاداً كتحطّم الزجاج. "انتظر لحظة لعينة! الحب خدعة! لا شيء! كذبة كبيرة! مفهوم؟".

لم يردّ أحدٌ. نظر غارّاتي أمامه، حيث تلتقي التلال الداكنة بظلمة السماء المثقوبة بالنجوم. تساءل إن كان لا يمكنه الشعور بالوخزات الباهتة الأولى للتشنّج في قوس قدمه اليسرى. أريد أن أجلس، فكّر في سرّه بانزعاج. اللعنة على كل شيء، أريد أن أجلس.

"الحب مزيَّف!"، كان أولسون يقول بصوتٍ عالٍ. "هناك ثلاث حقائق كبرى في العالم وهي وجبة طعام جيدة، ومجامعة جيدة، وتبرُّز جيد، فقط لا غير! وعندما يحصل لك ما حصل لفنترْ وزاك–".

"اصمت"، قال صوت ضجِر، وعرِف غارّاتي أنه ستابنز. لكنه عندما اِلتفَت إلى الوراء، كان ستابنز ينظر إلى الطريق فحسب ويسير بالقرب من الحافة اليسرى.

مرّت طائرة نفّاثة فوقهم، مخلِّفةً صوت محرّكاتها خلفها وراسمةً خطاً زغباً في سماء الليل. مرَّت على علو منخفض كفاية ليكونوا قادرين على رؤية أضوائها الأمامية، التي تتبدَّل بين الأصفر والأخضر. كان بايكر يصفِّر مرة أخرى. وترك غارّاتي جفنيه ينغلقان تقريباً كلياً. وراحت قدماه تتحرّكان من تلقاء نفسيهما.

بدأ ذهنه نصف النائم ينزلق عن سيطرته. وبدأت أفكار عشوائية تطارد بعضها البعض بكسل في حقله. تذكَّر أمه وهي تغنّي له تهويدة إيرلندية عندما كان صغيراً جداً... أغنية عن القواقع وبلح البحر، الحيّة، الحيّة. ووجهها، الضخم والجميل جداً، مثل وجه ممثلة على شاشة السينما. أراد أن يقبّلها ويبقى يحبّها إلى الأبد. عندما يكبُر، سيتزوَّجها.

كل هذا حل محله وجه جانيس البولندي البَشوش وشعرها الداكن الذي يكاد يصل إلى خصرها. كانت ترتدي ثوب سباحة ذا قطعتين تحت رداء بحري قصير لأنهما كانا ذاهبان إلى شاطئ ريد. غارّاتي نفسه كان يرتدي شورتاً متعرّجاً وصندلاً.

زالت جانيس. وأصبح وجهها وجه جيمي أوينز، الولد الذي يسكن في آخر شارعه. كان وجيمي في الخامسة من عمريهما عندما قبضت عليهما أم جيمي يلعبان لعبة عيادة الطبيب في حفرة الرمل خلف منزل جيمي. كان هناك انتصاب لدى الاثنين. اتصلت أم جيمي بأمه فأتت أمه وأخذته وأجلسته في غرفة نومها وسألته عن شعوره إذا جَعَلته يخرج ويسير عارياً في الشارع من دون أي ملابس. انقبض جسمه النعِس من الإحراج المتذلِّل، من الخِزي العميق. كان قد بدأ يبكي ويتوسَّل عدم جعله ينزل الشارع من دون ملابس... وعدم إخبار أبيه.

بعد سبع سنوات على تلك الحادثة، كان وجيمي أوينز يتلصلصان على تقاويم السيدات العاريات عبر النافذة الوسخة لمكتب مواد البناء، دون معرفة ما كانا ينظران إليه حقاً، وهما يشعران بانتشار إثارة مُخزية مشوِّقة في جسميهما من شيء. من شيء ما. كانت هناك سيدة شقراء لفَّت قطعة حرير زرقاء على وركَيها وبقيا يحدِّقان فيها لمدة طويلة جداً. تجادَلا عما يمكن أن يكون هناك تحت قطعة القماش. قال جيمي إنه رأى أمه عارية. قال جيمي إنه يعرِف. قال جيمي إنه يوجد شيء كثير الشعر فيه شقٌّ. رفض أن يصدِّق جيمي، لأن ما قاله جيمي كان مثيراً للإشمئزاز.

ومع ذلك كان لا يزال متأكداً أن السيدات لا شك مختلفات عن الرجال في ذلك الموقع من أجسادهن، وقد أمضيا غسقاً صيفياً أرجوانياً طويلاً يناقشان ذلك، ويُبعدان البعوض ويشاهدان مباراة بيسبول بدائية في مرأب شركة النقل في الجانب المقابل لشارع مكتب مواد البناء. كان يمكنه أن يشعر، أن يشعر حقاً في حلمه نصف المستيقظ بحافة الرصيف القاسية تحت مؤخرته.

في السنة التالية لكَمَ جيمي أوينز على فمه بسبطانة بندقيته الهوائية بينما كانا يلعبان، واحتاج جيمي إلى أربع غُرَز في شفته العليا. ابتعَدا عن بعضهما في السنة التي تلت ذلك. لم يتقصَّد أن يضرب جيمي على فمه. كان ذلك حادثاً. كان متأكداً من ذلك، رغم أنه كان يعرف وقتها أن جيمي على حق لأنه رأى أمه عارية (لم يتقصَّد أن يراها عارية – كان ذلك حادثاً). كان ذلك المكان كثير الشعر. كثير الشعر وفيه شقٌّ.

صه، ليس نمراً يا عزيزي، فقط الدبدوب الخاص بك، هل ترى؟... القواقع وبلح البحر، الحيّة، الحيّة... الأم تحبّ ابنها... صه... نَم يا بُنيّ...

"تحذير! تحذير ل. 47!".

نكَزه مِرفقٌ بفظاظة في أضلاعه. "يا فتى. انهض وتنشَّط". كان ماكفريز يبتسم له.

"كم الساعة الآن؟"، سأل غارّاتي ببلادة.

"الثامنة وخمسة وثلاثون".

"لكنني كنتُ–".

"–تكبو لساعات"، قال ماكفريز. "أعرف الشعور".

"حسناً، هكذا بدا بالتأكيد".

"هذا ذهنك"، قال ماكفريز، "يستخدم كُوّة الهروب القديمة. ألا تتمنى لو تستطيع قدماك فعل ذلك؟".

"أستخدم القرص الدوّار"، قال بيرسون، راسماً تعبير بلاهة على وجهه. "ألا تتمنى لو يستطيع كل شخص فعل ذلك؟".

شعرَ غارّاتي أن الذكريات أشبه بخط مرسوم على التراب. وكلما عدتَ أكثر في الذاكرة، كلما ازدادت صعوبة رؤية ذلك الخط. إلى أن لا يعود هناك شيء في النهاية سوى رمل ناعم والفجوة السوداء للعدم الذي خرجت منه. كانت الذكريات تشبه الطريق بطريقة أو بأخرى. هنا كان حقيقياً وصلباً وملموساً. لكن ذلك الطريق الـمُبكر، تلك المرأة في طريق الصباح، كان بعيداً في الماضي وبلا معنى.

كانوا قد قطعوا حوالي ثمانين كيلومتراً في المسيرة. وصل الخبر أن الرائد سيمرّ في جيبه ليطمئن عليهم ويلقي خطاباً قصيراً عندما يصلون إلى نقطة الثمانين كيلومتراً. شعرَ غارّاتي أن هذا هراء على الأرجح.

صعِدوا هضبة طويلة حادة، وشعرَ غارّاتي برغبة قوية ليخلع سترته مرة أخرى. لكنه لم يفعل ذلك. بل فك السحّاب، ثم سار عكسياً لدقيقة. كانت أضواء كاريبو تلمع له، وتذكّر المرأة في التاريخ التي اِلتفَتت إلى الوراء وتحوَّلت إلى عمود ملح.

"تحذير! تحذير لـ 47! التحذير الثاني يا 47!".

احتاج غارّاتي إلى لحظة ليُدرك أنه المقصود. تحذيره الثاني في عشر دقائق. بدأ يشعر بالخوف مرة أخرى. تذكّر الفتى المجهول الذي مات لأنه أبطأ مرات أكثر من المسموح. هل هذا ما كان يفعله؟

نظر حوله. كان ماكفريز وهاركْنس وبايكر وأولسون يحدِّقون فيه. كان أولسون يستمتع بما يراه. وكان يمكنه رؤية ذلك التعبير على وجه أولسون حتى في الظلمة. لقد صمد أولسون لفترة أطول من ستة أشخاص. وأراد جعل غارّاتي المحظوظ السابع. أراد أن يموت غارّاتي.

"هل ترى أي شيء أخضر؟"، سأل غارّاتي بانزعاج.

"لا"، قال أولسون، وانزلقت عيناه بعيداً. "بالطبع لا".

سار غارّاتي بإصرار الآن، ملوِّحاً بذراعيه بعدوانية. كانت التاسعة إلا ثلث. وعند الحادية عشرة إلا ثلث – بعد ثلاثة عشر كيلومتراً – سيصبح حراً من جديد. شعَر برغبة هستيرية ليصرخ أنه قادر على تحقيق ذلك، أنهم ليسوا بحاجة إلى إرسال أي خبر عنه، أنهم لن يشاهدوه ينال بطاقة... على الأقل ليس بعد.

انتشر الضباب على الطريق في أشرطة رفيعة، مثل الدخان. وتحرّكت فيه أطياف الفتيان مثل زوارق داكنة هائمة على غير هدى. بعد ثمانين كيلومتراً في المسيرة مرّوا بمرآب صغير مغلقة جميع أبوابه وتوجد أمامه مضخّة وقود صدئة بالكامل. لم تكن سوى شكل مائل مُنذِر بالسوء في الضباب. كان الضوء الفلوري الواضح لكشك الهاتف يُلقي التوهّج الوحيد. لم يأت الرائد. لم يأت أحد.

انعطف الطريق بلطف، ثم رأوا لافتة صفراء أمامهم. وصل الخبر، لكن قبل أن يصل إلى غارّاتي كان قادراً على قراءة اللافتة لنفسه:

شاحنات الطرقات الشديدة الانحدار تستخدم سرعات بطيئة

تأوهات وأنين. في مكان ما أمامهم صاح باركوفيتش بمرح: "أسرعوا يا إخوتي! مَن يريد أن يسابقني إلى القمة؟".

"أغلق فمك اللعين، أيها المعتوه الصغير"، قال شخص بهدوء.

"اجعلني أيها الأبله!"، صاح باركوفيتش بقوة. "تعالَ إلى هنا واجعلني!".

"إنه يتصدَّع"، قال بايكر.

"لا"، ردَّ ماكفريز. "إنه يتمدَّد فقط. فالشباب الذين مثله لديهم قدرة هائلة على التمدّد".

كان صوت أولسون هادئاً بشكل مميت. "لا أعتقد أنه يمكنني تسلّق هذه التلة. ليس بسرعة ستة كيلومترات ونصف في الساعة".

امتدّت التلة فوقهم. كانوا قد وصلوا إلى أسفلها تقريباً. وكان من المستحيل رؤية قمتها في الضباب. كل ما نعرفه هو أنها قد ترتفع إلى ما لا نهاية، فكّر غارّاتي في سرّه.

بدأوا الصعود.

لم يكن الأمر صعباً، اكتشَف غارّاتي، إذا حدَّقت في قدميك أثناء السير وملتَ قليلاً إلى

الأمام. فإذا حدَّقت حصراً في البقعة الصغيرة التي بين قدميك، ستشعر كما لو أنك تسير على أرض مستوية. بالطبع، لن تستطيع أن تخدع نفسك بأن رئتيك والأنفاس في حنجرتك لم تكن تزداد سخونة، لأنها كانت تفعل ذلك حقاً.

بدأت الأخبار تصل بطريقة أو بأخرى – على ما يبدو أن بعض الأشخاص لا يزالون يملكون بعض الأنفاس الاحتياطية. وصل خبر أن طول هذه التلة هو أربعمئة متر. وصل خبر أن طولها ثلاثة كيلومترات. وصل خبر أنه لم يحدث أن نال أي سائرٍ بطاقةً على هذه التلة. وصل خبر أن ثلاثة فتيان نالوا بطاقات هنا السنة الماضية. وبعد ذلك، توقفت الأخبار عن الوصول.

"لا أستطيع أن أفعل هذا"، كان أولسون يقول برتابة. "لا أستطيع أن أفعل هذا بعد الآن". كانت أنفاسه متقطعة، لكنه واصل السير وواصل الجميع السير. أصبحت أصوات الخطوات الصغيرة والأنفاس الانفجارية الناعمة مسموعة بوضوح. والأصوات الوحيدة الأخرى كانت غناء أولسون، وأصوات جرّ أقدام عديدة، وصوت قرقعة محرّك العربة نصف المجنزَرة وهي تسير بجانبهم.

شعَر غارّاتي بالخوف المرتبِك في معدته يزداد. من الممكن جداً أن يموت هنا. لن يكون ذلك صعباً أبداً. فقد راح يلهو ونال تحذيرين على ذلك. لا يمكنه أن يتخطى الحدود المسموحة الآن. فكل ما يكفي فعله هو إبطاء وتيرته قليلاً وسينال التحذير الثالث والأخير. ثم...

"تحذير! تحذير لـ 70!".

"إنهم يعزفون أغنيتك يا أولسون"، قال ماكفريز. "ارفع قدميك. أريد أن أراك ترقص على هذه التلة مثل فْرَد أستير".

"ما الذي يهمّك؟"، سأل أولسون بشراسة.

لم يُجبه ماكفريز. ووجد أولسون بعض النشاط في داخله وتمكَّن من زيادة سرعته. تساءل غارّاتي بكآبة إن كان ذلك النشاط القليل الذي وجده أولسون كان آخر ما يملكه. وتساءل أيضاً عن ستابنز، في مؤخرة المجموعة هناك. كيف حالك يا ستابنز؟ هل بدأت تتعب؟

أمامهم، جلس فتى يدعى لارسون، 60، على الطريق فجأة. فنال تحذيراً. انقسم بقية الفتيان وراحوا يمرّون من حوله.

"سأرتاح قليلاً فقط، اتفقنا؟"، قال لارسون بابتسامة مضطربة. "لم يعد بإمكاني السير، اتفقنا؟".

اتّسعت ابتسامته، ووجَّهها نحو الجندي الذي قفز من العربة نصف المجنزَرة حاملاً بندقيته وساعة توقيته المصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ.

"تحذير يا 60"، قال الجندي. "التحذير الثاني".

"اسمع، سألحق بهم"، أسرَع لارسون يقول ليطمئنه. "أنا أستريح فقط. لا يستطيع المرء أن يسير طوال الوقت. ليس طوال الوقت. هل يستطيع ذلك يا أصحابي؟". أصدَرَ أولسون أنيناً خفيفاً أثناء مروره بجانب لارسون، ونَفَر عندما حاوَل لارسون أن يلمس ساق بنطلونه.

شعَر غارّاتي بنبضاته تخفق بحرارة في صدغيه. نال لارسون تحذيره الثالث. سيفهم الآن، فكّر غارّاتي في سرّه، سينهض الآن ويعاود الكدّ.

وفي النهاية، أدرك لارسون، على ما يبدو. فقد ضربه الواقع بشكل صادم. "مهلاً**!**"، قال لارسون خلفهم. كان صوته حاداً ومقلِقاً. "مهلاً لحظة، لا يمكنك فعل هذا، سأنهض. مهلاً، لا–".

الطلقة. صعدوا التلة.

"ثلاث وتسعون زجاجة عصير باقية على الرف"، قال ماكفريز بلطف.

لم يردّ غارّاتي. بل حدَّق في قدميه وسار مركِّزاً كل حواسه على الوصول إلى القمة من دون نيل ذلك التحذير الثالث. لا يُعقَل أن تستمر لمسافة أطول بكثير، هذه التلة اللعينة. بالتأكيد لا.

أطلقَ أحدهم صرخةً حادةً في الأمام، ثم لعلع صوت البنادق في انسجام.

"باركوفيتش"، قال بايكر بصوت أجش. "هذا كان باركوفيتش، أنا متأكداً من ذلك".

"خطأ يا عزيزي**!**"، صاح باركوفيتش من العتمة. "مُخطئ مئة بالمئة**!**".

لم يروا أبداً الفتى الذي أُطلق عليه النار بعد لارسون. كان جزءاً من مجموعة الطليعة، وقد سُحب إلى خارج الطريق قبل أن يصلوا إلى هناك. تجرأ غارّاتي على رفع نظره عن الرصيف، وتأسَّف فوراً. بالكاد استطاع رؤية قمة التلة. كان لا يزال عليهم السير مسافة توازي طول ملعب كرة القدم. بدت المسافة أشبه بمئة كيلومتر. لم يقل أحد شيئاً آخر. فقد انسحَب كل واحد منهم إلى عالمه الخاص من الألم والجهد. وبدت الثواني تمتدّ إلى ساعات.

بالقرب من قمة التلة، تفرَّع طريقٌ ترابيٌ تملؤه آثار عجلات من الطريق الرئيسي، وكان هناك

مُزارع يقف مع أفراد عائلته. راقبوا السائرين يمرّون – عجوز ذو حاجب مجعَّد جداً، وامرأة ذات وجه طويل وحاد الملامح ترتدي معطفاً ضخماً، وثلاثة أولاد مراهقين يبدون بلهاء.

"كل ما يحتاج إليه... هو مذراة"، قال ماكفريز لغارّاتي بتلهّف. كان وجه ماكفريز يتصبَّب عرقاً. "و... غرانت وود... ليرسمه".

نادى أحدهم: "مرحبا أيها الأب!".

لم يقل الـمُزارع وزوجته وأولاده شيئاً. الجبنة تقف لوحدها، فكّر غارّاتي في سرّه بجنون. وغنّى مطلع أغنية "الجبنة تقف لوحدها". لكن الـمُزارع وعائلته لم يبتسموا. ولم يعبسوا. لم يكونوا يحملون أي لافتة. ولم يلوِّحوا بأياديهم. بل اكتفوا بالمراقبة. تذكَّر غارّاتي أفلام الغرب الأميركي التي شاهدها في كل فترات بعد ظهر السبت أيام صباه، حيث يُترَك البطل ليموت في الصحراء وتأتي الصقور الحوّامة وتحوم فوقه. كان قد نُسي أمرهم، وهذا سرَّ غارّاتي. افترَض أن الـمُزارع وزوجته وأبناؤه البلهاء الثلاثة سيكونون هنا حوالي الساعة التاسعة في أول مايو التالي... والتالي... والتالي. كم عدد الفتيان الذين شاهدوا النار تُطلَق عليهم؟ عشرة؟ عشرين؟ لم يحبّذ غارّاتي التفكير بهذا. أخذ رشفة ماء من قِربته، وراح يتمضمض بها في فمه محاولاً التخلّص من اللعاب المتخثّر. ثم بصق ملء فمه.

استمرت التلة. أُغمي على تولاند أمامهم، وأُطلق عليه النار بعد أن حذَّر الجندي الذي بقي بجانبه جسمه غير الواعي ثلاث مرات. بدا لغارّاتي أنهم بدأوا يتسلَّقون التلة منذ شهر على الأقل. نعم، لا بدّ وأن يكون شهراً على الأقل، وهذا تقدير مخفَّف لأنهم لا يزالون يسيرون منذ أكثر من ثلاث سنوات. قهقه قليلاً، وأخذ رشفة ماء أخرى، وتمضمض بها في فمه، ثم ابتلعها. لا تشنّجات. أي تشنّج سيقضي عليه الآن. لكن بإمكان هذا أن يحصل. يمكنه أن يحصل لأن شخصاً ما غمَّس حذاءه في رصاص سائل دون أن ينتبه.

زال تسعة، وحصل ذلك لثلثهم على هذه التلة بالذات. كان الرائد قد قال لأولسون أن يُريهم الويل، وإذا هذا لم يكن الويل بحد ذاته، فقد كان شيئاً قريباً جداً منه. قريباً جداً...

يا إلهي –

أدرك غارّاتي فجأة أنه يشعر بدوار شديد، كما لو أنه قد يُغمى عليه هو أيضاً. رفع إحدى يديه وصفَع نفسه على وجهه، على الخد الأيمن والأيسر، بقوة.

"هل أنت بخير؟"، سأل ماكفريز.

"أشعر بدوار".

"ضع..."، قال بأنفاس سريعة متقطعة، "...القِربة فوق رأسك".

فعل غارّاتي ذلك. كان الماء بارداً جداً. زال الشعور بالدوار. وتدفَّق بعض الماء داخل قميصه في خيوط باردة. "قِربة! 47!"، صرَخ. الجهد الذي بذله ليصرخ جعله يشعر بالاستنزاف مرة أخرى. تمنّى لو أنه انتظَر لبرهة.

اقترب أحد الجنود منه مهرولاً وأعطاه قِربة جديدة. شعرَ غارّاتي بعيني الجندي الرخاميتين غير المعبِّرتين تقيّمانه. "ابتعد"، قال بفظاظة، آخذاً القِربة. "أنت تقبض أجرك لتقتلني، وليس لتنظر إليَّ".

ابتعَد الجندي من دون أن يتغيَّر التعبير على وجهه. وأجبر غارّاتي نفسه على زيادة سرعته قليلاً.

استمروا يصعدون ولم ينل أي واحد آخر تحذيراً، ثم وصلوا إلى القمة. كانت الساعة التاسعة. لقد بدأوا السير منذ اثنتي عشرة ساعة. هذا لا يعني شيئاً. الشيء الوحيد الذي يهمّ كان النسيم البارد الذي يهبّ فوق قمة التلة. وصوت عصفور. وشعور قميصه الرطب على بشرته. والذكريات في ذهنه. تلك الأشياء هي المهمة، وتشبَّث بها غارّاتي بإدراك يائس. كانت أشياؤه ولا يزال يمتلكها.

"بيت؟".

"نعم".

"يسرّني يا رجل أن أكون حيّاً".

لم يُجبه ماكفريز. كانوا على المنحدر الهابط الآن. وأصبح السير سهلاً.

"سأحاول جهدي أن أبقى حيّاً"، قال غارّاتي، بنبرة اعتذارية تقريباً.

انعطف الطريق نزولاً بلطف. كانوا لا يزالون يبعدون مئة وخمسة وثمانين كيلومتراً عن أولدتاون والإستواء النسبي للطريق الرئيسي.

"هذه هي الفكرة، أليس كذلك؟"، سأل ماكفريز أخيراً. بدا صوته محطماً ومشوَّشاً، كما لو أنه صدَرَ من قبو مليء بالغبار.

لم يقل أي واحد منهم شيئاً لبعض الوقت. لم يتكلم أحد. مشى بايكر متمهلاً – لم ينل أي

تحذير بعد – واضعاً يديه في جيوبه، ويومئ برأسه قليلاً على إيقاع خطواته. كان أولسون قد عاد إلى الدعاء، بحرارة. ووجهه بقعة بيضاء في الظلمة. وكان هاركْنس يأكل.

"غارّاتي"، قال ماكفريز.

"أنا هنا".

"هل رأيت يوماً نهاية المسيرة الطويلة؟".

"لا، وأنت؟".

"بالطبع لا. ظننتُ فقط، بما أنك قريب من المسار وكل شيء–".

"كان أبي يكرهها. وقد أخذني إلى إحداها من منطلق أن يكون ذلك درساً موضوعياً لي. لكنها كانت المرة الوحيدة".

"أنا رأيتُها".

جفل غارّاتي من ذلك الصوت. كان صوت ستابنز، الذي اقترب جداً حتى أصبح بموازاتهم، ورأسه لا يزال منحنياً إلى الأمام، وشعره الأشقر يرفرف حول أذنيه مثل هالة مريضة.

"كيف كانت؟"، سأل ماكفريز. بدا صوته أصغر سناً.

"لا تريد أن تعرف"، قال ستابنز.

"لقد سألتُ، أليس كذلك؟".

لم يردّ ستابنز. وأصبحت حشرية غارّاتي عنه أقوى من أي وقت مضى. لم يُبدِ ستابنز أي علامات وهن. بل استمر من دون شكوى ولم ينل أي تحذير منذ خط الانطلاق.

"نعم، كيف كانت؟"، سمِع نفسه يسأل.

"رأيتُ النهاية منذ أربع سنوات"، قال ستابنز. "كنتُ في الثالثة عشرة. وقد انتهت قبل حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً من حدود ولاية نيو هامبشاير. كانوا قد نشروا الحرس الوطني وست عشرة فرقة فدرالية لمؤازرة شرطة الولاية. كانوا ملزمين أن يفعلوا ذلك. فقد اصطفّ الناس عميقاً على جانبَي الطريق لثمانين كيلومتراً. وتوفى أكثر من عشرين شخصاً دوساً تحت الأقدام قبل أن ينتشر الخبر.

حصَل ذلك لأن الناس كانوا يحاولون السير مع السائرين، يحاولون رؤية النهاية. كنتُ أجلس على مقعد في الصف الأمامي. حجزه أبي لي".

"ماذا يعمل والدك؟"، سأل غارّاتي.

"إنه في الفِرق. وكان قد قدَّر الأمور بشكل صحيح تماماً. لم أضطر حتى إلى تغيير مقعدي. فقد انتهت المسيرة أمامي بالضبط".

"ماذا حصل؟"، سأل أولسون بهدوء.

"كان يمكنني سماعهما قادمين قبل أن أتمكن من رؤيتهما. كنا كلنا قادرين على سماعهما. كان ذلك أشبه بموجة صوتية واحدة كبيرة، وتقترب منا شيئاً فشيئاً. ومرّت ساعة كاملة قبل أن يقتربا بما فيه الكفاية لرؤيتهما. لم يكونا ينظران إلى الحَشد، الشابان اللذان بقيا حتى النهاية. كان الأمر كما لو أنهما لم يعرفا حتى بوجود الحَشد هناك. كانا فقط ينظران إلى الطريق. كانا يعرجان، كلاهما. كما لو أنهما يسيران بعد أن وضع أحدهم مسامير في قدميهما".

أصبح الكل يستمعون إلى ستابنز الآن. وحلَّ صمت مرعب بينهم.

"كان الحَشد يصيح فيهم، تقريباً كما لو أنهم لا يزالون يستطيعون سماعهم. كان البعض يصيح إسم أحد الشابين، والبعض يصيح إسم الشاب الآخر، لكن الشيء الوحيد الذي كان مسموعاً بوضوح هو ذلك الغناء هيا... هيا... هيا. كنتُ أُدفَع يميناً ويساراً مثل وسادة. الشاب الذي بجانبي إما بوَّل أو تبرَّز في سرواله، لا يمكنني التحديد بالضبط.

"مرّا من أمامي مباشرة. كان أحدهما أشقر ضخماً وقميصه مفتوح، وأحد نعلَي حذائه يتأرجح إما بسبب زوال الغراء أو القطب أو مهما تكن المادة المستخدمة فيه. ولم يعد الشاب الآخر حتى يرتدي حذاءه. كان يسير بجواربه التي تنتهي عند كاحليه. أو ما بقي منها... لماذا، لأنها أصبحت رثّة من جرّاء السير عليها، أليس كذلك؟ كانت قدماه أرجوانيتين، ويمكنك رؤية الأوعية الدموية المقطوعة فيهما. لا أعتقد أنه بقي يشعر بهما حقاً. ربما كانوا قادرين على فعل شيء لقدميه لاحقاً، لا أعرف. ربما".

"توقف. بحق الله، توقف". كان ماكفريز. بدا مذهولاً وبائساً.

"أنت أردت أن تعرف"، قال ستابنز بلطف تقريباً. "ألم تقل ذلك؟".

لا جواب. مرّت العربة نصف المجنزَرة بجانبهم عند حافة الطريق، وفي مكان ما أمامهم نال شخصٌ تحذيراً.

"كان الأشقر الضخم الذي خسر. رأيت كل شيء. كانا يبعدان عني قليلاً فقط. رفع ذراعيه إلى الأعلى كما لو أنه سوبرمان. لكن بدلاً من الطيران، سقط على وجهه وأعطوه بطاقته بعد ثلاثين ثانية لأنه كان يسير على ثلاثة. كان كلاهما يسيران على ثلاثة.

"ثم بدأ الحَشد يبتهج. ابتهَجوا وابتهَجوا ثم رأوا أن الولد الذي فاز كان يحاول أن يقول شيئاً. لذا صمتوا. كان قد سقط على رُكبتيه، كما لو أنه يريد أن يصلّي، إلا أنه كان يبكي ببساطة. ثم زحَف إلى الفتى الآخر ووضع وجهه على قميص ذلك الولد الأشقر الضخم. ثم بدأ يقول أي شيء كان عليه أن يقوله، لكن لم يكن بإمكاننا سماعه. كان يتكلم في قميص الولد الميت. كان يكلِّم الولد الميت. ثم أسرع الجنود وأخبروه أنه فاز بالجائزة، وسألوه كيف يريد أن يبدأ".

"ماذا قال؟"، سأل غارّاتي. بدا له أنه وضع حياته كلها على المحكّ بذلك السؤال.

"لم يقل أي شيء لهم، ليس وقتها"، قال ستابنز. "كان يكلِّم الولد الميت. كان يُخبره شيئاً، لكننا لم نتمكن من سماعه".

"ماذا حصل بعدها؟"، سأل بيرسون.

"لا أتذكر"، قال ستابنز بذهن شارد.

لم يقل أحد شيئاً. شعَر غارّاتي بذعر كبير، كما لو أن أحدهم حشره في أنبوب ضيق جداً تحت الأرض يتعذّر عليه الخروج منه. أمامهم، نال فتى تحذيره الثالث وبدا صوته يائساً، مثل نعيب غراب مُحتضَر. يا ربّ، لا تدعهم يطلقون النار على أي شخص الآن، راح غارّاتي يدعو في سرّه. سأُصاب بالجنون إذا سمعتُ صوت البنادق الآن. يا ربّ، يا ربّ.

بعد بضع دقائق، صدَحَ صوت البنادق المميت في الليل. هذه المرة كان فتى قصيراً يرتدي قميص كرة قدم أحمر وأبيض. فكَّر غارّاتي للحظة أن أم بيرسي لن تعود مضطرة إلى التساؤل أو القلق بعد الآن، لكنه لم يكن بيرسي – كان فتى يدعى كوينسي أو كوينتن أو شيء من هذا القبيل.

لم يُصب غارّاتي بالجنون. استدار ليقول كلمات غاضبة لستابنز – ليسأله، ربما، عن شعوره من جعل الدقائق الأخيرة للفتى مرعبة إلى هذا الحدّ – لكن ستابنز كان قد تراجع إلى الخلف إلى موضعه الاعتيادي وأصبح غارّاتي لوحده مرة أخرى.

تابعوا السير، التسعون منهم.

الفصل 5

"لم تقل الحقيقة، لذا سيكون عليك

أن تتحمَّل العواقب".

– بوب باركر

البرنامج التلفزيوني Truth or Consequences

عند العاشرة والثُلث من ذلك الأول من مايو الذي لا ينتهي، تخلَّص غارّاتي من أحد تحذيرَيه. ونال سائران آخران تحذيراً منذ مقتل الفتى ذي قميص كرة القدم. بالكاد غارّاتي لاحظ ذلك. كان يُجري جردة دقيقة لنفسه.

رأس واحد، مرتبك ومخبول قليلاً، لكنه سليم مبدئياً. عينان، حُبيبيتان. عنق واحد، متوتر جداً. ذراعان، لا مشكلة هناك. جذع واحد، سليم ما عدا من نخر في المعدة لا يستطيع المعجون المركَّز إرضاءه. رِجلان مُتعَبتان لعينتان. ألم في العضلات. تساءل عن المسافة التي تستطيع رِجلاه حمله فيها من تلقاء نفسيهما – عن المسافة قبل أن يأخذ دماغه زمام الأمور ويبدأ معاقبتهما، فيجعلهما تعملان ما بعد أي حدود معقولة، لمنع رصاصة من اقتحام حصنه العظميّ. لكم من الوقت قبل أن تبدأ رِجلاه بالترهّل، ثم الترنّح احتجاجاً، وأخيراً الانهيار والتوقف كلياً.

كانت رِجلاه مُتعَبتين، لكنهما لا تزالان سليمتين جداً، على حدّ علمه.

وقدمان. تؤلمانه. كانتا طريتين، لا طائل من إنكار ذلك. فقد كان فتىً ناضجاً. وتلك القدمان تحرّكان اثنين وسبعين كيلوغراماً ذهاباً وإياباً. أخمص قدميه يؤلِمانه. كانت هناك آلام غريبة عَرَضيّة

فيهما. كان الإصبع الكبير في قدمه اليسرى قد اخترق الجورب (تذكّر حكاية ستابنز وشَعَر برعب يتسلّل فيه)، وبدأ يحتكّ بحذائه بشكل مزعج. لكن قدميه كانتا تعملان، ولم تظهر بثور عليهما بعد، وشعَر أنهما لا تزالان سليمتين جداً، أيضاً.

غارّاتي، راح يحمِّس نفسه، أنت في حالة جيدة. توفى اثنا عشر شاباً، وضعف هذا العدد على الأرجح يتألمون جداً الآن، لكنك سليم. وحالتك جيدة. أنت رائع. أنت حيّ.

المحادثة، التي توقفت نهائياً عند نهاية قصة ستابنز، استؤنفت مرة أخرى. فالأحاديث هي ما يفعله الأشخاص الأحياء. كان يانِّك، 98، يناقش سلسلة نَسب جنود العربة نصف المجنزَرة بصوت مرتفع جداً مع وايمان، 97. توافقا أنها خليط هجين وغني بالألوان وكثيف الشعر.

بيرسون، في غضون ذلك، سأل غارّاتي فجأة: "هل تلقيتَ حقنة شرجية في يوم من الأيام؟".

"حقنة شرجية؟"، كرَّر غارّاتي. فكَّر بالمسألة. "لا. لا أظن ذلك".

"أحدكم يا شباب؟"، سأل بيرسون. "قولوا الحقيقة".

"أنا"، قال هاركْنس، وضحِك ضحكة خافتة. "حقنتني أمي بواحدةٍ مرةً عندما كنتُ صغيراً. فقد أكلتُ كمية كبيرةِ من السكاكر".

"هل أعجبتك؟"، ألحَّ بيرسون.

"بالطبع لا! أيُ لعين سيُسرّ بنصف ليتر من رغوة الصابون الدافئة في–".

"أخي الصغير"، قال بيرسون بأسف. "لقد سألتُ الخسيس الصغير إن كان حزيناً لذهابي وقال لا لأن أمي قالت له إنه يستطيع تلقي حقنة شرجية إن كان عاقلاً ولم يبكِ. إنه يحب تلك الحُقن".

"هذا مقرف"، قال هاركْنس بصوتٍ عالٍ.

بدا بيرسون كئيباً. "هذا رأيي أيضاً".

بعد بضعة دقائق، انضم دايفدسون إلى المجموعة وأخبرهم عن المرة التي ثمِل فيها في معرض ستوبنفيل وزحَف إلى خيمة الراقصات وضُرِب على رأسه من قِبل امرأة سمينة جداً لا ترتدي شيئاً سوى سروال داخلي. عندما أخبرها دايفدسون (على حدّ قوله) أنه ثمل وظنَّ أنها خيمة الوشوم، سمحت له المرأة الجذابة جداً أن يتلمّسها لبعض الوقت (على حدّ قوله). أخبرها أنه أراد الحصول

على وشم نجوم وأشرطة على معدته.

أخبرهم آرت بايكر عن مسابقة يقيمونها في بلدته لرؤية مَن يستطيع إشعال أكبر ريح يُخرِجه، وتمكّن ذلك الفتى دايفي بوبهام الكثير الشعر عند المؤخرة من إحراق أغلب الشعر على مؤخرته وبعض الشعر على ظهره أيضاً. كانت الرائحة تشبه رائحة حريق أعشاب، قال بايكر. هذا أضحَك هاركْنس كثيراً لدرجة أنه نال تحذيراً.

بعد ذلك، بدأ السباق. فراحت قصة طويلة تلي قصة طويلة إلى أن انهارت البنية المتزعزعة بأكملها. فقد حُذِّر شخص آخر، وبعد فترة قصيرة، حصل البايكر الآخر (جايمس) على بطاقته. تبدَّدت روح الفكاهة من المجموعة. وبدأ البعض يتكلم عن حبيبته، وأصبح الحديث مرتبكاً وجيّاشاً بالعواطف. لم يقل غارّاتي شيئاً عن جانيس، لكن مع حلول الساعة العاشرة المُتعَبة، والتي كانت أشبه بكيس فحم أسودِ ملطَّخ بضباب حليبيّ، بدا له أنها كانت أفضل شيء عرفه في حياته.

مرّوا تحت سلسلة قصيرة من أعمدة الإنارة الزئبقية، عبر بلدة مُغلقة، وأصبحوا كلهم مكبوتين الآن، يتكلّمون بهمس منخفض. أمام سوبرماركت بالقرب من نهاية هذا المكان العريض، كان هناك شابان نائمان على مقعد على الرصيف وقد أمالا رأسيهما نحو بعضهما البعض، وكانت هناك لافتة لا يمكن قراءتها متدلّية بينهما. كانت الفتاة يافعة جداً – لم تبدُ أكبر من الرابعة عشرة – وكان حبيبها يرتدي قميصاً رياضياً غُسل مرات عديدة بحيث لم يعد يبدو رياضياً أبداً. كان ظلّهما مندمجين في الشارع وسار السائرون فوقه بهدوء.

ألقى غارّاتي نظرة سريعة إلى الخلف فوق كتفه، متأكداً جداً أن لعلعة العربة نصف المجنزَرة لا بدّ أن تكون قد أيقظتهما. لكنهما بقيا نائمين، غير مُدركين أن «الحدث» مرَّ أمامهما. تساءل إن كانت الفتاة ستلقى عقاباً من رجُلها. بدت يافعة جداً. تساءل إن كانت لافتتهما تقول هيا–هيا غارّاتي، "ممثل ماين". تمنى ألا يكون ذلك. فقد بدت الفكرة بغيضة قليلاً.

أكَل آخر أنبوب معجون مركَّز معه وشَعَر بتحسّن قليل. لم يبقَ هناك شيء لكي يتوسّله منه أولسون بعد الآن. كان وضع أولسون مضحكاً. فقد كان غارّاتي متيقناً منذ ست ساعات أن أولسون أشرف على الانهيار. لكنه لا يزال يسير، ومن دون تحذيرات الآن. افترَض غارّاتي أن المرء يستطيع فعل أشياء كثيرة عندما تكون حياته على المحك. لقد قطعوا حوالي سبعة وثمانين كيلومتراً الآن.

توقفت الأحاديث كلياً مع البلدة المجهولة. ساروا بصمت لحوالي ساعة، وبدأ الصقيع يتسرّب إلى غارّاتي مرة أخرى. أكَل آخر كعكات أمه، وكوَّر ورقة الألمنيوم، ورماها في الأجمة التي على

جانب الطريق. مجرد قاذورة أخرى في مصنع الطماطم الكبير للحياة.

أخرَج ماكفريز فرشاة أسنان من حقيبة ظهره الصغيرة وانهمك في تنظيف أسنانه تنظيفاً جافاً. كل شيء يستمر على حاله، فكّر غارّاتي بتعجّب. تتجشّأ، فتقول عذراً. تلوِّح للأشخاص الذين يلوّحون لك لأن التهذيب يقتضي ذلك. لا أحد يتجادل كثيراً مع أي شخص آخر (ما عدا باركوفيتش) لأن التهذيب يقتضي ذلك أيضاً. كل شيء يستمر على حاله.

هل يستمر على حاله حقاً؟ تذكّر ماكفريز يصيح بستابنز أن يصمت. تذكّر أولسون يأخذ جبنته بالتواضع المغفّل لكلب مجلود. بدا كل شيء أكثر حدّة، أكثر تبايناً في الألوان والأضواء والظلال.

عند الساعة الحادية عشرة، حصلت عدة أشياء دفعة واحدة تقريباً. وصل خبرٌ بأن جسراً خشبياً صغيراً أمامهم جرفته عاصفة رعدية عنيفة بعد الظهر. مع زوال الجسر، يجب أن تتوقف المسيرة مؤقتاً. علا ابتهاج ضعيف بين الصفوف المتعرّجة، وتمتم أولسون "الحمد لله" بصوت منخفض جداً.

بعد لحظة، بدأ باركوفيتش يصيح فيضاناً من الشتائم لفتى يسير بجانبه، فتى قصير بشع ذو الإسم المشؤوم رانك (ومعناه مرتبة). وجَّه رانك لكمة نحوه – وهذا شيء تمنعه القوانين بشكل تام – وحُذِّر بسبب ذلك. لم تتأثر خطوات باركوفيتش بتاتاً. بل اكتفى بحَني رأسه منخفضاً تحت اللكمة واستمر يصيح.

"هيا، أيها الحقير! سأرقص على قبرك اللعين! هيا أيها الأبله، ارفع قدمك! لا تجعل الأمر سهلاً جداً عليَّ!".

وجَّه رانك لكمة أخرى. تفاداها باركوفيتش برشاقة، لكنه تعثَّر بالفتى السائر بجانبه. حذَّرهما الجنود، الذين بدأوا يراقبون التطوّرات بدقة الآن لكن بلا أي تأثّر عاطفي – مثل رجال يراقبون نملتين تتشاجران على فتات خبز، فكّر غارّاتي بمرارة.

بدأ رانك يسير بشكل أسرع، دون أن ينظر إلى باركوفيتش. باركوفيتش نفسه، غاضباً من نيله تحذيراً (الفتى الذي تعثَّر به كان غريبل، الذي أراد إبلاغ الرائد أنه قاتل)، صاح فيه: "أمك بائعة هوى في الشارع الثاني والأربعين يا رانك!".

عندها استدار رانك فجأة وهجم على باركوفيتش.

علت صيحات "انفصلا!" و"توقفا عن الحماقة!" في المكان، لكن رانك لم يُعرها أي اهتمام. بل انقضّ على باركوفيتش مُخفضاً رأسه، وهو يزأر.

تفاداه باركوفيتش. تعثَّر رانك وسقط على حافة الطريق، منزلقاً في الرمل، وجالساً مع قدميه متباعدتين. نال تحذيراً ثالثاً.

"هيا أيها الأبله!"، قال باركوفيتش بنبرة استفزازية. "انهض!".

لم ينهض رانك. ثم انزلق بطريقة ما وسقط على ظهره. بدا مذهولاً ومشوَّش الذهن.

الشيء الثالث الذي حصل حوالي الساعة الحادية عشرة كان موت رانك. سادت لحظة صمت عندما صُوِّبت البنادق، وكان صوت بايكر صاخباً ومسموعاً بوضوح: "يا باركوفيتش، لم تعد حشرة مؤذية. لقد أصبحتَ قاتلاً".

زأرت البنادق. طارت جثة رانك في الهواء من قوة الرصاصات. ثم سقطت هامدةً، وإحدى ذراعيه على الطريق.

"كان خطؤه!"، صاح باركوفيتش. "لقد رأيتموه، هو مَن وجَّه لي أول لكمة! القاعدة 8! القاعدة 8!".

لم يقل أحد شيئاً.

"اللعنة عليكم جميعاً! كلكم!".

قال ماكفريز بسهولة: "عُد وارقص على جثته قليلاً يا باركوفيتش. اذهب ورفِّه عنا".

"أمك بائعة هوى في الشارع الثاني والأربعين أيضاً يا صاحب الندبة"، قال باركوفيتش بصوت أجش.

"لا أستطيع الانتظار لرؤية دماغك على الطريق"، قال ماكفريز بهدوء. ومدَّ يده إلى الندبة وكان يفركها، يفركها، يفركها. "سأبتهج عندما يحصل ذلك، أيها القاتل الوغد".

تمتم باركوفيتش شيئاً آخر همساً. ابتعد الآخرون عنه كما لو أنه مُصاب بالطاعون ويسير بشكل تلقائي.

قطعوا ستة وتسعين كيلومتراً عند حوالي الحادية عشرة وعشر دقائق، من دون أي دلالة على

وجود جسر من أي نوع. بدأ غارّاتي يشعر أن الإشاعة كانت خطأ هذه المرة عندما وصلوا إلى قمة تلة صغيرة ورأوا حوض أضواء حيث كان حَشد صغير من الرجال الصاخبين يتحرّكون.

كانت الأضواء صادرة عن عدة شاحنات موجَّهة إلى جسر خشبي يمتَدّ فوق غدير ماء سريع. "أحب هذا الجسر حقاً"، قال أولسون، وقدَّم لنفسه إحدى سجائر ماكفريز. "حقاً".

لكنهم عندما اقتربوا أكثر، أصدَر أولسون صوتاً ناعماً بشعاً في حنجرته ورمى السيجارة بعيداً في الأعشاب. كان لوحان من الألواح الثقيلة وإحدى دعائم الجسر قد انجرفا، لكن أفراد الفرقة أمامهم كانوا يعملون بإتقان. فقد غرسوا عمود هاتف مبتوراً في مجرى النهر، وثبّتوه في ما بدا سدادة أسمنتية ضخمة. لم تتسنَّ لهم فرصة لاستبدال اللوحين، لذا وضعوا الباب الخلفي لشاحنة كبيرة مكانهما. حل مؤقت، لكنه يفي بالغرض.

"جسر سانت لويس يا راي"، قال أبراهام. "ربما إذا داس السائرون في الطليعة بقوة بأقدامهم، سينهار مرة أخرى".

"احتمال ضئيل"، قال بيرسون، ثم أضاف بصوتٍ متقطعٍ باكٍ، "اللعنة!".

كانت مجموعة الطليعة، التي تقلّصت إلى ثلاثة أو أربعة فتيان، على الجسر الآن. مشوا بتثاقل عليه، ثم وصلوا إلى الضفة الأخرى، دون أن يلتفتوا إلى الوراء. توقفت العربة نصف المجنزَرة، وقفز جنديان منها ليواكبا الفتيان. على الضفة الأخرى للجسر، سقط اثنان من مجموعة الطليعة. راحت الألواح تلعلع بثبات الآن.

كان رجلان يرتديان معطفَين مخمليين يتكآن على شاحنة كبيرة مرشوشة بالأسفلت مكتوب عليها "إصلاح الطرقات العامة". كانا يدخِّنان، ويرتديان أحذية مطاطية خضراء. راحا يراقبان السائرين يمرّون أمامهما. وعند مرور دايفدسون وماكفريز وأولسون وبيرسون وهاركْنس وبايكر وغارّاتي في مجموعة فضفاضة، نقفَ أحدهما عقب سيجارته في النهر وقال: "هذا هو. هذا غارّاتي".

"اصمد يا فتى!"، صاح الآخر. "لقد دفعتُ عشرة دولارات متوقعاً فوزك بنسبة اثني عشر إلى واحد!".

لاحَظ غارّاتي بضعة أعمدة هاتف مكسوة بنشارة الخشب على ظهر الشاحنة. كانت الأعمدة التي ضمنَت مواصلته السير، سواء أعجبه ذلك أم لم يعجبه. رفع يداً لهما وعبَرَ الجسر. راح الباب الخلفي للشاحنة الذي استبدَل الألواح يرنّ تحت حذائه ثم أصبح الجسر خلفهم. انعطف الطريق

انعطافة حادة، والتذكير الوحيد للراحة التي كانوا على وشك الحصول عليها كان رقعة ضوء شكلها وتد على الأشجار المتواجدة على جانب الطريق. سرعان ما اختفى ذلك، أيضاً.

"هل توقفت أي مسيرة طويلة لأي سبب كان؟"، سأل هاركْنس.

"لا أظن ذلك"، قال غارّاتي. "مادة إضافية للكتاب؟".

"لا"، قال هاركْنس. بدا مُتعَباً. "مجرد معلومات شخصية".

"إنها تتوقف كل سنة"، قال ستابنز من خلفهما. "مرةً".

لم يصدر أي رد على ذلك.

بعد حوالي نصف ساعة، ظَهَر ماكفريز بجانب غارّاتي وسار معه بصمت لبعض الوقت. ثم قال بهدوء تام: "هل تعتقد أنك ستفوز يا راي؟".

بقي غارّاتي يفكِّر بالسؤال لوقت طويل جداً.

"لا"، قال أخيراً. "لا، أنا... لا".

الاعتراف الصارخ أخافه. فكّر مرة أخرى في الاستحصال على بطاقة، لا، الاستحصال على رصاصة، خلال نصف الثانية الجامدة الأخيرة لمرحلة المعرفة التامة، وهو يرى فوهة البنادق التي لا قعر لها تتأرجح نحوه. تجمَّدت رجلاه. انقبضت معدته. ارتعدت عضلاته ودماغه أمام حمام الدم هذا.

بلع ريقه بصعوبة. "ماذا عنك؟".

"لا أظن"، قال ماكفريز. "لقد توقَفتُ عن التفكير بأن عندي أي فرصة حقيقية عند حوالي التاسعة هذه الليلة. فأنا..."، وتنحنح. "من الصعب القول، لكنني... شاركتُ فيها بعينين جاحظتين، أتعلَمْ؟". وأومأ حول نفسه إلى الفتيان الآخرين. "الكثير من هؤلاء الشباب لم يفعلوا ذلك، أتعلَمْ؟ كنتُ أعرف الاحتمالات. لكنني لم أفكّر بالأشخاص. ولا أعتقد أنني أدركتُ حقاً الحقيقة المرّة للمسألة. أعتقد أن الفكرة التي كانت لديَّ هي أنه عندما ينهار أول شاب ولا يعود قادراً على الاستمرار، سيصوِّبون بنادقهم نحوه ويضغطون الزناد فتتطاير قطع صغيرة من الورق مكتوب عليها "طاخ"... وسيقول الرائد "كذبة أول نيسان" ونعود كلنا إلى منازلنا. هل تفهم ما الذي أقوله؟".

تذكّر غارّاتي صدمته القوية عندما سقط كيرلي في بركة دم وتطاير دماغه مثل دقيق الشوفان

على الرصيف والخط الأبيض. "نعم"، قال. "أعرف ما الذي تقوله".

"احتجتُ إلى بعض الوقت لكي أفهم الأمر، لكن الأمور أصبحت أسرع بعد أن تخطّيتُ ذلك الحاجز الذهني. سِر أو مُت، هذا هو مغزى هذه القصة. المسألة بهذه البساطة. إنها ليست بقاء الأصلح بدنياً، وهذه هي النقطة التي أخطأتُ فيها عندما تركتُ نفسي أشارك في هذه المسابقة. فلو كانت كذلك، لكانت فرصتي بالفوز مُنصفة. لكن هناك رجال ضعفاء يستطيعون رفع السيارات إذا كانت زوجاتهم عالقة تحتها. الذهن يا غارّاتي". انخفض صوت ماكفريز إلى همس أجش. "المسألة ليست مسألة تحدٍّ بدني بقدر ما هي تحدٍّ ذهني".

صدحَ طائر ليليّ مرةً في العتمة. كان الضباب يرتفع.

"بعض هؤلاء الشباب سيواصلون السير حتى بعد فترة طويلة من تحكُّم قوانين الكيمياء الحيوية والمعوِّقات بهم. كان هناك شاب في سباق السنة الماضية زحَف لثلاثة كيلومترات بسرعة ستة كيلومترات ونصف في الساعة بعد أن تشنَّجت قدماه في الوقت نفسه، هل تتذكر القراءة عن هذا؟ انظر إلى أولسون، إنه مُنهَك لكنه يواصل السير. وباركوفيتش اللعين يعمل على طاقة الكره الشديد ويواصل السير كما لو أنه بدأ للتو. لا أعتقد أنه يمكنني أن أفعل هذا. لستُ مُتعباً – ليس حقاً – بعد. لكنني سأصبح مُتعباً في وقت من الأوقات". برزت الندبة على جانب وجهه الـمُنهَك وهو ينظر أمامه في العتمة. "وأظن... عندما أصبح مُتعَباً كفاية... أعتقد أنني سأجلس بكل بساطة".

كان غارّاتي صامتاً، لكنه شعَر بالقلق. بقلق كبير.

"لكنني سأصمد أطول من باركوفيتش"، قال ماكفريز، لنفسه تقريباً. "أُقسم إنه يمكنني أن أفعل هذا".

ألقى غارّاتي نظرة سريعة على ساعته ورأى أنها 11:30. مرّوا على مفترقات طرق مهجورة حيث رَكن شرطي نعسان سيارته. كانت حركة المرور المحتملة التي أُرسل لكي يوقفها غير موجودة. ساروا متجاوزينه، وخرجوا من دائرة الضوء الساطع الصادر عن المصباح الزئبقي الوحيد. غمرتهم العتمة مثل كيس فحم مرة أخرى.

"يمكننا التسلّل إلى الغابة الآن ولن يرونا أبداً"، قال غارّاتي بتبصّر.

"جرّب ذلك"، قال أولسون. "معهم مناظير بالأشعة تحت الحمراء، إلى جانب أربعين نوعاً آخر من أجهزة المراقبة، بما في ذلك ميكروفونات عالية الكثافة. إنهم يسمعون كل شيء نقوله. حتى

يكادون يسمعون نبضات قلبك. وسيرونك مثل ضوء النهار يا راي".

كما لو أنه للتشديد على وجهة نظره، نال فتى خلفهم تحذيراً ثانياً.

"أنت تقضي على كل مُتع الحياة"، قال بايكر بلطف. بدت لكنته الجنوبية الخفيفة غريبة وغير مألوفة على مسمع غارّاتي.

ابتعَد ماكفريز. بدت العتمة وكأنها عزلت كل واحد منهم، وشعَر غارّاتي بوحدة قوية. كانت هناك تمتمة ونصف عواء كلما تهشَّم شيءٌ في الغابة التي كانوا يمرّون فيها، وأدرَك غارّاتي مبتسماً أن السير في وقت متأخر من الليل في غابات ماين لا يمكن أن يكون نزهةً لفتيان المدينة الأعضاء في الطاقم. أصدرت بومةٌ ضجة غامضة في مكان ما على يسارهم. وأصدر شيءٌ على الجهة الأخرى حفيفاً، ثم همد قليلاً، ثم أصدر حفيفاً مرة أخرى، ثم همد مجدداً، ثم فرَّ بصخب إلى مكان أقل ازدحاماً. وعلت صيحة متوترة أخرى تقول "ما كان ذلك؟".

بدأت سُحُب الربيع المتقلِّبة تنطلق في السماء فوقهم في أشكال متعرّجة، وتُنذر بمزيد من المطر. رفع غارّاتي ياقته وراح يستمع إلى صوت قدميه على الرصيف. كانت هناك خدعة في ذلك، تكيُّفٌ ذهنيٌ طفيفٌ، كأن يصبح نظرك الليلي أفضل كلما أطلتَ البقاء في الظلام. أضاع صوت قدميه هذا الصباح. فقد تاهت في أزواج الأقدام المتشرّدة التسعة والتسعين الأخرى، ناهيك عن لعلعة العربة نصف المجنزَرة. لكنه يسمعها بسهولة الآن. خطواته المميزة، وطريقة كشط قدمه اليسرى الرصيف بين الحين والآخر. بدا له أن صوت وقع قدميه أصبح صاخباً على أذنيه مثل صوت نبضات قلبه. صوت الحياة والموت.

شَعَر أن عينيه أصبحتا حُبيبيتين، عالقتين في محجريهما. كان جفناه ثقيلين. بدا أن طاقته تُستنزف عبر غَورٍ في وسط نفسه. بدأت التحذيرات تُوجَّه برتابة نظامية، لكن لم يُطلَق النار على أحد. بقي باركوفيتش صامتاً. وعاد ستابنز ليكون شبحاً من جديد، ولم يعد حتى مرئياً وراءهم.

أشارت عقارب ساعته إلى 11:40.

نقترب من ساعة المشعوِذات، فكّر في سرّه. عندما تتثاءب باحات المعابد وتسلِّم أمواتها المتعفنين. عندما ينام كل الفتيان الصغار الصالحين. عندما تتوقف الزوجات والحبيبات عن لعبة القتال بالوسائد في المساء. عندما ينام الركاب بشكل غير مريح في الحافلة إلى نيويورك. عندما يعزف غْلنّ ميلر بلا انقطاع على الراديو، ويفكِّر النُدُل بوضع الكراسي على الطاولات، و–

تراءى له وجه جانيس مرة أخرى. كان ينوي تقبيلها في احتفال الشتاء، منذ نصف سنة تقريباً، تحت الزينة البلاستيكية التي تعلّقها أمه دائماً على الكرة الأرضية الكبيرة المضاءة في المطبخ. أمور غبية من ولد. انظر أين تقف الآن. كانت شفتاها متفاجئتين وناعمتين، وغير مقاومتين. قبلة لطيفة. قبلة يستطيع أن يحلم بها. قبلته الحقيقية الأولى. قبّلها مرة أخرى عندما أوصلها إلى منزلها. كانا يقفان في الممر الخاص الذي يؤدي إلى منزلها، يقفان في الرماديّة الصامتة لثلج احتفال الشتاء المتساقط. تلك كانت أكثر من مجرد قبلة لطيفة. فقد أحاط خصرها بذراعيه. وأحاطت عنقه بذراعيها، وتشابكا مُغلقين عينيهما (اختلس النظر إليها)، الملمس الناعم لصدرها – الدافئ في معطفها، بالطبع – والملتصق به. كاد يقول لها إنه يحبّها، لكنه لم يفعل ذلك... كان ذلك ليكون تسرّعاً منه.

بعد ذلك، علَّما بعضهما البعض. فقد علَّمته أن الكتب تكون أحياناً للقراءة لمرة واحدة فقط، وليس للتعمّق فيها (كان طالباً مجتهداً، وهذا أفرَحَ جانيس، وفرحها ذاك أغضبه في البدء ثم رأى الجانب المضحك منه). علَّمها الحياكة. كان ذلك شيئاً مضحكاً. فقد كان أبوه، من بين كل الناس، مَن علَّمه الحياكة... قبل أن تقبض عليه الفِرق. كما أن جدّه هو الذي علَّم أباه أيضاً. كان ذلك تقليداً ذكورياً لدى آل غارّاتي. كانت جانيس مفتونة بنقوش الصعود والهبوط، وسرعان ما تفوَّقت عليه، متجاوزةً أوشحته وقفازاته المرهِقة إلى الكنزات وغُرز الضفائر، وأخيراً إلى الكروشيه وحتى تخريمات مناديل المائدة، التي تخلّت عنها من منطلق أنها مضحكة حالما أتقنت المهارة.

علَّمها أيضاً كيف ترقص الرومبا والتشاتشا، وهي مهارات تعلَّمها بجهد كبير صباح كل سبت في مدرسة السيدة أميليا دورجنز للرقص الحديث... هذه كانت فكرة أمه، وقد اعترَض عليها بشدة. الحمد لله أن أمه أصرّت على رأيها.

تذكّر الآن أنماط الضوء والظل على الشكل البيضوي المثالي تقريباً لوجهها، وطريقة مشيتها، وارتفاع وانخفاض صوتها، والتمايل السهل والجذّاب لوركها، وتساءل مرتعباً ما الذي يفعله هنا، سائراً على هذا الطريق المظلم. أرادها الآن. أراد أن يكرِّر كل ذلك مرة أخرى، لكن بشكل مختلف. عندما تذكّر الآن الوجه المسمَرّ للرائد، وشاربه المرقَّط بظلال داكنة وفاتحة، ونظاراته الشمسية المرآوية، شعَر برعب كبير لدرجة أن ذلك جَعَل رِجليه مطاطيتين وضعيفتين. لماذا أنا هنا؟ سأل نفسه بيأس، ولم يكن هناك جواب، لذا طرح السؤال مرة أخرى: لماذا أنا–

سُمع صوت طلقات نارية في العتمة، وسُمع صوت الارتطام الجليّ لجسم على الأرض. اعتراه الخوف مجدداً، الخوف الخانق الذي جَعَله يريد أن يركض بتهوّر، أن يغوص في الأجمات ويواصل الركض إلى أن يعثر على جانيس والأمان.

كان لدى ماكفريز باركوفيتش ليسلّيه. أما هو فسيركِّز على جانيس. سيسير إلى جانيس. لقد حجَزوا مكاناً لأنسباء المشاركين في المسيرة الطويلة وأحبائهم عند الخطوط الأمامية. سيراها.

تذكّر تقبيله تلك الفتاة الأخرى وشعر بالخجل.

كيف تعرف أنك ستنجح؟ تشنّج... بثور... جرح سيئ أو نزيف في أنف لا يتوقف... تلة كبيرة تكون كبيرة جداً وطويلة جداً. كيف تعرف أنك ستنجح؟

سأنجح، سأنجح.

"مبروك"، قال ماكفريز من خلفه، مما أجفله.

"ماذا؟".

"إنه منتصف الليل. سنعيش لنحارب يوماً آخر يا غارّاتي".

"والعديد منها"، أضاف أبراهام. "بالنسبة لي، هذا كل شيء. لا أقصد أنني أحسدكم، أنتم تفهمون قصدي".

"مئة وسبعون كيلومتراً إلى أولدتاون، إذا كنتَ مهتماً أن تعرف"، قال أولسون بضجر.

"مَن يكترث بأولدتاون؟"، علَّق ماكفريز. "هل زرتها يوماً يا غارّاتي؟".

"لا".

"وماذا عن أوغستا؟ يا إلهي، كنتُ أعتقد أنها في جورجيا".

"نعم، لقد زرتُ أوغستا. إنها عاصمة الولاية-".

"الإقليمية"، قال أبراهام.

"وتضم قصر الحاكم، ودائرتَي مرور، وصالتَي سينما-".

"هل لديكم هذا في ماين؟"، سأل ماكفريز.

"حسناً، إنها عاصمة ولاية صغيرة، اتفقنا؟"، قال غارّاتي مبتسماً.

"انتظروا حتى نصل إلى بوسطن"، قال ماكفريز.

كانت هناك تأوهات.

صدحت صيحات ابتهاج واستهجان أمامهم. شعر غارّاتي بالقلق من سماعهم ينادون إسمه. أمامهم، على بُعد كيلومتر تقريباً، كان هناك بيت ريفي آيل للسقوط، مهجور ومتهدِّم. لكن تم توصيل ضوء باهت في مكان ما، وكانت هناك لافتة ضخمة مكتوبة أحرفها بأغصان صنوبر على واجهة المنزل تقول:

غارّاتي رجلنا!!!
رابطة الأهالي في مقاطعة أروستوك

"يا غارّاتي، أين الأهالي؟"، صاح أحدهم.

"في المنازل يصنعون أولاداً"، قال غارّاتي، مُحرَجاً. لا شكّ أن ماين كانت موطن غارّاتي، لكنه وجَد اللافتات والابتهاجات واستهزاءات الآخرين مُحرِجة قليلاً. لقد وجد – ضمن أشياء أخرى – في الساعات الخمسة عشرة الأخيرة أنه لا يتوق كثيراً إلى أن يكون محط الأنظار. ففكرة أن يشجّعه مليون شخص في كل أرجاء الولاية ويتشارطون عليه (بنسبة اثني عشر إلى واحد، حسبما قال العامل على الطريق العام... هل كان ذلك أمراً جيداً أم سيئاً؟) كانت مخيفة قليلاً.

"يتوقع المرء أنهم تركوا بعض الأهالي البدينين المثيري للاهتمام جالسين في مكان ما"، قال دايفدسون.

"علاقات حميمة من رابطة الأهالي والمعلمين؟"، سأل أبراهام.

كانت السخرية فاترة ولم تدم طويلاً. كان الطريق يقتل معظم التعليقات الساخرة بسرعة كبيرة. اجتازوا جسراً آخر، أسمنتياً هذه المرة ويمتدّ فوق نهر كبير إلى حد ما. كان الماء يتموّج تحتهم مثل حرير أسود. سمعوا صرير بضعة جداجد حذِرة، وبعد حوالي خمس عشرة دقيقة من منتصف الليل، تساقط بعض المطر الخفيف البارد.

أمامهم، بدأ أحدهم يعزف على الهارمونيكا. لم يدم ذلك طويلاً (النصيحة 6: حافظ على أنفاسك)، لكنه كان جميلاً في تلك المدة القصيرة. فكّر غارّاتي في سرّه أنه بدا قليلاً مثل أغنية العجوز جو الأسود. هناك في حقل الذرة، أسمع ذلك الصوت الحزين. كل السود الذين أبكيهم، إيوينغ على الأرض الباردة، الباردة.

لا، لم تكن أغنية العجوز جو الأسود، فذلك اللحن كان لحناً كلاسيكياً عنصريّاً آخر لستيفن فوستر. العزيز ستيفن فوستر. ظل يثمل حتى مات بسبب الشراب. وكذلك فعل بو، هكذا قيل. بو مُجامِع الموتى، الذي تزوج نسيبته ذات الأربعة عشر ربيعاً. وذلك جَعَله عاشق أطفال أيضاً. شباب منحرفون على جميع الأصعدة، هو وستيفن فوستر. فقط لو عاشوا ليروا المسيرة الطويلة، فكّر غارّاتي في سرّه. لكانوا استطاعوا المساهمة في إعداد أول مقطوعة موسيقية مَرَضية في العالم. مذبحة على الطريق البارد، البارد أو الخطوات المشؤومة، أو–

بدأ شخص أمامهم يصرخ، وشعَر غارّاتي بقشعريرة في كل جسمه. كان صوتاً يافعاً جداً. لم يكن صراخ كلمات. كان صراخاً فقط. انفصل شكل داكن من المجموعة، واندفع على حافة الطريق أمام العربة نصف المجنزَرة (لا يستطيع غارّاتي حتى تذكّر متى عاودت العربة نصف المجنزَرة الانضمام إلى مسيرتهم بعد الجسر المرمَّم)، وغاص نحو الغابة. زأرت البنادق. سُمع صوت ارتطام مزعج مع سقوط وزن ميت على الأرض عبر الأجمات والخمائل. قفز أحد الجنود عن العربة ورفع الشكل الخامل من يديه. راقَب غارّاتي بلا مبالاة وفكَّر أنه حتى الرعب يتضاءل. هناك تُخمة حتى في الموت.

بدأ عازف الهارمونيكا يعزف لحن جنازة عسكرية تهكُّمياً وقال له أحدهم – كولي باركر، بناءً على الصوت – أن يخرس بغضب. ضحِك ستابنز. شعَر غارّاتي بالغضب فجأة من ستابنز، وأراد أن يستدير نحوه ويسأله كيف سيشعر إن ضحِك أحدهم على موته. كان شيئاً ستتوقعه من باركوفيتش. باركوفيتش الذي قال إنه سيرقص على قبور كثيرة، وكان هناك ستة عشر قبراً يمكنه أن يرقص عليها حتى الآن.

أشك أن يبقى الكثير من الطاقة في قدميه لكي يرقص، فكّر غارّاتي في سرّه. شعر بألم حاد في قوس قدمه اليمنى. تشنّجت العضلة هناك بشكل مليء بالتشويق، ثم ارتخت. انتظَر غارّاتي وقلبه في فمه أن يحصل ذلك مرة أخرى. ستكون المرة الثانية أصعب. وستحوِّل قدمه إلى كتلة خشبية عديمة الجدوى. لكنها لم تحصل.

"لا يمكنني السير أكثر"، نَقَّ أولسون. كان وجهه ضبابياً أبيض في العتمة. لم يُجبه أحدٌ.

العتمة. العتمة اللعينة. بدا لغارّاتي أنهم دُفنوا أحياء فيها. حُبسوا فيها. كان الفجر بعيداً جداً. والعديد منهم لن يروا الفجر أبداً. أو الشمس. كانوا مدفونين على عمق مترين في العتمة. وكل ما كان ينقصهم هو رجل دين يصلي عليهم بصوت تكتمه لكن لا تحجبه كلياً عتمة التراب المرصوص حديثاً،

الذي يقف المشيّعون فوقه. لم يكن المشيّعون حتى يُدركون أنهم هنا، أنهم أحياء، وأنهم يصرخون ويلطمون غطاء التابوت في العتمة، حيث الهواء ينقطع تدريجياً، ويتحوّل إلى غاز سام، والأمل يتضاءل إلى أن يصبح الأمل نفسه عتمةً، وفوق كل ذلك الصوت المتخافت لرجل الدين والحركة العشوائية لأقدام المشيّعين القلقين للمغادرة تحت أشعة شمس مايو الدافئة. ثم، والأهم من كل ذلك، أصوات الحشرات والخنافس وهي تشقّ طريقها عبر التربة نحو المأدبة.

يمكن أن أُصاب بالجنون وأفقد عقلي تماماً، فكّر غارّاتي في سرّه.

هبّت نسمة صغيرة في أشجار الصنوبر.

استدار غارّاتي وبوّل. ابتعد عنه ستابنز قليلاً، وأصدرَ هاركْنس صوت شخير. كان يسير نصف نائم.

أصبح غارّاتي واعياً تماماً من كل الأصوات الصغيرة للحياة: تنخَّع شخصٌ وبصَق، وعطس شخص آخر، وكان شخص إلى الأمام واليسار يمضغ شيئاً بصخب. سأل شخص شخصاً آخر بلطف عن شعوره. كان هناك جواب هامس. كان يانِّك يغني بهمس ونشاز.

الإدراك. كان كل ذلك من وظائف الإدراك. لكنه لم يكن إلى الأبد.

"لماذا أقحمتُ نفسي في هذا؟"، سأل أولسون فجأة بشكل ميؤوس، مردِّداً صدى أفكار غارّاتي منذ بضع دقائق. "لماذا تركتُ نفسي أتورَّط في هذا؟".

لم يُجبه أحدٌ. لم يكن أحدٌ قد أجابه منذ مدة طويلة الآن. شعرَ غارّاتي كما لو أن أولسون توفى من قبل.

تساقط مطر خفيف آخر. مرّوا قرب مقبرة قديمة أخرى، وبجانبها معبد، وواجهة متجر صغير جداً، ثم وجدوا أنفسهم يسيرون في مجتمع نيو إنغلند صغير يتألف من منازل أنيقة صغيرة. كان الطريق يمرّ عبر صفوف متداخلة من متاجر منمنمة تجمَّع فيها عشرة أشخاص ليشاهدوهم يمرّون. هتفوا لهم، لكن بصوت خافت، كما لو أنهم كانوا خائفين من إيقاظ جيرانهم. رأى غارّاتي أن أحداً منهم لم يكن يافعاً. فالأصغر كان رجلاً ذا عينين حادتين في حوالي الخامسة والثلاثين من عمره. كان يرتدي نظارات بدون إطار ومعطفاً رياضياً رثاً، جذبه نحوه بقوة ليحمي نفسه من البرد. كانت مؤخرة شعره عالقةً في الهواء، ولاحظ غارّاتي بابتسامة أن سحّاب سرواله نصف مفتوح.

"هيا! رائع! هيا! هيا! آه، رائع!"، كان يغني بلطف. وراح يلوِّح بيد مكتنزة ناعمة بلا توقف، وبدت عيناه تتوهّجان لكل واحد منهم وهم يمرّون.

على الجانب البعيد للقرية، كان شرطي ذو عينين نعستين قد أوقف شاحنة مقطورة إلى أن يمرّوا. وكانت هناك أربعة أعمدة إنارة إضافية، ومبنى مهجور متداعٍ معلَّق فوق بابه الأمامي المزدوج الكبير لافتة مكتوب عليها "مزرعة يوريكا رقم 81"، ثم انتهت البلدة. بدون أي سبب واضح لغارّاتي، شعَر كما لو أنه مَرّ للتو عبر قصة قصيرة لشيرلي جاكسون.

نكزَه ماكفريز. "انظر إلى ذلك الرجل"، قال.

كان "ذلك الرجل" فتىً طويلاً يرتدي معطفاً واقياً من المطر مضحكاً من الجوخ الأخضر. كان يرفرف حول رُكبتيه، ويسير وقد لفَّ ذراعيه حول رأسه مثل كمادة ضخمة. كان يترنّح يميناً ويساراً. راقَبه غارّاتي جيداً، باهتمام أكاديمي. لا يمكنه أن يتذكّر أبداً أنه رأى هذا السائر بالذات من قبل... لكن العتمة بالطبع تغيِّر الوجوه.

تعثَّر الفتى بأحد قدميه وكاد يسقط. ثم واصل السير. راقَبه غارّاتي وماكفريز بصمت مفتون لحوالي عشر دقائق، ناسيَين أوجاعهما وتعبهما أمام كفاح الفتى ذي المعطف الواقي من المطر. لم يصدر أي صوت عن الفتى ذي المعطف الواقي من المطر، ولا حتى تأوهاً أو أنيناً.

أخيراً سقط وحُذِّر. لم يشعر غارّاتي أن الفتى سيكون قادراً على النهوض، لكنه نهض. وأصبح يسير الآن مع وجود غارّاتي والفتيان من حوله. كان فتى بشعاً جداً، مُلصق الرقم 45 على معطفه.

همَس أولسون، "ما أمرك؟"، لكن بدا أن الفتى لم يسمعه. كان غارّاتي قد لاحظ أن الأمور تسير هكذا مع البعض. انفصال تام عن كل شيء وكل شخص من حولهم. كل شيء ما عدا الطريق. فيحدِّقون في الطريق بافتتان بغيض، كما لو أنه حبل مشدود عليهم أن يسيروا عليه إلى ما لا نهاية، فوق هوّة لا قعر لها.

"ما اسمك؟"، سأل الفتى، لكن لم يكن هناك جواب. ووجَد نفسه فجأة يكرِّر السؤال للفتى مرة تلو الأخرى، مثل ابتهال أحمق سينقذه من أي قدر كان قادماً إليه من العتمة مثل شاحنة سوداء. "ما اسمك؟ ما اسمك، ما اسمك، ما–"

"راي". كان ماكفريز يشدّه من كُمّه.

"لن يُخبرني، بيت، اجعله يُخبرني، اجعله يقول لي إسمه–".

"لا تزعجه"، قال ماكفريز. "إنه يُحتضَر، لا تزعجه".

سقط الفتى ذو الرقم 45 مجدداً، على وجهه هذه المرة. عندما نهض، كانت هناك خدوش على جبهته، وراح الدم يسيل ببطء. كان قد أصبح خلف مجموعة غارّاتي، لكنهم سمِعوا عندما نال تحذيره الأخير.

مرّوا عبر عتمة أكثر ظلمة كانت في معبر فوقي لسكة حديدية. كان المطر يتقطَّر في مكان ما، بشكل مجوَّف وغامض في هذه الحنجرة الحجرية. كان رطباً جداً. ثم خرجوا إلى الهواء الطلق مرة أخرى، ورأى غارّاتي بامتنان أنه كان هناك طريق طويل مستقيم ومسطَّح أمامهم.

سقَط 45 مرةٍ أخرى. تسارعت الخُطى بينما تفرَّق الفتيان. وزأرت البنادق بعد برهة. قرَّر غارّاتي أن إسم الفتى يجب ألا يكون مهماً على أي حال.

الفصل 6

"والآن متسابِقونا موجودون في الغرف العازلة".

–جاك باري
البرنامج التلفزيوني Twenty–One

الثالثة والنصف فجراً.

بدت لراي غارّاتي كأطول دقيقة في أطول ليلة من ليالي حياته. كانت أدنى درجات الجَزْر، أو انحسار الجَزْر، وهي الفترة التي يتراجع فيها البحر تاركاً شواطئ طينية زلقة مُغطاة بأعشاب ضارة متشتّتة، وعلب شراب شعير صدئة، وأدوية متعفِّنة، وزجاجات مكسَّرة، وطوافي محطَّمة، وهياكل عظمية مكسوة بطحالب خضراء في سراويل رياضية قصيرة ممزَّقة. كان انحسار الجَزْر.

نال سبعة آخرون بطاقات منذ الفتى في المعطف الواقي من المطر. وفي فترة ما عند حوالي الثانية فجراً، سقط ثلاثة بشكل متزامن تقريباً، مثل قشور ذرة مجفَّفة في رياح الخريف القارسة الأولى. كانوا قد قطعوا مئة وعشرين كيلومتراً في المسيرة، واختفى أربعة وعشرون فتى.

لكن لا شيء من ذلك مهمٌ. فكل ما كان مهماً هو انحسار الجَزْر. الثالثة والنصف وانحسار الجَزْر. أُعطي تحذيرٌ آخر، وبعد قليل من ذلك، زأرت البنادق مرة أخرى. كان الوجه مألوفاً هذه المرة. كان حامل الرقم 8، دايفدسون، الذي ادّعى أنه تسلَّل في إحدى المرات إلى خيمة الراقصات في معرض ستوبنفيل.

نَظَر غارّاتي إلى وجه دايفدسون الأبيض الملطَّخ بالدم للحظة فقط ثم اِلتفَت إلى الطريق. كان ينظر إلى الطريق لفترات طويلة الآن. كان الخط الأبيض خالصاً أحياناً، ومتقطعاً أحياناً، ومزدوجاً أحياناً، مثل سكة الترامواي. تساءل كيف يستطيع الناس ركوب هذا الطريق كل الأيام الأخرى للسنة

دون أن يروا نمط الحياة والموت في ذلك الطلاء الأبيض. أو ربما كانوا يرونه، في النهاية؟

أبهره الرصيف. كم سيكون جميلاً وسهلاً الجلوس عليه. سيبدأ بحَني الركبتين، وستطقطق مفاصلهما المشدودة مثل مسدسات هوائية. ثم سيضع يديه على السطح البارد المرصوف بالحصى ويُلقي مؤخرته هناك، شاعراً بالضغط الصارخ للكيلوغرامات الاثنين والسبعين يزول عن قدميه... ثم لكي يستلقي، ينحي إلى الوراء بكل بساطة ويتمدَّد هناك، منفرِج الذراعين والساقين، شاعراً بتمدّد عموده الفقري المُتعَب... ناظراً إلى الأشجار المطوّقة ومجموعات النجوم المهيبة... غير مكترث بالتحذيرات، ناظراً فقط إلى السماء ومنتظراً... منتظراً...

أجل.

سامعاً تفرُّق خُطى السائرين وهم يبتعدون عن خط النار، تاركينه لوحده، مثل أضحية. سامعاً الهمسات. إنه غارّاتي... لقد حصل على بطاقة! ربما سيتسنّى له الوقت ليسمع باركوفيتش يضحك وهو يوثق رباط حذاء رقصه المجازي مرة أخرى. ترتفع البنادق مركَّزة عليه، ثم–

أشاح بنظره بقوة عن الطريق وراح يحدِّق دامعاً في الظلال المتحرّكة حوله، ثم رفع نظره إلى الأفق، باحثاً بحسرة عن أي أثر لضوء الفجر. لكن بالطبع لم يجد أي أثر له. كان الليل لا يزال داكناً.

مرّوا ببلدتين أو ثلاث بلدات صغيرة أخرى، كلها مظلمة ومُغلقة. ومرّوا منذ منتصف الليل بحوالي ثلاثين متفرّجاً نعساناً، من النوع المُعانِد الذي يشاهد السباق بتجهّم في ليلة رأس السنة الجديدة كل 31 ديسمبر، مهما بلغت الشدائد. كانت بقية الساعات الثلاثة والنصف الأخيرة مجرد مونتاج حلمٍ، كابوسٍ نصف نائم.

نظر غارّاتي عن كثب أكثر في الوجوه التي حوله، لكن كلها لم تبدُ مألوفة له. غمره ذعر غير منطقي. ربَّت على كتف السائر الذي أمامه. "پيت؟ پيت، هل هذا أنت؟".

ابتعد عنه الشكل بانزعاج ولم يلتفت إلى الوراء. كان أولسون على يساره، وبايكر على يمينه، لكن لم يعد هناك أي شخص على يساره، والفتى الذي على يمينه كان بديناً أكثر بكثير من آرت بايكر.

كان قد هام على وجهه بطريقة ما وتراجع إلى مجموعة من الكشّافة المتأخرين. لا بدّ أنهم يبحثون عنه. يتعقّبون آثاره. ببنادقهم وكلابهم وفِرقهم وراداراتهم وأجهزة تعقّب الحرارة و–

حلّ عليه شعور بالارتياح. ها هو أبراهام، أمامه وعلى يمينه. كل ما عليه فعله هو إدارة رأسه قليلاً. كان الشكل الفارع الطول جليّاً.

"أبراهام!"، همَس له بصوت مسموع. "أبراهام، هل أنت مستيقظ؟".

تمتم أبراهام شيئاً.

"قلتُ، هل أنت مستيقظ؟".

"نعم، اللعنة عليك يا غارّاتي، اتركني وشأني".

كان على الأقل لا يزال معهم. وزال ذلك الشعور بالارتباك التام.

نال شخصٌ أمامهم تحذيراً ثالثاً وفكّر غارّاتي في سرّه، ليس لديَّ أي تحذير! يمكنني الجلوس لدقيقة أو دقيقة ونصف. يمكنني–

لكنه لن ينهض أبداً.

بلى سأنهض، أجاب نفسه. بالتأكيد سأنهض، أنا فقط–

سأموت. تذكَّر وعده لأمه أنه سيراها وجانيس في فريبورت. لقد قطَعَ الوعد باستخفاف تقريباً. عند التاسعة صباح البارحة، كان وصوله إلى فريبورت استنتاجاً حتمياً. لكن المسألة لم تعد لعبة، بل كانت واقعاً ثلاثي الأبعاد، واحتمال دخول فريبورت سيراً على قدمين دمويتين بدا احتمالاً ممكناً بشكل رهيب.

أُطلق النار على شخص آخر... خلفه، هذه المرة. كان التسديد سيئاً، وراح حامل البطاقة المنحوس يصرخ بصوت أجش لفترة بدت طويلة جداً قبل أن تُخرسه رصاصة أخرى. من دون أي سبب على الإطلاق، راح غارّاتي يفكّر باللحم المقدَّد، وسال لعاب ثقيل وحامض في فمه جَعَله يشعر بالغثيان. تساءل غارّاتي إن كان زوال ستة وعشرين فتى يُعتبر رقماً مرتفعاً بشكل غير اعتيادي أو رقماً منخفضاً بشكل غير اعتيادي لمئة وعشرين كيلومتراً في المسيرة الطويلة.

انخفض رأسه ببطء بين كتفَيه، وراحت قدماه تتحرّكان من تلقاء نفسيهما. تذكّر جنازة حضرها عندما كان لا يزال فتى. كانت جنازة فريكي (ومعناها الفظيع) دالّيسيو. بالطبع، لم يكن إسمه الحقيقي فريكي، بل كان جورج، لكن كل الأولاد في الحي سمّوه فريكي لأن عينيه لم تكونا تتحرّكان بانسجام تام...

يمكنه تذكّر فريكي ينتظر أن يختاره أحد الفريقين لمباراة البيسبول، وهو آخر شخص يتم اختياره دائماً، حيث تروح عيناه الخارجتان عن السيطرة تتنقّلان بكل أمل من قائد فريق إلى الآخر مثل متفرّجٍ في مباراة كرة مضرب. كان يلعب دائماً في مركز لاعب الوسط، حيث لا يصل الكثير من الكُرات ولا يمكنه أن يسبِّب ضرراً كبيراً؛ كانت إحدى عينيه عمياء تقريباً، ولم يكن لديه إدراك كافٍ بالعمق لكي يحكم على أي الكُرات تُضرَب نحوه. وقف في إحدى المرات تحت كُرة متّجهة صوبه ولوَّح قفازه مُمسكاً الهواء بينما حطَّت الكُرة على جبهته بصوت ارتطام مسموع مثل شمّامة ضُربَت بمقبض سكين مطبخ. بقيت آثار خيوط الكُرة ظاهرة على جبهته لمدة أسبوع، كما لو أنها دمغة.

قتلت سيارةٌ فريكي على الطريق العام رقم 1 خارج فريبورت. وقد شاهد أحد أصدقاء غارّاتي، إيدي كليبشتاين، ما حصل. بقي إيدي كليبشتاين يأسر اهتمام الأولاد لستة أسابيع وهو يُخبرهم كيف صدمت السيارة دراجة فريكي دالّيسيو الهوائية وطار فوق مِقودها، وقد خُلع حذاؤه من رجلَيه اللتين راحتا تلوّحان خلفه في فخامة رهيبة بينما طار جسده تلك المسافة القصيرة من مقعد دراجته الهوائية إلى جدار حجريّ حيث حطَّ رأسه منتشراً مثل بقعة غراء رطب على الأحجار.

ذهَب إلى جنازة فريكي، وقبل أن يصلوا إلى هناك، كاد يتقيأ متسائلاً إن كان سيرى رأس فريكي منتشراً في التابوت مثل قطرة من غراء إلمر، لكن فريكي كان مرتدياً معطفه الرياضي وربطة عنقه ودبوس الكشّافة الخاص به، وبدا جاهزاً للخروج من تابوته لحظة يقول أحدهم كلمة بيسبول. كانت العينان اللتان لا تتحرّكان بانسجام تام مغلقتين، وشعَر غارّاتي بارتياح عام.

كان فريكي الشخص الميت الوحيد الذي رآه في حياته قبل كل هذا، وكان ميتاً نظيفاً أنيقاً. لا شيء يشبه موت إيوينغ، أو الفتى الذي يرتدي معطف الجوخ الواقي من المطر، أو دايفدسون والدم على وجهه الـمُتعَب والغاضب للغاية.

هذا مقرف، فكّر غارّاتي بكآبة. هذا مقرف تماماً.

عند الرابعة إلا رُبع، نال أول تحذير، وصفَع نفسه بذكاء مرتين على وجهه محاولاً إيقاظ نفسه. شَعَر ببرد كبير يلفّ جسمه كله. وكانت كُليتاه تشكّلان عبئاً ثقيلاً عليه، لكنه رغم ذلك لم يشعر أنه بحاجة إلى التبويل بعد. ربما كان يتخيَّل ذلك لكن النجوم في الشرق بدت شاحبة أكثر. وأدرك بدهشة حقيقية أنه في مثل هذا الوقت البارحة كان نائماً على المقعد الخلفي للسيارة بينما قادتها أمه نحو العمود الحجري البسيط الذي يحدِّد الحدود. كان قادراً تقريباً على رؤية نفسه ممدَّداً على المقعد الخلفي، مثل أخطبوط لا يتحرّك. شعَر بحنين قوي ليعود إلى هناك. فقط لإعادة صباح البارحة.

الرسالة وصلت الآن.

نظر حوله، وشعر برضا كبير من اكتشافه أنه أحد المستيقظين بالكامل القليلين. أصبح النور أقوى بالتأكيد الآن، بما يكفي لتمييز ملامح الخيالات السائرة. كان بايكر أمامه – كان قادراً على التيقن من ذلك بسبب القميص المقلّم بالأحمر – وكان ماكفريز خلفه. رأى أن أولسون يسير إلى اليسار، مواكباً سرعة العربة نصف المجنزَرة، وتفاجأ من ذلك. كان متأكداً أن أولسون سيكون من الذين سينالون بطاقة خلال ساعات الصباح الأولى، وكان مرتاحاً من رؤية أن هانك لا يزال موجوداً. كان الجو لا يزال مُظلماً لكي يتمكن من رؤية شكله، لكن رأس أولسون كان ينطّ إلى الأعلى والأسفل بانسجام مع خطواته مثل رأس دمية قماشية محشوة.

كان بيرسي، الذي بقيت أمه تظهر بين الحين والآخر، خلف ستابنز الآن. وكان يسير بتمايل غير متوازن، مثل بحّار عتيق في يومه الأول على اليابسة. رأى غريبل وهاركْنس ووايمان وكولي باركر أيضاً. معظم الأشخاص الذين يعرفهم كانوا لا يزالون هنا.

عند الساعة الرابعة، كان هناك نور مُشرق في الأفق، وشعَر غارّاتي بمعنوياته ترتفع. حدَّق إلى الخلف في النفق الطويل لليل في رعب فعلي، وتساءل كيف استطاع النجاة من كل ذلك.

زاد سرعته قليلاً، مقترباً من ماكفريز الذي كان يسير وذقنه على صدره وعيناه نصف مفتوحتين لكن متجمِّدتين وتحدّقان في الفراغ؛ كان نائماً أكثر مما هو مستيقظ. كان هناك خيط رفيع من اللعاب يتدلّى من زاوية فمه، ملتقطاً أولى لمسات الفجر المرتجفة بأمانة لؤلؤية جميلة. راح غارّاتي يحدِّق في هذه الظاهرة الغريبة، مفتوناً. لم يرغب أن يوقظ ماكفريز من كَبوَته. فقد كان كافياً في الوقت الحاضر أن يكون قريباً من شخص يروق له، من شخص آخر صمدَ خلال الليل.

مرّوا بمرج صخري مائل بشكل حاد تقف فيه خمس أبقار وراء سور خشبي مقشَّر اللِحاء، وراحت تحدِّق فيهم وتمضغ بهدوء. ثم قفز كلب صغير من فناء المزرعة وبدأ ينبح عليهم بقوة. رفع الجنود الجالسون على العربة نصف المجنزَرة بنادقهم تأهّباً لإطلاق النار على الحيوان إذا شوَّش على أي سائر، لكن الكلب بقي يركض ذهاباً وإياباً عند حافة الطريق، مدافعاً عن حدود منطقته بشجاعة من مسافة آمنة. صاح به أحدهم لكي يصمت، وشتمه.

سُرَّ غارّاتي من اقتراب بزوغ الفجر. وراح يراقب السماء والأرض تُضاء تدريجياً. ويراقب الحزام الأبيض في الأفق يتعمَّق أكثر إلى لون زهري مُرهَف، ثم أحمر، ثم ذهبي. زأرت البنادق مرة أخرى قبل انقضاء آخر خيوط الليل، لكن غارّاتي بالكاد سمعها. كان أول قوس أحمر للشمس يُطلّ

فوق الأفق، باهتاً خلف بعض السُحُب، ثم ظهر مرة أخرى في انقضاض كبير. بدا أن اليوم سيكون مثالياً، وحيّاه غارّاتي ببعض القلق قائلاً لنفسه: الحمد لله أنه يمكنني الموت في ضوء النهار.

غرَّد عصفور بصوت يدّل على النعاس. ومرّوا بمزرعة أخرى لوَّح لهم فيها رجل ذو لحية بعد أن وضع أرضاً عربة نقل يدوية ذات عجلة واحدة مليئة بمجارف ومدمّات وبذور للزرع.

نعَق غرابٌ بصوت صاخب في الغابة الظليلة. لمست أولى حرارة اليوم وجه غارّاتي بلطف، ورحَّب بها. ابتسم وطلب قِربةً بصوتٍ عالٍ.

هزّ ماكفريز رأسه بشكل غريب، مثل كلب قُطع حلمه وهو يطارد قطةً، ثم نظر حوله بعينين ضبابيتين. "يا إلهي، ضوء النهار. ضوء النهار يا غارّاتي. كم الساعة؟".

نَظَر غارّاتي إلى ساعته وتفاجأ من أنها الخامسة والرُبع. مدَّ يده إلى ماكفريز ليرى بنفسه.

"كم عدد الكيلومترات؟ هل لديك أي فكرة؟".

"حوالي مئة وثلاثين. وأمامنا ثلاثة وأربعون. نحن على بُعد رُبع المسافة من المنزل يا پيت".

"عظيم". ابتسم ماكفريز. "هذا صحيح، أليس كذلك؟".

"صحيح تماماً".

"هل تشعر بتحسّن؟"، سأل غارّاتي.

"حوالي ألف بالمئة".

"وأنا أيضاً. أعتقد أن ضوء النهار هو السبب".

"يا إلهي، أنا متأكد أننا سنرى بعض الناس اليوم. هل قرأت ذلك المقال في أسبوع العالم عن المسيرة الطويلة؟".

"تصفَّحته"، قال غارّاتي. "في الأغلب لكي أرى إسمي مطبوعاً".

"قال إن حجم الأموال المتداولة في المسيرة الطويلة كل سنة يفوق مليارَي دولار. مليارا دولار!".

استيقظ بايكر من كَبوَته وانضم إليهما. "كنا معتادين على تخصيص سلة في مدرستي لكل

الأموال"، قال. "ويضع كل شخص ربع دولار، ثم نختار رقماً ثلاثي الأعداد من داخل قبعة. والشاب الذي يحمل أقرب رقم إلى آخر ميل يُقطَع في المسيرة، يحصل على المال".

"أولسون!"، صاح ماكفريز بانشراح. "فقط فكِّر بكل تلك الأموال تتدفّق عليك! فكِّر بالأشخاص الواقفين أمامك حاملين رُزماً من المال!".

أجابه أولسون بصوت مُتعَب قائلاً إنه بإمكان أولئك الأشخاص الحاملين رُزم المال تنفيذ حركتين قذرتين على أنفسهم، والثانية تلي الأولى مباشرة. فضحِك ماكفريز وبايكر وغارّاتي.

"سيكون هناك الكثير من الفتيات الجميلات على الطريق اليوم"، قال بايكر وهو ينظر إلى غارّاتي بخبث مُداعِب.

"لقد أقلعتُ عن كل هذه الأمور"، قال غارّاتي. "لديَّ فتاة أمامنا. سأكون فتىً مؤدَّباً من الآن وصاعداً".

"عفيف في الفكر والكلام والأفعال"، قال ماكفريز بشكل مختصر مفيد.

هزَّ غارّاتي كتفيه وقال، "انظر إليها بأي طريقة تريدها".

"هناك احتمال واحد بالمئة ضدك أنك لن تتمكن سوى من التلويح لها بيدك مرة أخرى"، قال ماكفريز بشكل قاطع.

"ثلاثة وسبعين إلى واحد الآن".

"لا يزال مرتفعاً جداً".

لكن روح الدعابة لدى غارّاتي كانت صلبة. "أشعر أنه يمكنني السير إلى الأبد"، قال برقّة. ابتسم سائران حوله.

مرّوا بمحطة وقود تعمل طوال الليل وخرج الموظف لكي يلوِّح لهم. ولوَّح له الجميع تقريباً. كان الموظف يهتف مشجِّعاً لواين، 94، بشكل خاص.

"غارّاتي"، قال ماكفريز بهدوء.

"ماذا؟".

"لا يمكنني تحديد كل الشباب الذين نالوها. هل يمكنك؟".

"لا".

"باركوفيتش؟".

"لا. أمامنا. أمام سكرام. هل تراه؟".

نظَرَ ماكفريز. "آه. نعم، أعتقد أنني أراه".

"وستابنز لا يزال في الخلف، أيضاً".

"لستُ متفاجئاً. شاب ظريف، أليس كذلك؟".

"أجل".

ساد صمت بينهما. تنهَّد ماكفريز بعمق، ثم أنزَل حقيبة ظهره عن كتفه وأخرَج بعض الكعك. قدَّم واحدة إلى غارّاتي، الذي أخذها. "أتمنى أن ينتهي هذا"، قال. "بطريقة أو بأخرى".

أكَلا الكعك بصمت.

"يجب أن نكون في منتصف الطريق إلى أولدتاون، صحيح؟"، قال ماكفريز. "قطعنا مئة وثلاثين، ولا يزال أمامنا مئة وثلاثون؟".

"أظن ذلك"، قال غارّاتي.

"إذاً لن نصل إلى هناك قبل الليل".

ذِكر الليل جَعَل غارّاتي يُصاب بالقشعريرة. "لا"، قال. ثم أضاف فجأة: "كيف حصلت على هذه الندبة يا بيت؟".

امتدّت يد ماكفريز لاإرادياً إلى خده والندبة. "قصة طويلة"، قال باقتضاب.

ألقى غارّاتي نظرة مقرّبة عليه. كان شعره مُجعَّداً ومليئاً بالغبار والعرق، وملابسه مترهّلة، ووجهه شاحباً، وعيناه مُحتقِنتين بالدم ومُحاطتين بدائرتين عميقتين.

"تبدو مريعاً"، قال، وانفجر بالضحك فجأة.

ابتسم ماكفريز. "وأنت أيضاً لا تبدو كأنك تمثِّل إعلاناً لمزيل رائحة يا راي".

ضحِك الاثنان طويلاً وبطريقة هستيرية، مُمسكين بعضهما البعض ومحاولين مواصلة السير في الوقت نفسه. كانت هذه أفضل طريقة لوضع نهاية لليل لمرة واحدة وإلى الأبد. استمرّا على هذا المنوال إلى أن نال كل واحد منهما تحذيراً. فتوقفا عن الضحك والتكلم، ثم عادا إلى التركيز على مهمة اليوم.

التفكير، فكّر غارّاتي في سرّه. هذا هو مهمة اليوم. التفكير. التفكير والوحدة، لأنه لا يهمّ إن قضيتَ اليوم مع شخص أم لا؛ فأنت لوحدك في النهاية. بدا أنه قطع مقداراً من الكيلومترات في ذهنه مماثل للذي قطعه بقدميه. ظلّت الأفكار تراوده ولم تكن هناك أي طريقة لرفضها. كان يكفي لجعله يتساءل بما فكَّر فيه سقراط فور شربه السم.

عند الخامسة وبضع دقائق، مرّوا بأول تجمّع متفرِّجين حسني النية، أربعة فتيان صغار يجلسون القرفصاء مثل الهنود خارج خيمة في حقل نَدِيّ. كان أحدهم لا يزال يلفّ نفسه بكيس نومه، وقوراً مثل إسكيمو. راحت أيديهم تلوِّح يميناً ويساراً مثل بندولات إيقاع موقوتة. لم يبتسم أي واحد منهم.

بعدها بوقت قصير، تفرَّع الطريق إلى طريق آخر أكبر. كان ذلك الطريق الأسفلتيّ سهلاً وواسعاً بعرض ثلاثة ممرات. مرّوا باستراحة لسائقي الشاحنات، وصفَّر الجميع ولوَّحوا للنادلات اليافعات الثلاثة الجالسات على السلالم، فقط ليُظهروا لهنّ أنهم لا يزالون نشطين. الوحيد الذي بدا جدياً إلى حد ما كان كولي باركر.

"ليلة الجمعة"، صاح كولي بصوتٍ عالٍ. "تذكّرن هذا دائماً. أنتن وأنا، ليلة الجمعة".

شعر غارّاتي أنهم يتصرّفون كلهم بشكل غير ناضج قليلاً، لكنه لوَّح بتهذيب وبدا أن النادلات لا يمانعن ذلك. انتشر السائرون على الطريق العريض مع استيقاظ المزيد منهم بالكامل إلى أشعة شمس صباح الثاني من مايو. لمحَ غارّاتي باركوفيتش مرة أخرى وتساءل إن لم يكن باركوفيتش أحد الأذكياء حقاً. من دون أصدقاء لن تحزن أبداً.

بعد بضعة دقائق وصل الخبر، وهذه المرة كان الخبر على شكل نكتة. بروس باستُر، الفتى السائر أمام غارّاتي مباشرة، استدار إلى غارّاتي وقال، "دقّ، دقّ، غارّاتي".

"مَن هناك؟".

"الرائد".

"الرائد مَن؟".

"الرائد التافه الذي يجامع أمه قبل الفطور"، قال بروس باستُر، وضحِك بقوة. ضحِك غارّاتي ضحكة خافتة ومرّرها إلى ماكفريز، الذي مرّرها إلى أولسون. عندما عادت النكتة في المرة الثانية، كان الرائد يجامع جَدّته قبل الفطور. وفي المرة الثالثة كان يجامع شيلا، الكلبة التي ظهرت معه في العديد من نشراته الصحفية.

كان غارّاتي لا يزال يضحك على آخر نكتة عندما لاحَظ أن ضحكة ماكفريز اضمحلّت واختفت. كان يحدِّق بثبات غريب في وجوه الجنود التي تُخفي ما تُضمِره على سطح العربة نصف المجنزَرة. وكانوا يحدِّقون فيه بدورهم بفتور.

"تعتقدون أن هذا مضحك؟"، صاح فجأة. طغى صوت صراخه على أصوات الضحك وأصمَتها. كان وجه ماكفريز مخضَّباً بالدم. وبرزت الندبة في تباين أبيض قوي، مثل علامة تعجّب مشطوبة، وللحظة مليئة بالخوف، اعتقَد غارّاتي أنه كان يتعرَّض لنوبة قلبية.

"الرائد التافه يجامع نفسه، هذا ما أعتقده!"، صاح ماكفريز بصوت أجش. "وأنتم على الأرجح تجامعون بعضكم بعضاً. مضحك جداً، أليس كذلك؟ مضحك جداً، أيها السفلة؟ ألستُ على حق؟".

حدَّق السائرون الآخرون في ماكفريز بانزعاج ثم أشاحوا بنظرهم.

ركَض ماكفريز فجأة نحو العربة نصف المجنزَرة. فرفع جنديان من الجنود الثلاثة بنادقهم تأهّباً، لكن ماكفريز توقف كلياً، ورفع قبضتيه نحوهما، وراح يهزّهما فوق رأسه مثل قائد أوركسترا مجنون.

"انزلوا إلى هنا! ضعوا تلك البنادق من أيديكم وانزلوا إلى هنا! سأُريكم ما هو مضحك!".

"تحذير"، قال أحدهما بصوت محايد تماماً. "تحذير ل. 61. التحذير الثاني".

يا إلهي، فكّر غارّاتي بشكل خَدِر. سيحصل على بطاقة وهو قريب جداً منهم... سيطير في الهواء مثل فريكي دالّيسيو بالضبط.

بدأ ماكفريز يركض، ووصل إلى جانب العربة نصف المجنزَرة، وتوقف، وبصَق عليها. أحدثَ البُصاق خطاً نظيفاً في الغبار الملتصق بجانب العربة نصف المجنزَرة.

"انزلوا!"، صَرَخ ماكفريز. "انزلوا إلى هنا! الواحد تلو الآخر أو دفعة واحدة، لا يهمّني!".

"تحذير! تحذير ثالث لـ 61، التحذير الأخير".

"اللعنة على تحذيراتكم!".

فجأة، ودون أن يُدرك أنه سيفعل ذلك، استدار غارّاتي وركَض إلى الخلف، مستحصلاً على تحذير لنفسه. لكنه سمعه بشكل خافت فقط. فقد كان الجنود يُشهرون بنادقهم على ماكفريز الآن. أمسَك غارّاتي ذراع ماكفريز. "تعالَ إلى هنا–".

"ابتعد من هنا يا راي، سأقاتلهم!".

وجَّه غارّاتي دفعة قوية إلى ماكفريز. "سيطلقون النار عليك، أيها الأحمق".

مرَّ ستابنز بجانبهما.

نَظَر ماكفريز إلى غارّاتي، وبدا أنه تعرَّف عليه لأول مرة. بعد ثانية فقط، نال غارّاتي تحذيره الثالث، وعرِف أن ماكفريز على بُعد ثوانٍ فقط من حصوله على بطاقته.

"اذهب إلى الجحيم"، قال ماكفريز بصوت خفيض. وبدأ يسير مرة أخرى.

سار غارّاتي معه. "اعتقَدتُ أنك ستشتري بطاقتك، هذا كل شيء"، قال.

"لكنني لم أفعل ذلك، بفضل الفارس الشهم"، قال ماكفريز بتجهّم. ومدَّ يده إلى الندبة. "تباً، سنشتري كلنا بطاقاتنا".

"سيفوز شخص ما. قد يكون أحدنا".

"هذا كذب"، قال ماكفريز بصوت مرتعش. "لا يوجد فائز، لا جائزة. يأخذون الشاب الأخير إلى خلف حظيرة في مكان ما ويطلقون النار عليه أيضاً".

"لا تكن غبياً إلى هذا الحد!"، صاح غارّاتي فيه بشراسة. "ليست لديك أي فكرة عما تق–".

"الجميع يخسرون"، قال ماكفريز. وحدَّقت عيناه خارج الكهف المظلم لمحجريها مثل حيوانٍ ضارٍ. كانا يسيران بمفردهما. فكان السائرون الآخرون يحافظون على بُعدهم عنهما، على الأقل في الوقت الحاضر. لقد وصل ماكفريز إلى حدود الخطر، وكذلك فعل غارّاتي، بطريقة ما – فقد عمل

ضد مصلحته الشخصية عندما ركَض إلى الخلف نحو ماكفريز. على كل حال، منع ماكفريز من أن يصبح الرقم الثامن والعشرين.

"الجميع يخسرون"، كرَّر ماكفريز. "من الأفضل أن تصدِّق ذلك".

ساروا على سكة حديدية. ساروا تحت جسر أسمنتيّ. ومرّوا على الجهة الأخرى بجانب معمل ألبان مُغلق بألواح خشبية وعليه لافتة تقول: سنعاود فتح أبوابنا للموسم في 5 يونيو.

نال أولسون تحذيراً.

شعَر غارّاتي بتربيت على كتفه واستدار. كان ستابنز. لم يبدُ أفضل أو أسوأ من الليلة السابقة. "صديقك هناك أشار إلى الرائد"، قال.

لم يُبدِ ماكفريز أي دلالة بأنه سمعه.

"أظن ذلك، نعم"، قال غارّاتي. "أنا شخصياً تخطّيتُ مرحلة الرغبة بدعوته لتناول الشاي في المنزل".

"انظر خلفنا".

ففعل غارّاتي ذلك. كانت عربة نصف مجنزَرة ثانية قد وصلت، وبينما كان ينظر، وصلت عربة ثالثة خلفها عبر طريق جانبي.

"الرائد قادم"، قال ستابنز، "وسيبتهج كل شخص". ابتسم، وكانت ابتسامته غريبة. "لا يكرهونه حقاً بعد. ليس بعد. فقط يظنّون أنهم يكرهونه. يظنون أنهم عانوا الويل حتى الآن. لكن انتظر إلى هذه الليلة. انتظر إلى الغد".

نَظَر غارّاتي إلى ستابنز بانزعاج. "ماذا لو أطلقوا صيحات استهجان ورموا قِرَبهم عليه، أو أي شيء آخر؟".

"هل ستُطلق صيحات استهجان وترمي قِربتك؟".

"لا".

"وكذلك كل شخص آخر. سترى".

"ستابنز؟".

رفع ستابنز حاجبَي عينيه.

"تعتقد أنك ستفوز، أليس كذلك؟".

"نعم"، قال ستابنز بهدوء. "أنا متأكد جداً من ذلك". وعاد إلى موضعه الاعتيادي.

عند الساعة 5:25، اشترى يانِّك بطاقته. وعند الساعة 5:30 فجراً، مثلما توقَّع ستابنز بالضبط، وصل الرائد.

سمعوا هديراً قوياً عندما تأرجح جيبّه فوق قمة التلة خلفهم. ثم تجاوزهم هادراً، عند حافة الطريق. كان الرائد يقف بتأهّب كامل. وكما من قبل، كان يحيِّهم تحية عسكرية حازمة. شعَرَ غارّاتي بقشعريرة فخر مضحكة تملأ صدره.

لم يبتهج الجميع. فقد بصَق كولي باركر على الأرض. ووضع باركوفيتش إبهامه على أنفه وحرّك أصابعه هازئاً. واكتفى ماكفريز بالنظر، محرِّكاً شفتيه بصمت. بدا أن أولسون لم يلاحظ وصول الرائد أبداً؛ فقد كان قد عاد إلى النظر إلى قدميه.

ابتهَج غارّاتي. وكذلك فعل بيرسي مهما-يكن-إسمه وهارْكنس، الذي أراد أن يؤلِّف كتاباً، ووايمان وآرت بايكر وأبراهام وسلادج، الذي نال تحذيره الثاني للتو.

ثم اختفى الرائد، متحرّكاً بسرعة. شعَر غارّاتي ببعض الخجل من نفسه. فقد أهدر في النهاية بعضاً من طاقته.

أخذهم الطريق بعد وقت قصير بجانب مرأب سيارات مستعملة حيث أُعطوا تحيةً من واحد وعشرين بوقاً. وساهم الصوت المضخَّم الصادر عن صفوف مزدوجة من رايات بلاستيكية مثلثة الشكل في إخبار السائرين – والمتفرِّجين – أن لا شيء يتفوّق على ماكلارين دودج. وجَد غارّاتي أن كل ذلك مُثبِط للعزيمة قليلاً.

نظر إلى ماكفريز وسأله بتردّد، "هل تشعر بأي تحسّن؟".

"بالتأكيد"، قال ماكفريز. "رائع. سأواصل السير وأشاهد الجميع يسقطون من حولي. يا لها من متعة. لقد أجريتُ كل عمليات القسمة في ذهني – كانت مادة الرياضيات المفضَّلة لديَّ في المدرسة – وأعتقد أننا يجب أن نكون قادرين على السير خمسمئة وعشرين كيلومتراً على الأقل بالوتيرة التي

نسير بها. وهذه ليست حتى مسافة قياسية".

"لماذا لا تذهب وتنفّس غضبك في مكان آخر إذا كنت ستتكلم هكذا يا پيت"، قال بايكر. بدا متوتراً للمرة الأولى.

"آسف يا أمي"، قال ماكفريز بتجهّم، لكنه صمت.

سطَع اليوم. فك غارّاتي سحّاب سترته، وعلَّقها فوق كتفه. كان الطريق مستوياً هنا، ومُزداناً بمنازل ومتاجر صغيرة ومزارع عَرَضيّة. وأشجار الصنوبر التي زيَّنت الطريق في الليلة السابقة أفسحت المجال لمعامل الألبان ومحطات الوقود ومزارع المواشي الصغيرة جداً. كان عدداً كبيراً من مزارع المواشي معروضاً للبيع. ورأى غارّاتي اللافتة المألوفة على نافذتين: ضحّى إبني بحياته في الفِرق.

"أين المحيط؟"، كولي باركر سأل غارّاتي. "يبدو كما لو أنني عدتُ إلى إيلينوي".

"فقط واصل السير"، قال غارّاتي. كان يتذكّر جانيس وفريبورت مرة أخرى. فقد كانت فريبورت على المحيط. "إنه هناك. على بُعد حوالي مئة وخمسة وسبعين كيلومتراً جنوباً".

"تباً"، قال كولي باركر. "يا لها من ولاية تافهة".

كان باركر شاباً أشقر مفتول العضلات يرتدي قميصاً رياضياً قطنياً، وذا نظرات وقِحة حتى ليلة كاملة على الطريق لم تتمكن من إزالتها. "أشجار لعينة في كل مكان! هل هناك مدينة في كل هذا المكان اللعين؟".

"نحن مضحكون هنا"، قال غارّاتي. "نعتقد أنه ممتع تنفس هواء حقيقي بدلاً من الضباب الدخاني".

"لا يوجد ضباب دخاني في جولْيت، أيها الريفي الأخرق اللعين"، قال كولي باركر بشراسة. "بماذا تحاول أن تخدعني؟".

"لا يوجد ضباب دخاني لكن الكثير من الهواء الساخن"، قال غارّاتي. كان غاضباً.

"لو كنا في المنزل، لكنتُ حطمت رأسك".

"اهدأوا يا شباب"، قال ماكفريز. كان قد استعاد رشده وحسّه التهكمي القديم. "لماذا لا تسوّون

هذا الخلاف مثل النبلاء؟ أول شخص يطير رأسه يجب أن يدعو الآخر إلى كوب شراب شعير بارد".

"أكره شراب الشعير"، قال غارّاتي عفوياً.

قهقه باركر. "أيها الساذج اللعين"، قال، وابتعَد.

"إنه مجنون"، قال ماكفريز. "الجميع مجنونون هذا الصباح. حتى أنا. واليوم جميل. ألا توافق يا أولسون؟".

لم يقل أولسون شيئاً.

"أُصيب أولسون بالجنون أيضاً"، قال ماكفريز لغارّاتي كما لو أنه يستودعه سراً. "أولسون! مهلاً يا هانك!".

"لماذا لا تتركه وشأنه؟"، سأل بايكر.

"مهلاً يا هانك!"، صرَخ ماكفريز متجاهلاً بايكر. "هل تريد أن نذهب للمشي قليلاً؟".

"اذهب إلى الجحيم"، تمتم أولسون.

"ماذا؟"، صاح ماكفريز بمرح، واضعاً يده خلف أذنه كما لو أنه لم يسمع. "ماذا قلتَ يا غلام؟".

"الجحيم! الجحيم!"، صرَخ أولسون. "اذهب إلى الجحيم!".

"آه، هذا ما قلتَه". أومأ ماكفريز برأسه بحكمة.

عاد أولسون ينظر إلى قدميه، وضجِر ماكفريز من استفزازه... إذا كان هذا ما كان يحاول فعله.

فكّر غارّاتي بما قاله باركر. كان باركر وغداً. كان باركر سارق صيدليات كبير وشاباً قوياً في ليالي السبت. كان باركر بطلاً في سترة جلدية. ماذا يعرف عن ماين؟ فقد عاش كل حياته في ماين، في بلدة صغيرة تدعى بورترفيل، غرب فريبورت مباشرة. عدد سكانها 970 نسمة وليست سوى ضوء وامض، وما الطابع الخاص اللعين في جولْيت، إيلينوي على أي حال؟

كان والد غارّاتي معتاداً على القول إن بورترفيل هي البلدة الوحيدة في المقاطعة التي تضم

مقابر أكثر من عدد السكان. لكنها كانت مكاناً نظيفاً. كانت البطالة مرتفعة، والسيارات صدئة، ويجري الكثير من العلاقات الحميمة، لكنها كانت مكاناً نظيفاً. كان النشاط الوحيد هو مباراة التحدي كل ليلة أربعاء في القاعة المركزية (كانت الجائزة الكبرى مئزراً للمطبخ وعشرين دولاراً)، لكنها كانت مكاناً نظيفاً. وهادئاً. ما العيب في ذلك؟

نَظَر إلى ظهر كولي باركر بامتعاض. لقد فاتك القطار يا صديقي. اللعنة عليك وعلى جولْيت وكل متاجر حلوياتها ومطاحنها.

تذكّر جانيس مرة أخرى. كان بحاجة إليها. أحبك يا جانيس، فكّر في سرّه. لم يكن مغفّلاً، وكان يعرف أنها أصبحت تعنيه أكثر مما كانت في الواقع. لقد تحوّلت إلى رمز للحياة. درع ضد الموت المفاجئ الذي يأتي من العربة نصف المجنزَرة.

كانت السادسة والرُبع صباحاً الآن. حدَّق في مجموعة سيدات منازل مبتهِجات تجمَّعن بالقرب من تقاطع طرقات بدا مركزاً عصبياً صغيراً لقرية مجهولة. كانت إحداهن ترتدي سروالاً ضيقاً وكنزةً أضيق. كان وجهها عادياً، وقد ارتدت ثلاث أساور ذهبية في معصمها الأيمن راحت تخشخِش وهي تلوِّح بيدها. كان باستطاعة غارّاتي سماعها تخشخِش. لوَّح لها بدوره، دون أن يفكّر حقاً بما يفعله. كان يفكّر بجانيس، التي جاءت من كونّكتيكت، التي بدت ناعمة جداً وواثقة بنفسها، بشعرها الأشقر الطويل وحذائها المسطَّح. كانت ترتدي أحذية مسطَّحة تقريباً دائماً لأنها طويلة جداً. تعرَّف عليها في المدرسة. بدأت الأمور ببطء، لكنها نجحت أخيراً. نجاح باهر.

"... غارّاتي؟".

"ماذا؟".

كان هاركْنس. بدا قلقاً. "لديَّ تشنّج في قدمي. لا أعرف إذا كنتُ قادراً على السير عليها". بدت عينا هاركْنس تتضرَّعان أن يفعل غارّاتي شيئاً.

لم يعرف غارّاتي ماذا يقول. صوت جانيس، ضحكتها، كنزتها التي بلون الكارميللا وسراويلها الحمراء، المرة التي أخذا فيها مزلجة أخيه الصغير وانتهى بهما المطاف يقبّلان بعضهما في كومة ثلج (قبل أن تضع بعض الثلج في قبعة معطفه)... تلك الأشياء هي الحياة. وهاركْنس هو الموت. كان بإمكان غارّاتي أن يشّم ذلك الآن.

"لا يمكنني مساعدتك"، قال غارّاتي. "عليك أن تفعل ذلك بنفسك".

نَظَر إليه هاركْنس برعب شديد، ثم تجهَّم وجهه وأومأ برأسه. فوقَف، وركَع، وراح يتلمّس حذاءه بارتباك.

"تحذير! تحذير لـ 49!".

كان يدلّك قدمه. استدار غارّاتي وراح يسير بالمقلوب ليراقبه. كما وقف فتَيان صغيران يرتديان قميصَين رياضيين لدوري البيسبول المحلي وقد علّقا قفازيهما على مقودَي دراجتيهما الهوائيتين وراحا يراقبانه أيضاً من جانب الطريق، فاغرَي الفم.

"تحذير! التحذير الثاني يا 49!".

نهض هاركْنس وبدأ يعرج على قدمه التي خلع الحذاء منها، وكانت رِجله السليمة تحاول أن تتحمَّل الوزن الزائد المُلقى عليها. أوقع حذاءه، فحاول إمساكه، وتمكّن من إمساكه بإصبعين، لكنه بدأ يتأرجح، ثم سقط منه. توقَف ليرفعه ونال تحذيره الثالث.

كان وجه هاركْنس المنمَّق عادة قد أصبح أحمر بالكامل الآن. وبقي فمه مفتوحاً في شكل دائري رطب. وجد غارّاتي نفسه يشجّع هاركْنس. هيا، فكّر في سرّه، هيا، أسرِع الخطى. أنت قادر على ذلك يا هاركْنس.

راح هاركْنس يعرج بسرعة أكبر. وبدأ فتَيا دوري البيسبول المحلي يقودان دراجتيهما الهوائيتين ويراقبانه. استدار غارّاتي إلى الأمام، لأنه لم يعد يرغب أن يراقب هاركْنس. حدَّق أمامه بشكل مستقيم، محاولاً أن يتذكّر شعوره عند تقبيل جانيس، عند لمس صدرها الناعم.

بدأت محطة وقود تظهر ببطء على اليمين. حيث رأوا شاحنة مليئة بالغبار ذات رفراف مبعوج مركونة على طريق الأسفلت، ورجلان يرتديان قميصَي صيد بمربعات حمراء وسوداء يجلسان على بابها الخلفي يشربان شراب شعير. كان هناك صندوق بريد في نهاية ممر ترابي جانبي تملؤه آثار عجلات، وغطاؤه مفتوح مثل فم. كما كان هناك كلب ينبح بصوتٍ عالٍ وبلا توقف في مكان ما بعيداً عن الأنظار.

انخفضت البنادق ببطء عن أكتاف الجنود وتوجَّهت نحو هاركْنس.

سادت لحظة صمت طويلة ومُرعبة، ثم عادت البنادق عالياً مرة أخرى، كل ذلك وفقاً للقواعد، وفقاً للكتاب. ثم انخفَضت مرة أخرى. كان باستطاعة غارّاتي سماع أنفاس هاركْنس المتسارعة الرطبة.

ارتفعت البنادق، ثم انخفضت، ثم عادت وارتفعت ببطء.

كان فتَيا دوري البيسبول لا يزالان يقودان بقربهم. "انصرفا من هنا!"، قال بايكر فجأة، بصوت أجش. "لا تريدان رؤية هذا".

راحا ينظران إلى بايكر بحشرية مسطَّحة. وبقيا ينظران إليه كما لو أنه نوع من الأسماك. ضغط أحدهما، وكان ذا رأس غليظ مستدير وشعر قصير جداً، بوق دراجته وابتسم. كان يضع جهازاً لتقويم الأسنان جَعَلته الشمس يلمع في فمه.

انخفضت البنادق. كان ذلك أشبه برقصة. راح هاركْنس يسير عند حافة الطريق. هل قرأتَ أي كتب جيدة مؤخراً؟ فكّر غارّاتي بجنون. سيطلقون النار عليك هذه المرة. فقط خطوة واحدة بطيئة–

وداعاً.

جمُد كل شيء.

ثم ارتفعت البنادق إلى الأكتاف.

نَظَر غارّاتي إلى ساعته. دار العقرب الصغير دورة، دورتين، ثلاث دورات. لحق به هاركْنس، وتجاوزه. كان وجهه صارماً، وعيناه تنظران إلى الأمام بشكل مستقيم. كان بؤبؤاه قد انقبضا إلى نقطتين صغيرتين جداً، وتلوَّنت شفتاه بزُرقة خفيفة، وبهُتت بشرته النارية إلى لون الكريما، ما عدا لبُقعة متوهّجة على كل خد. لكنه لم يعد يفضِّل قدمه المعطوبة. فقد ارتخى التشنّج. وراحت قدمه التي خلع الحذاء منها تدوس الطريق بشكل إيقاعي. لكم من الوقت يمكنه أن يسير من دون حذاء؟ تساءل غارّاتي.

شعَر بارتياح في صدره، وسمع أصوات زفير بايكر. كان غبياً منه أن يشعر هكذا. فكلما أبكَرَ هاركْنس في التوقف عن السير، كلما أصبح بإمكانه التوقف عن السير باكراً. هذه هي الحقيقة البسيطة. هذا هو المنطق. لكن شيئاً كان أعمق؛ منطقٌ مخيفٌ أكثر، صادقٌ أكثر. كان هاركْنس جزءاً من المجموعة التي كان غارّاتي جزءاً منها، قسماً من عشيرته الفرعية. جزءٌ من دائرة عجيبة ينتمي إليها غارّاتي. وإذا انكسر أحد أجزاء تلك الدائرة، يمكن أن ينكسر أي جزء منها.

بقي فتَيا دوري البيسبول يقودان دراجتيهما الهوائيتين إلى جانبهم لثلاثة كيلومترات أخرى قبل أن يفقدا الاهتمام ويعودان أدراجهما. كان هذا أفضل، فكّر غارّاتي في سرّه. لا يهمّ إن كانا قد نظرا

إلى بايكر كما لو أنه شيء في حديقة حيوانات. كان من الأفضل لهما عدم رؤيته يموت. راقبهما يبتعدان عن الأنظار.

أمامهم، شكَّل هاركْنس مجموعة طليعية جديدة قوامها رجل واحد يسير بسرعة كبيرة، ويكاد يركض. لم يكن ينظر يميناً أو يساراً. تساءل غارّاتي بماذا كان يفكّر.

الفصل 7

"أود أن أفكر أنني شخص جذاب، حقاً. الناس الذين ألتقي بهم يعتبرون أنني مصاب بالفُصام لمجرد أنني مختلف بالكامل على الشاشة مما أنا عليه خارجها..."

– نيكولاس بارسونز
Sale of the Century (النسخة البريطانية)

سكرام، 85، لم يُبهِر غارّاتي بسبب ذكائه اللامع، لأنه لم يكن ذكياً كثيراً. ولم يُبهِره بسبب وجهه الدائري، أو قَصّة شعره، أو بنيته البدنية، التي كانت ضخمة. بل أبهره لأنه كان متزوجاً.

"حقاً؟"، سأله غارّاتي للمرة الثالثة. كان لا يزال غير مُقتنِع أن سكرام لا يهزأ منه. "أنت متزوج حقاً؟".

"أجل". رفع سكرام نظره إلى شمس الصباح الباكر بمتعة حقيقية. "توقفتُ عن ارتياد المدرسة عندما كنتُ في الرابعة عشرة. لم يكن هناك جدوى منها، ليس بالنسبة لي. لم أكن مشاغباً، فقط غير قادر على نيل علامات جيدة. وقرأ لنا أستاذ التاريخ مقالاً عن اكتظاظ المدارس. لذا قلتُ لنفسي لماذا لا أترك مكاني لشخص آخر يستطيع أن يتعلَّم، وسأشرع في العمل فوراً. كنتُ أريد أن أتزوَّج كاثي على أي حال".

"كم كان عمرك؟"، سأله غارّاتي، منبهراً أكثر من أي وقت مضى. كانوا يمرّون في بلدة صغيرة أخرى، وكانت الأرصفة تعجّ بلافتات ومتفرِّجين، لكنه بالكاد لاحظهم. كان المشاهِدون في عالم آخر من قبل، ولا يوجد أي رابط بينه وبينهم. حتى إنهم يمكن أن يكونوا خلف زجاج سميك ولن يلاحظ الفرق.

"خمسة عشر"، أجاب سكرام. وحكَّ ذقنه، الذي كان أزرق من شُعيرات لحيته.

"ألم يحاول أحدٌ أن يُقنعك بالعدول عن ذلك؟".

"كان هناك مستشار إرشاد في المدرسة، أسمعني الكثير من الهراء عن المثابرة على الدراسة وألا أصبح حفّار خنادق، لكن كانت لديه أمور أهم ليقوم بها من إبقائي في المدرسة. أظن أنه يمكنك القول إنه أسمعني كلاماً معسولاً فقط لا غير. بالإضافة إلى ذلك، على أحدهم أن يحفر الخنادق، أليس كذلك؟".

لوَّح بحماسة لمجموعة فتيات يافعات كنَّ يؤدِّين رقصة تشجيع، في تنانير ذات ثنيات ورُكَب ذات ندوب.

"على أي حال، لم أحفر أي خندق في حياتي المهنية كلها. فقد ذهبتُ لأعمل في مَصنع ملاءات في فينيكس، بأجر ثلاثة دولارات في الساعة. كنا سعيدين، أنا وكاثي". ابتسم سكرام. "أحياناً أثناء مشاهدة التلفزيون، تعانقني كاثي وتقول لي، 'نحن سعداء يا حبيبي'. إنها شخص مميَّز".

"هل لديكما أي أولاد؟"، سأله غارّاتي، وهو يشعر أكثر وأكثر أن هذا الحديث مجنون.

"حسناً، كاثي حامل الآن. قالت إن علينا أن ننتظر إلى أن يصبح معنا ما يكفي من مال في البنك لكي نسدِّد كلفة الولادة. وعندما أصبحنا نملك سبعمئة دولار، قالت إننا مستعدان. حملت بكل سهولة". نظرَ سكرام بصرامة إلى غارّاتي. "سيدخل إبني الكلية. يقولون إن المغفّلين مثلي لا يُرزقون بأولاد أذكياء أبداً، لكن كاثي ذكية كفاية عن كلينا. لقد أنهت دراستها الثانوية. أنا أجبرتها على ذلك. أربعة مقرّرات تعليمية ليلية ثم نجحت في امتحانات التخرّج. سيبقى ولدي يدرس في الكلية طالما أراد ذلك".

لم يقل غارّاتي أي شيء. لم يكن بإمكانه التفكير بأي شيء ليقوله. كان ماكفريز يسير إلى جانبهما، ويتحدّث مع أولسون. وكان بايكر وأبراهام يلعبان لعبة كلمات تسمّى "الشبح". تساءل أين هاركْنس. بعيد عن الأنظار، على أي حال. هكذا كان سكرام، أيضاً. بعيد عن الأنظار حقاً. أظن أنك ارتكبتَ خطأً فادحاً يا سكرام. فزوجتك حامل يا سكرام، وهذا لا يُعطيك أي أفضلية خاصة هنا. سبعمئة دولار في البنك؟ يمكنك إنجاب طفل بهذا المبلغ. ولا توجد أي شركة تأمين في العالم ستلمس مشاركاً في المسيرة الطويلة.

حدَّق غارّاتي في رجل يرتدي سترة مرقَّطة كان يلوِّح قبعة قش بانفعال شديد.

"سكرام، ماذا يحصل إذا نلت بطاقةً؟"، سأله بحذر.

ابتسم سكرام بلطف. "ليس أنا. أشعر أنه يمكنني السير إلى الأبد. لعِلمك، أردتُ أن أشارك في المسيرة الطويلة منذ أن أصبحت في سنّ يسمح لي أن أرغب بأي شيء. لقد سرتُ مئة وثلاثين كيلومتراً منذ أسبوعين فقط، بكل سهولة".

"لكن لنفترض أن شيئاً حصل-".

لكن سكرام ضحِك ضحكة خافتة.

"كم عمر كاثي؟".

"أكبر مني بحوالي سنة. في الثامنة عشرة تقريباً. أهلها معها الآن، هناك في فينيكس".

بدا لغارّاتي كما لو أن أهل كاثي سكرام يعلمون شيئاً لا يعلمه سكرام.

"لا بدّ أنك تحبها كثيراً"، قال ببعض الحزن.

ابتسم سكرام، مُظهِراً آخر ناجيَين عنيدين بين أسنانه. "لم أنظر إلى أي فتاة أخرى منذ أن تزوجنا. كاثي شخص مميَّز".

"وأنت تفعل هذا".

ضحِك سكرام. "أليس مسلياً؟".

"ليس لهاركْنس"، قال غارّاتي بحدّة. "اذهب واسأله إن كان يعتقد أن هذا مسلياً".

"ليس عندك أي إدراك للعواقب"، قال بيرسون وقد اقترب ليسير بين غارّاتي وسكرام. "يمكنك أن تخسر. عليك الإقرار أنه يمكنك أن تخسر".

"ترجيحات فيغاس جَعَلتني المفضَّل قبل بدء المسيرة مباشرة"، قال سكرام. "الترجيحات لصالحي".

"بالتأكيد"، قال بيرسون بتجهّم. "ولياقتك البدنية جيدة، أيضاً، أي شخص يستطيع رؤية هذا". بيرسون نفسه بدا شاحباً ومُتعباً بعد الليلة الطويلة على الطريق. نظرَ بلا مبالاة إلى الحَشد المتجمِّع في مرأب سيارات سوبرماركت كانوا يمرّون بجانبها. "كل شخص لم تكن لياقته البدنية جيدة ميت

الآن، أو تقريباً ميت. لكن لا يزال هناك اثنان وسبعون سائراً".

"نعم، لكن...". ظهر عبوس تفكير على الدائرة العريضة لوجه سكرام. كان بإمكان غارّاتي سماع الآلات هناك تعمل تقريباً: ببطء، بملل، لكن في النهاية بشكل محتوم مثل الموت وبشكل مؤكَّد مثل الضرائب. كان ذلك رائعاً بطريقة أو بأخرى.

"لا أريد أن أُغضبكم"، قال سكرام. "أنتم شباب طيبون. لكنكم لم تشاركوا في هذا السباق بهدف الفوز والحصول على الجائزة. معظم هؤلاء الشباب لا يعرفون لماذا شاركوا فيه. انظروا إلى باركوفيتش. إنه ليس هنا للفوز بالجائزة. إنه يسير فقط ليرى أشخاصاً آخرين يموتون. إنه يحيا على ذلك. فعندما يحصل شخصٌ ما على بطاقة، تزداد حيوته قليلاً. هذا غير كافٍ. سيسقط تماماً مثل ورقة على شجرة".

"وأنا؟"، سأل غارّاتي.

بدا سكرام منزعجاً. "آه، تباً...".

"لا، أكمِل".

"حسناً، برأيي، أنت أيضاً لا تعرف لماذا تسير. إنه الشيء نفسه. أنت صامد الآن لأنك خائف، لكن... هذا غير كافٍ. هذا يزول". أخفَض سكرام نظره إلى الطريق وفرك يديه ببعضهما. "وعندما يزول، أظنك ستشتري بطاقة ككل الباقين يا راي".

تذكّر غارّاتي قول ماكفريز، عندما أصبح مُتعَباً... مُتعَباً حقاً... لماذا، أظن أنني سأجلس.

"سيكون عليك السير لوقت طويل لكي تُسقطني"، قال غارّاتي، لكن تقييم سكرام البسيط للحالة أخافه كثيراً.

"أنا"، قال سكرام، "جاهز لأسير لوقت طويل".

راحت أقدامهم ترتفع وتسقط على الأسفلت، فتنقلهم إلى الأمام، وحول منعطف، ونزولاً في منحدر، ثم فوق سكة حديدية كانت عبارة عن أخاديد معدنية على الطريق. مرّوا بكشك مُغلق لبيع الزلفية المقلية. ثم أصبحوا في الريف مرة أخرى.

"أظن أنني أفهم ما معنى أن أموت"، قال بيرسون فجأة. "الآن أفهم ذلك، على أي حال. ليس الموت نفسه، لا زلتُ لا أستطيع استيعاب ذلك. لكن الموت. إذا توقفتُ عن السير، سأصل إلى نهايةٍ

ما". بلع ريقه، وكانت هناك قرقعة في حنجرته. "تماماً مثل أسطوانة موسيقية بعد الأخدود الأخير". نَظَر إلى سكرام بجد. "ربما المسألة مثلما قلتَ. ربما هذا غير كافٍ. لكن... لا أريد أن أموت".

نَظَر إليه سكرام بازدراء تقريباً. "تعتقد أن مجرد المعرفة عن الموت ستمنعك من أن تموت؟".

ابتسم بيرسون ابتسامة صغيرة مريضة مضحكة، مثل رجل أعمال في زورق متأرجح يحاول منع طعامه من الانزلاق. "حالياً هذا كل ما يجعلني أصمد". وشعَر غارّاتي بامتنان كبير، لأن دفاعاته لم تُختزَل إلى ذلك. على الأقل، ليس بعد.

أمامهم فجأة، وكما لو أن ذلك حصل لإعطاء مثل عن الموضوع الذي كانوا يناقشونه، أُصيب فتى يرتدي كنزة عالية مبرومة سوداء بتشنّج فجأة. وَقَع على الطريق وبدأ يزجر ويتلوّى، وأطرافه تتخبَّط بوحشية. كان هناك صوت غرغرة مضحك في حنجرته، آآآ–آآآ–آآآ، صوت كان غبياً كلياً. بينما كان غارّاتي يسرِع لتخطيه، ارتطمت إحدى تلك اليدين المرتجفتين بحذائه وشعَر باشمئزاز مضطرب. كانت عينا الفتى قد انقلبتا إلى الجزءِ الأبيض. وكانت هناك رغوة على شفتيه وذقنه. نال تحذيره الثاني، لكنه كان خارج السمع بالطبع. وعندما انقضت دقيقتاه، أطلقوا النار عليه مثل كلب.

بعد فترة قصيرة من ذلك، وصلوا إلى أعلى تلة لطيفة وحدَّقوا إلى أسفل بالريف الأخضر الفارغ أمامهم. كان غارّاتي ممنوناً لنسيم الصباح البارد الذي دغدغَ جسمه السريع التصبّب عرقاً.

"يا له من منظر"، قال سكرام.

كان يمكن رؤية الطريق أمامهم لحوالي عشرين كيلومتراً. كان ينزل على المنحدر الطويل، ويمتدّ في تعرّجات مسطَّحة عبر الغابات، أشبه ببقعة رمادية مُسْوَدّة في رقعة خضراء من الورق المجعَّد. ثم يبدأ الصعود مرة أخرى في البعيد، ويبهُت إلى ضباب زهريّ لضوء الصباح الباكر.

"قد يكون هذا ما يسمّونه غابات هاينسفيل"، قال غارّاتي، غير متأكد كثيراً. "مقبرة سائقي الشاحنات. الجحيم في فصل الشتاء".

"لم أر شيئاً مثله أبداً"، قال سكرام بوقار. "لا يوجد هذا الكمّ من الخضار في كامل ولاية أريزونا".

"استمتع به ما دمت تستطيع"، قال بايكر، منضماً إلى المجموعة. "سيكون يوماً حارقاً. فالجو حار الآن ولا تزال السادسة والنصف صباحاً".

"تظنّ أنك ستعتاد عليه، من حيث تأتي"، قال بيرسون، بامتعاض تقريباً.

"لن تعتاد عليه"، قال بايكر وهو يرمي سترته الخفيفة فوق ذراعه. "تتعلَّم فقط أن تتعايش معه".

"أود أن أبني منزلاً هنا"، قال سكرام. وعطس بحماسة، مرتين، وبدا كثور يستعد للانقضاض. "سأبنيه هنا بالضبط بيديَّ الاثنتين، وأتأمل هذا المنظر كل صباح. أنا وكاثي. ربما سأفعل ذلك يوماً ما، عندما ينتهي كل هذا".

لم يقل أحد أي شيء.

عند الساعة 6:45، أصبح النتوء الجبلي فوقهم وخلفهم، وتوقف النسيم كلياً تقريباً، وأحاطتهم الحرارة من كل الجهات. خلع غارّاتي سترته، ولفّها، وربطها بخصره بإحكام. لم يعد الطريق عبر الغابات مهجوراً. فكان هنا وهناك بعض المستيقِظين الـمُبكرين الذين ركنوا سياراتهم على حافة الطريق ووَقَفوا أو جلسوا في مجموعات، يهلِّلون، ويلوِّحون، ويحملون لافتات.

وقفت فتاتان بجانب سيارة أكل عليها الدهر وشرب عند أسفل منحدرٍ. كانتا ترتديان شورتين صيفيين ضيقين، وبلوزتَي بحّار، وصندلين. سُمع بعض التهليل والصفير. كان وجها تلك الفتاتين حارَّين ومتورِّدَين ومتحمِّسين بشيء قديم متعرِّج، ومثير إلى حد الجنون بالنسبة لغارّاتي. شعَر بشهوة كبيرة، بشيء عدواني يهزّ جسمه بالكامل.

كان غريبل، الراديكالي بينهم، الذي اندفع نحوهما فجأة، وقدماه تنفضان التربة عند حافة الطريق. مالت إحداهما إلى الوراء واستلقت على غطاء السيارة وباعدت رِجليها قليلاً، وأمالت وركَيها نحوه. وضع غريبل يديه على صدرها. ولم تبذل أي جهد لتمنعه. نال تحذيراً، فتردَّد، ثم انقضّ عليها، مشوَّش الذهن، مُسرعاً، مُحبَطاً، غاضباً، خائفاً في قميصه الأبيض المبلَّل بالعرق. لفّت الفتاة كاحليها حول ربلتَي غريبل ووضعت ذراعيها حول عنقه. قبَّلا بعضهما.

نال غريبل تحذيراً ثانياً، ثم ثالثاً، ثم مع بقاء حوالي خمس عشرة ثانية سماح فقط، ابتعد عنها متعثِّراً وبدأ يركض باضطراب وتثاقل. سقَط، ثم وقف واضعاً يديه بين منفرج ساقيه وعاد إلى الطريق مترنّحاً. كان وجهه الرفيع متورِّداً بقوة.

"لم أستطع"، كان يشهق. "لم يكن هناك وقت كافٍ وأرادتني أن ولم أستطع... أنا...". كان يبكي ويترنّح، ويداه تضغطان على منفرج ساقيه. كانت كلماته مجرد نحيب غير مفهوم.

"إذاً أعطتيهما بعض التشويق"، قال باركوفيتش. "شيئاً لتتكلّما عنه غداً".

"اخرس فقط!"، صاح غريبل. وراح يفرك بين منفرج ساقيه. "هذا مؤلم، لديَّ تشنّج–".

"ازرقاق"، قال بيرسون. "هذا ما لديه".

نَظَر إليه غريبل من خلال خُصل شعره الأسود اللزجة التي تدلّت على عينيه. بدا مثل ابن عرس مذهول. "هذا مؤلم"، تمتم مرة أخرى. ركع ببطء على رُكبتيه، ويداه تضغطان على أسفل بطنه، ورأسه متهدِّل، وظهره مقوَّس. كان يرتعش ويخِنّ، واستطاع غارّاتي رؤية نقاط العرق على عنقه، وقد علق بعضها بالشعرات الرفيعة على قفا عنقه – ما كان والد غارّاتي يسمّيه دائماً الزغب.

لحظات ومات.

أدار غارّاتي رأسه لينظر إلى الفتاتين، لكنهما كانتا قد انسحَبتا إلى داخل السيارة. لم تعودا سوى ظلال أشكال.

بذل جهداً كبيراً ليُخرجهما من ذهنه، لكنهما بقيتا تتسلّلان إليه. كيف كان شعوره وقد التصق سرواله بذلك اللحم الحار الجاهز؟ كان فخذاها قد ارتعَشا في نوع من التشنّج، من الرعشة... والرغبة العارمة التي لا يمكن التحكّم بها لعصْر ومداعبة... وأهم شيء الشعور بكل تلك الحرارة... تلك الحرارة.

شعَر بالسائل يخرج منه. ذلك السائل الدافئ المريح، الذي رطَّب بنطلونه والذي سيلاحظه أحدهم. يلاحظه ويشير إليه بإصبعه ويسأله عن رأيه أن يسير في الحي من دون أي ملابس، عارياً بالكامل، يسير... ويسير... ويسير...

آه، أحبك يا جانيس، أحبك حقاً، فكّر في سرّه، لكنه كان مرتبكاً، مشوَّش الذهن في شيء آخر.

أعاد ربط سترته على خصره وواصل السير كما من قبل، وبهُتت تلك الذكرى واضمحلّت بسرعة كبيرة، مثل صورة بولارويد سلبية تُركَت في الشمس.

ازدادت سرعة السير. كانوا ينزلون منحدراً حاداً الآن، ومن الصعب السير ببطء. راحت العضلات تعمل بجهد وتضغط على بعضها البعض. وتدفّق العرق بحرية. لم يُصدِّق غارّاتي نفسه أنه يتمنّى قدوم الليل مرة أخرى. نظر إلى أولسون بفضول، وتساءل كيف كان قادراً على الصمود.

كان أولسون يحدِّق في قدميه من جديد. وكانت الأوتار في عنقه معقودة وناتئة. كانت شفتاه مشدودتين في ابتسامة مجمَّدة.

"يكاد يصل الآن"، قال له ماكفريز من ورائه، مما أجفله. "عندما يبدأون يتمنّون نوعاً ما أن يُطلق أحدهم النار عليهم لكي يستطيعوا إراحة أقدامهم، لن يعودوا بعيدين عن نيل أمنيتهم".

"هل هذا صحيح؟"، سأله غارّاتي بفظاظة. "كيف يصدف أن كل شخص آخر هنا يعرف عن الموضوع أكثر مني بكثير؟".

"لأنك لطيف جداً"، قال ماكفريز برفق، ثم زاد سرعته وتجاوز غارّاتي.

ستابنز. لم يفكِّر بستابنز منذ فترة طويلة. أدار رأسه بحثاً عنه، وعثر عليه. كانت المجموعة قد تفرَّقت أثناء نزول التلة الطويلة، وكان ستابنز يبعد عنه بحوالي أربعمئة متر، لكن لم يكن هناك أي شك بذلك السروال الأرجواني وذلك القميص القطني الرقيق. كان ستابنز لا يزال في مؤخرة المجموعة كما لو أنه نسر نحيل ينتظرهم أن يسقطوا–

انتابت غارّاتي نوبة غضب. وشَعَر برغبة مفاجئة بالانقضاض على ستابنز وخنقه. لم يكن هناك أي سبب لهذا الشعور، لكن عليه أن يقاوم ذلك الدافع بقوة.

عندما وصلوا إلى أسفل المنحدر، شَعَر غارّاتي أن رجليه مطاطيتان وغير ثابتتين. وحالة الإرهاق الخَدِر التي أصابت كل جسمه تقريباً قطعتها وخزات ألم غير متوقعة في قدميه ورِجليه، مهدِّدَة بجعل عضلاته تتشنّج. فكَّر أن كل هذا محتمل ومنطقي. فقد بدأوا السير منذ اثنتين وعشرين ساعة. اثنتان وعشرون ساعة من السير المتواصل. كان أمراً لا يُصدَّق.

"ما شعورك الآن؟"، طرح هذا السؤال على سكرام، كما لو أن آخر مرة سأله فيها هذا كانت من اثنتي عشرة ساعة.

"نشيط ورشيق"، قال سكرام. ومسَح أنفه بظهر يده، وتنشَّق، وبصَق. "نشيط ورشيق بالحد الأقصى".

"يبدو كما لو أنك بدأتَ تُصاب بنزلة برد".

"لا، إنها حبوب الطلع. يحصل هذا معي كل ربيع. حساسية في الأنف. حتى إنه حصل معي في أريزونا. لكنني لا أُصاب بنزلات برد أبداً".

فتَح غارّاتي فمه لكي يردّ عندما سمعوا صدى طلقة نارية من مسافة بعيدة أمامهم. وصل الخبر. انطفأ هارْكْنس.

شَعَر غارّاتي بانقباض قوي مزعج في معدته بينما كان يمرِّر الخبر إلى الآخرين. لقد انكسرت الدائرة العجيبة. لن يؤلِّف هارْكْنس كتابه عن المسيرة الطويلة أبداً. كان هارْكْنس يُسحَب إلى خارج الطريق في مكان ما أمامهم كما لو أنه كيس حبوب، أو يُرمى في شاحنة، ملفوفاً داخل كيس حفظ جثث. انتهت المسيرة الطويلة بالنسبة لهارْكْنس.

"هارْكْنس"، قال ماكفريز. "لقد اشترى بطاقة ليرى المزرعة".

"لماذا لا تكتب له قصيدة؟"، صاح باركوفيتش من بعيد.

"اصمت أيها القاتل"، أجابه ماكفريز بازدراء. وهزَّ رأسه. "هارْكْنس، أيها الحقير".

"لستُ قاتلاً!"، صَرَخ باركوفيتش. "سوف أرقص على قبرك، يا صاحب الندبة! سوف–".

أصمَتته جوقة من الصراخ الغاضب. فراح باركوفيتش يحملق في ماكفريز وهو يتمتم. ثم بدأ يسير بغطرسة بشكل أسرع قليلاً، دون أن ينظر حوله.

"هل تعرف ماذا فعل عمّي؟"، قال بايكر فجأة. كانوا يمرّون في نفق ظليل شكَّلته أشجار كثيفة الأوراق، وكان غارّاتي يحاول نسيان أمر هارْكْنس وغريبل ويفكِّر بالبرودة فقط.

"ماذا؟"، سأل أبراهام.

"كان حانوتيّاً"، قال بايكر.

"جميل"، قال أبراهام بلا مبالاة.

"عندما كنتُ صغيراً، كنتُ أتساءل دائماً"، قال بايكر بغموض. بدا أنه فقد تسلسل أفكاره، ثم ألقى نظرة سريعة على غارّاتي وابتسم. كانت ابتسامة مميَّزة وغريبة. "مَن سيحنِّطه. يتساءل المرء مَن يقصّ شعر الحلاّق، أو مَن يزيل الحصى من مرارة الطبيب. هل فهمت؟".

"يتطلب الكثير من المرارة لتكون طبيباً"، قال ماكفريز بوقار.

"تعرف ما أقصده".

"إذاً مَن تلقى الاتصال عندما حان الوقت؟"، سأل أبراهام.

"أجل"، أضاف سكرام. "مَن تلقاه؟".

رفع بايكر نظره إلى الأغصان الثقيلة التي كانوا يمرّون تحتها، ولاحَظ غارّاتي مرة أخرى أن بايكر بدا منهكاً. كما لو أننا لا نبدو كلنا منهكين، أضاف لنفسه.

"هيا"، قال ماكفريز. "لا تتركنا معلّقين هكذا. مَن دفنه؟".

"هذه أقدم نكتة في العالم"، قال أبراهام. "سيقول بايكر، ما الذي جَعَلكم تظنون أنه توفى؟".

"لكنه توفى"، قال بايكر. "بسرطان الرئة. منذ ست سنوات".

"هل كان يدخِّن؟"، سأل أبراهام وهو يلوِّح لعائلة من أربعة أفراد وقطتهم. كانت القطة مقيَّدة برَسَن. كانت قطة فارسية. بدت خسيسة ومنزعجة.

"لا، ولا حتى الغليون"، قال بايكر. "كان خائفاً أن يسبِّب له ذلك سرطاناً".

"آه، بحق الله"، قال ماكفريز، "مَن دفنه؟ أخبرنا لكي نتمكن من مناقشة مشاكل العالم، أو البيسبول، أو تحديد النسل، أو شيء".

"أعتقد أن تحديد النسل مشكلة عالمية"، قال غارّاتي جدياً. "حبيبتي تعارض–".

"بحق الله!"، صاح ماكفريز. "مَن اللعين الذي دفن جَدّك يا بايكر؟".

"عمّي. كان عمّي. كان جَدّي محامياً في شريفبورت. "كان–".

"لا يهمّني"، قال ماكفريز. "لا يهمّني إن كان للسيد العجوز ثلاث عيون، أريد فقط معرفة مَن دفنه لكي يمكننا تغيير الحديث".

"في الواقع، لم يدفنه أحد. أراد أن تُحرَق جثته".

"آه مؤخرتي تؤلمني"، قال أبراهام، ثم ضحِك قليلاً.

"وضعت عمّتي رماده في مزهرية خزفية. في منزلها في باتون رُوج. حاوَلت إبقاء الدكان يعمل – دكان تجهيز الموتى للدفن – لكن بدا أن لا أحد تقبَّل فكرة حانوتيّ أنثى".

"أشك أن هذا كان السبب"، قال ماكفريز.

"حقاً؟".

"أجل. أعتقد أن عمّك نحَسَها".

"نحَسَها؟ ماذا تقصد؟"، كان بايكر مهتماً.

"حسناً، عليك الإقرار أن ذلك لم يكن إعلاناً جيداً للدكان".

"ماذا، الموت؟".

"لا"، قال ماكفريز. "أن تُحرَق الجثة".

ضحِك سكرام ضحكة خافتة مختنِقة عبر أنفه المسدود. "لقد أصاب في ذلك يا صديقي".

"أظن ذلك"، قال بايكر. وابتسم وماكفريز لبعضهما البعض.

"عمّك"، قال أبراهام بشدة، "يصدمني. ودعني أضيف أيضاً–".

في تلك اللحظة، بدأ أولسون يتوسّل أحد الحارس لكي يسمح له أن يستريح.

لم يتوقف عن السير، أو يُبطئ بما يكفي لكي يُحذَّر، لكن صوته ارتفع وانخفض في نبرة توسّل وتضرّع رتيبة جبانة كلياً جَعَلت غارّاتي يشعر بالإحراج نيابة عنه. فترت المحادثة. وراح المتفرّجون يراقبون أولسون بافتتان مذعور. تمنّى غارّاتي لو يصمت أولسون قبل أن يشوّه صورة الباقين. لم يرغب أن يموت هو أيضاً، لكن إذا كان عليه أن يموت، فيريد أن يموت دون أن يعتبره الناس جباناً. راح الجنود يحدِّقون في أولسون، يميناً ويساراً، صعوداً ونزولاً، بنظرات تُخفي ما يُضمِرونه. لكنهم أعطوا تحذيراً عَرَضيّاً، لذا افترَض غارّاتي أنه لا يمكن اعتبارهم مغفّلين.

أصبحت الثامنة إلا رُبعاً، ووصل الخبر بأنهم بحاجة إلى تسعة كيلومترات ونصف فقط ليكونوا قد قطعوا مسافة مئة وستين كيلومتراً. تذكّر غارّاتي أنه قرأ أن أكبر عدد قطَعَ أول مئة وستين كيلومتراً في المسيرة الطويلة كان ثلاثة وستين سائراً. بدا أكيداً تقريباً أنهم سيكسرون ذلك الرقم القياسي؛ فقد كانوا لا يزالون تسعة وستين سائراً في هذه المجموعة. لكن هذا لا يهمّ، بطريقة أو بأخرى.

ارتفعت مناشدات أولسون بشكل ثابت ومشوَّه بحيث شَعَر غارّاتي أن ذلك سيجعل اليوم أكثر حرارة وأكثر إزعاجاً مما كان عليه حالياً. كان عدد من الفتيان قد صرخوا على أولسون، لكن يبدو أنه إما لم يسمعهم أو لم يكترث لهم.

مرّوا على جسر خشبي مُغطى، وراحت الألواح تلعلع وترتجّ تحت أقدامهم. كان باستطاعة غارّاتي سماع الرفرفة السرية لأجنحة طيور سنونو المخازن التي عشَّشت بين العوارض الخشبية. كان ذلك مريحاً للأعصاب، وبدت الشمس أكثر سخونة عندما وصلوا إلى الجهة الأخرى. انتظر قليلاً إذا كنت تظن أن الجو حار الآن، قال لنفسه. انتظر إلى أن نعود إلى السير في الأماكن المفتوحة.

صاح طالباً قِربةً، وخَبَّ جنديٌ ليعطيه واحدةً. سلَّمه إياها من دون أن ينطق ببنت شفة، ثم عاد إلى مكانه.كانت معدة غارّاتي أيضاً تزمجر طلباً للطعام. عند الساعة التاسعة، فكّر في سرّه. عليه أن يواصل السير حتى ذلك الوقت. تباً إن كنتُ سأموت بمعدة فارغة.

تجاوزه بايكر فجأة، ونظر حوله بحثاً عن أي متفرّجين، ولم ير أي واحد، فأخفض بنطلونه وقرفص. حُذِّر. تجاوزه غارّاتي، لكنه سمع الجندي يحذِّره مرة أخرى. بعد ذلك بحوالي عشرين ثانية، لحق بغارّاتي وماكفريز مرة أخرى، منقطع الأنفاس بشكل سيئ. كان يوثق حزام بنطلونه.

"أسرع تبرُّز قمتُ به في حياتي!"، قال بأنفاس منقطعة بشكل سيئ.

"كان يجب أن تُحضِر فهرساً معك"، قال ماكفريز.

"لا يمكنني أبداً أن أصمد طويلاً من دون أن أتبرَّز"، قال بايكر. "بعض الشباب، تباً لهم، يتبرّزون مرةً واحدةً في الأسبوع. أنا من الذين يتبرّزون مرة واحدة في اليوم. وإذا لم أتبرَّز مرةً في اليوم، أتناول حبة مُليّنة للأمعاء".

"مُليّنات الأمعاء تلك ستُتلِف لك أمعاءك"، قال بيرسون.

"آه، تباً"، قال بايكر ساخراً.

رمى ماكفريز رأسه إلى الخلف وضحِك.

أدار أبراهام رأسه لينضم إلى المحادثة. "لم يستخدم جَدّي مُليّناً للأمعاء أبداً في حياته وعاش ليكون–".

"أظن أنك احتفظتَ بسجل بذلك"، قال بيرسون.

"لا تقصد أن تقول إنك تشكّك بكلام جَدّي، أليس كذلك؟".

"لا سمح الله". وقلَبَ بيرسون عينيه.

"حسناً. جَدّي–".

"اسمع"، قال غارّاتي بلطف. لم يكن مهتماً بطرفَي الجدال حول مُليّنات الأمعاء، بل كان يراقب بيرسي مهما–يكن–إسمه بخمول. الآن وقد أصبح يراقبه عن كثب، كان بالكاد يصدِّق ما تراه عيناه. كان بيرسي يقترب أكثر فأكثر من حافة الطريق. وأصبح يسير الآن على الجهة الرملية للطريق. ويرمي بين الحين والآخر نظرة صارمة خائفة نحو الجنود الجالسين على العربة نصف المجنزَرة، ثم إلى يمينه، نحو الستار السميك للأشجار التي تبعد عنه أقل من عشرة أمتار.

"أظن أنه سيحاول الفرار"، قال غارّاتي.

"لا شك أنهم سيردونه قتيلاً بكل سهولة"، قال بايكر بصوت انخفض إلى همس.

"لا يبدو أن أي شخص يراقبه"، ردَّ بيرسون.

"بحق الله إذاً، لا تفضحوا أمره!"، قال ماكفريز بغضب. "أنتم مجموعة أغبياء! يا إلهي!".

خلال الدقائق العشرة التالية، لم يقل أي واحد منهم شيئاً منطقياً. بل تظاهروا بالتكلّم وراحوا يراقبون بيرسي يراقب الجنود، يراقبهم ويقيس في ذهنه المسافة القصيرة إلى الغابة الكثيفة.

"لا يملك الجرأة"، تمتم بيرسون أخيراً، وقبل أن يتمكن أي واحد منهم من الإجابة، بدأ بيرسي يسير، ببطء وعلى غير عجل، نحو الغابة. خطوتان، ثم ثلاث خطوات. خطوة أخرى أو خطوتان كحد أقصى وسيصبح هناك. راحت رِجلاه اللتان ترتديان الجينز تتحرّكان على غير عجل. وشعره الأشقر المنفوش يتطاير قليلاً فقط في نسيم خفيف. كان يمكن أن يكون مستكشفاً يراقب الطيور.

لم تكن هناك تحذيرات. فقد خسر بيرسي حقّه بها عندما تخطّت قدمه اليمنى حافة الطريق. لقد غادر بيرسي الطريق، وقد عرِف الجنود ذلك منذ البداية. لم يكن العزيز بيرسي مهما–يكن–إسمه قد خدع أي شخص. كان هناك دويّ واحد نظيف، ونقل غارّاتي عينيه من بيرسي إلى الجندي الواقف على السطح الخلفي للعربة نصف المجنزَرة. كان الجندي أشبه بمنحوتة ذات خطوط زاويّة نظيفة، والبندقية مستندة إلى كتفه، ورأسه مائل نحو الفوهة.

ثم أدار رأسه إلى بيرسي مرة أخرى. كان بيرسي المشهد الحقيقي، ألم يكن كذلك؟ كان بيرسي يقف الآن بقدميه الاثنتين على الحدود العشبية لغابة الصنوبر. كان مجمَّداً ومنحوتاً تماماً مثل الرجل الذي أطلق النار عليه. كان كلاهما ليكونا موضوعاً لمايكل أنجلو، فكّر غارّاتي في سرّه. وَقَف بيرسي

جامداً تماماً تحت سماء ربيعية زرقاء، وقد ضغط إحدى يديه على صدره، مثل شاعر على وشك أن يتكلم. كانت عيناه واسعتين، ومنتشياً بطريقة أو بأخرى.

كان الدم الذي سال بين أصابعه يلمع تحت أشعة الشمس. العزيز بيرسي مهما–يكن–إسمه. مهلاً يا بيرسي، أمك تناديك. مهلاً يا بيرسي، هل تعرف أمك أنت مُت؟ مهلاً يا بيرسي، أي نوع من الأسماء السخيفة هو إسمك؟ بيرسي، بيرسي، يا لك من فتى لطيف. تحوَّل بيرسي إلى أدونيس ساطع ينيره ضوء الشمس ويناقضه صيّاد همجي مظلم. وسقطت بقعة، بقعتان، ثلاث بقع دم دائرية على حذاء بيرسي الأسود المغبَّر، وكل ذلك حصَل في ثلاث ثوانٍ فقط. لم يكن غارّاتي قد خطا خطوتين كاملتين حتى، ولم يُحذِّر، وآه يا بيرسي، ماذا ستقول أمك؟ أخبرني، هل لديك الجرأة حقاً لكي تموت؟

مال بيرسي إلى الأمام، وارتطم بشتلة صغيرة ملتوية، وتدحرَج نصف دورة، وحطَّ بوجهه نحو السماء. الكياسة، التماثل المجمَّد، زالا الآن. كان بيري ميتاً فحسب.

"لتُرَشّ هذه الأرض بالملح"، قال ماكفريز فجأة وبسرعة فائقة. "لكي لا ينمو أي قمح أو ذرة أبداً. لتحلّ اللعنة على أبناء هذه الأرض وعلى كل حيواناتهم. فليُدمَّر هذا المكان اللعين".

بدأ ماكفريز يضحك.

"اصمت"، قال أبراهام بصوت أجش. "توقف عن التكلم هكذا".

"كل العالم ملعون"، قال ماكفريز، وقهقه بطريقة هستيرية. "إننا نسير في أماكن ملعونة، وفي الخلف هناك الذباب يزحف في أماكن ملعونة، في الواقع الذباب ملعون أيضاً، فلتحلّ عليك الرحمة يا بيرسي. يا زبدة الفول السوداني المكتنزة".

"سأضربك!"، حذَّره أبراهام. كان وجهه شاحباً جداً. "سأفعل ذلك حقاً يا پيت!".

"رجل مؤمن!"، قال ماكفريز متهكماً، وقهقه مرة أخرى. "آه يا رغوة صابونتي وجسمي! آه يا قبعتي الحبيبة!".

"سأضربك إذا لم تصمت!"، صاح أبراهام.

"لا"، قال غارّاتي خائفاً. "لا تتشاجرا رجاءً. دعونا... نكون لطفاء".

"هل تريد هدية صغيرة؟"، سأل بايكر بجنون.

"مَن سألك، أيها الأحمق اللعين؟".

"كان يافعاً جداً ليشارك في هذه المسيرة"، قال بايكر بأسف. "إذا كان في الرابعة عشرة، سأبتسم وأقبّل بقرةً".

"الأم دلَّلته"، قال أبراهام بصوت مرتعش. "هذا واضح". نظر حوله نحو غارّاتي وبيرسون بتضرّع. "هذا واضح، أليس كذلك؟".

"لن تدلِّله بعد الآن"، قال ماكفريز.

بدأ أولسون فجأة يثرثر نحو الجنود مرة أخرى. وكان الجندي الذي أطلق النار على بيرسي جالساً الآن يأكل شطيرة. ساروا إلى ما بعد الساعة الثامنة. ومرّوا بمحطة وقود مشمسة كان الميكانيكي فيها يرتدي مئزراً ملطّخاً بالشحم وينظّف الطريق بخرطوم.

"ليتَ يرشّنا ببعض ذلك"، قال سكرام. "أشعر بحرّ شديد".

"كلنا نشعر بالحرّ"، قال غارّاتي.

"ظننتُ أننا لن نشعر بالحرّ أبداً في ماين"، قال بيرسون. بدا مُتعَباً أكثر من أي وقت مضى. "ظننتُ أن ماين ستكون باردة".

"حسناً، أصبحت تعرف الآن أن الواقع مختلف"، قال غارّاتي بعد قليل.

"أنت مسلٍ جداً يا غارّاتي"، قال بيرسون. "هل تعلم؟ أنت حقاً مسلٍ جداً. يا إلهي، أنا مسرور أنني تعرّفتُ عليك".

ضحِك ماكفريز.

"هل تعلم؟"، ردَّ غارّاتي.

"ماذا؟".

"هناك آثار براز على ملابسك الداخلية"، قال غارّاتي. كان أفضل تعليق يمكن أن يخطر على باله دون تفكير.

مرّوا باستراحة شاحنات أخرى. كانوا قد أبعدوا شاحنتين كبيرتين أو ثلاث عن الطريق العام لا

شك لإفساح المجال للمشاركين في المسيرة الطويلة بالمرور. كان أحد السائقين يقف قلقاً قرب شاحنته، شاحنة تبريد ضخمة، ويتلمّس جانبها. يتلمّس البرودة التي كانت تتبدَّد في شمس الصباح. عدد من النادلات هتفن للسائرين أثناء مرورهم، وسائق الشاحنة الذي كان يتلمّس جانب حُجَيرة تبريده استدار ومدَّ لهم إصبعه الوسطي. كان رجلاً ضخماً ذا عنق أحمر يخرج منتفخاً من قميص تائي قذر.

"الآن لماذا يريد أن يفعل ذلك؟"، صاح سكرام. "مجرد روح رياضية عَفِنة!".

ضحِك ماكفريز. "هذا أول مواطن صادق نراه منذ بدء هذه النزهة يا سكرام. لقد أحببته حقاً!".

"الأرجح أنه ينقل موادَّ سريعة التلف إلى مونتريال"، قال غارّاتي. "بدءاً من بوسطن. وقد أجبرناه على التوقف. إنه خائف على الأرجح من فقدان وظيفته – أو شاحنته، إذا كان يعمل لحسابه الخاص".

"أليس هذا صعباً؟"، نهَق كولي باركر. "أليس هذا صعباً جداً؟ فهم بدأوا إبلاغ الناس عن الدروب التي سنسلكها منذ شهرين أو أكثر فقط. مجرد ريفي أخرق لعين آخر، بكل بساطة!".

"يبدو أنك تعرف الكثير عنها"، قال أبراهام لغارّاتي.

"قليلاً"، قال غارّاتي وهو يحدِّق في باركر. "كان أبي يقود شاحنة قبل أن... قبل أن يرحل. إنها وظيفة صعبة لجني المال. الأرجح أن ذلك الرجل ظنَّ أن لديه متّسع من الوقت ليصل إلى الطريق المختصر التالي. ربما لم يكن ليسلك هذا المسار لو كان هناك درب أقصر".

"لم يكن مضطراً أن يمدّ لنا إصبعه"، أصرَّ سكرام. "لم يكن مضطراً أن يفعل ذلك. بالله عليكم، طماطمه القديمة العَفِنة ليست مسألة حياة وموت، كما هي حالتنا".

"أبوك هجر أمك؟"، سأل ماكفريز غارّاتي.

"اقتادت الفِرق أبي"، قال غارّاتي بعد قليل. وتحدّى باركر – أو أي شخص آخر – بصمت أن يفتح فمه، لكن أحداً لم يقل شيئاً.

كان ستابنز لا يزال يسير في المؤخرة. ولم يكد يتجاوز استراحة الشاحنات حتى استقلّ السائق القوي البنية شاحنته مسرعاً. أمامهم، زأرت البنادق الكلمة الوحيدة التي تعرفها. فطار جسدٌ، وتشقلب في الهواء، وهبط جامداً. سحبه جنديان إلى جانب الطريق. وقذف جندي ثالث كيس حفظ جثث نحوهما من العربة نصف المجنزَرة.

"لديَّ عمّ اقتادته الفِرق"، قال وايمان بتردّد. لاحَظ غارّاتي أن لسان الفردة اليسرى لحذاء وايمان قد خرج من مكانه تحت الرباط وبدأ يتأرجح بقوة.

"لا أحد سوى المغفَّلين اللعينين تقتادتهم الفِرق"، قال كولي باركر بوضوح.

نَظَر إليه غارّاتي وأراد أن يشعر بالغضب، لكنه أخفض رأسه وحدَّق في الطريق. كان أبوه مغفَّلاً لعيناً، صحيح. ومدمن شراب لعين لا يستطيع إبقاء قرشَين في جيبه مهما بذل من جهد، ورجل من دون إدراكٍ كافٍ ليحتفظ بآرائه السياسية لنفسه. شعَر غارّاتي بالعجز والاشمئزاز.

"أطبِق فمك النتِن"، قال ماكفريز ببرودة.

"هل تريد أن تحاول إجباري–".

"لا، لا أريد محاولة إجبارك. اصمت فقط، أيها الحقير".

تراجع كولي باركر ليسير بين غارّاتي وماكفريز. وابتعَد بيرسون وأبراهام قليلاً. حتى الجنود تأهبّوا، استعداداً للمشاجرة. درَس باركر غارّاتي للحظة طويلة. كان وجهه عريضاً ويكدّه العرق، وعيناه لا تزالان متغطرستين. ثم ربَّت قليلاً على ذراع غارّاتي.

"لساني متهوِّر أحياناً. لم أقصد أي سوء. اتفقنا؟". أومأ غارّاتي برأسه بتثاقل، ونقل باركر نظره إلى ماكفريز. "اللعنة عليك يا جاك"، قال، وتقدَّم مرة أخرى نحو مجموعة الطليعة.

"يا له من وغد حقيقي"، قال ماكفريز بتجهّم.

"ليس أسوأ من باركوفيتش"، قال أبراهام. "وربما حتى أفضل منه قليلاً".

"بالإضافة إلى ذلك"، أضاف بيرسون، "ما معنى اقتادته الفِرق؟ أظن أنه يعني أنه قُتِل، هل أنا على حق؟".

"كيف تعلَمْ؟"، سأل غارّاتي. "كيف يمكن أن يعلم أي واحد منا؟".

كان أبوه عملاقاً ذا شعر رملي اللون وصوتٍ مدوٍّ وضحكة صاخبة كانت تبدو لأذنَي غارّاتي الصغيرتين كجبال تتحطّم. بعد أن خسِر شاحنته، راح يكسب لقمة عيشه من قيادة شاحنات الحكومة من برانزويك. كانت يمكن أن تكون وظيفة جيدة لو استطاع جيم غارّاتي الاحتفاظ برأيه السياسي لنفسه. لكنك عندما تعمل لدى الحكومة، ستراقبك الحكومة ضعف المراقبة الاعتيادية، وستكون جاهزة

أسرع من المعتاد لاستدعاء فِرقة لك إذا بدت الأمور غير سوية قليلاً. لم يكن جيم غارّاتي من كبار مناصري المسيرةِ الطويلة. لذا تلقى برقية في أحد الأيام، وفي اليوم التالي وقف جنديان على عتبة بابه وذهب جيم غارّاتي معهما، مهدِّداً، وأغلقت زوجته الباب وكان خدّاها شاحبين كالحليب، وعندما سأل غارّاتي أمه إلى أين ذهب أبوه مع الجنديين، صفَعته بقوة كافية لجعل الدم يسيل من فمه وقالت له أن يصمت، يصمت. لم ير غارّاتي أباه أبداً منذ ذلك الوقت. حصل ذلك من إحدى عشرة سنة. كانت عملية إزالة مُتقَنة. عديمة الرائحة، معقَّمة، مبستَرة، مسنفَرَة، وخالية من قشرة الرأس.

"لديَّ أخ واجه متاعب مع القانون"، قال بايكر. "ليس مع الحكومة، فقط مع القانون. فقد سرَق سيارة وقادها من بلدتنا إلى هاتيسبورغ، ميسيسيبي. نال حكماً بالسجن لسنتين مع وقف التنفيذ. إنه ميت الآن".

"ميت؟"، قال صوت شبحي بارد. كان أولسون قد انضم إليهم. بدا وجهه الـمُنهَك منفصلاً مسافة كيلومتر عن جسمه.

"أُصيب بنوبة قلبية"، قال بايكر. "كان أكبر مني بثلاث سنوات فقط. كانت أمي معتادة على القول إنه مصدر عذابها، لكنه وقع في ورطة تلك المرة الوحيدة فقط. أنا فعلتُ ما هو أسوأ. لقد كنتُ ساري ليل لثلاث سنوات".

نظر إليه غارّاتي. كان هناك خجل على وجه بايكر الـمُتعَب، لكن كان هناك بعض الوقار أيضاً، يُبرزه بصيص قاتم من ضوء الشمس يطلّ من بين الأشجار.

"هذه جريمة بنظر الفِرق، لكنني لم أكن أهتم. كنتُ فقط في الثانية عشرة عندما بدأتُ ذلك. لم نكن سوى أولاد يخرجون ليسروا في الليل. العقول الأكبر سناً عقول أكثر حكمة. كانوا يقولون لنا أن نخرج ونربّت رؤوسنا، لكنهم لم يكونوا يخرجون لتقتادهم الفِرق، ليسوا هم. ابتعدت عنهم بعد أن أحرقنا رمزاً دينياً في مَرجة رجلٍ أسود. شعرتُ بخوف كبير. وبخجل أيضاً. لماذا يريد أحدٌ أن يحرق رمزاً دينياً في مَرجة رجلٍ أسود؟ يا إلهي، هذه أمور من التاريخ، أليس كذلك؟ بالتأكيد أنها كذلك". هزَّ بايكر رأسه بغموض. "لم يكن صواباً".

في تلك اللحظة، انطلقت البنادق مرة أخرى.

"ها قد سقط واحد آخر"، قال سكرام. بدا صوته خارجاً من أنفه، فمسَح أنفه بظهر يده.

"أربعة وثلاثون"، قال بيرسون. أخرَج سنتاً من أحد جيوبه ووضعه في جيب آخر. "أحضَرتُ

معي تسعة وتسعين سنتاً. وكلما اشترى شخصٌ بطاقةً، أضع أحدها في الجيب الآخر. وعندما-".

"هذا شنيع!"، قال أولسون. وراحت عيناه المسكونتان تحدِّقان في بيرسون بحقد. "أين سهرة موتك؟ أين دماء شعوذتك؟".

لم يقل بيرسون أي شيء. بل راح يدرس الحقل المحروث وغير المزروع الذين كانوا يمرّون فيه بإحراج قلِق. تمتم أخيراً، "لم أقصد قول أي شيء عنه. كان ذلك طلباً للحظ السعيد، هذا كل شيء".

"هذا مقرِف"، نَقَّ أولسون. "هذا قذِر. هذا-".

"آه، اصمت"، قال أبراهام. "توقف عن إزعاجي".

نَظَر غارّاتي إلى ساعته. كانت الثامنة وثُلثاً. أربعون دقيقة لتناول الطعام. فكّر كم سيكون جميلاً دخوله أحد تلك المطاعم الصغيرة التي بجانب الطريق، وجلوسه على أحد الكراسي المبطَّنة التي بلا ظهر وبلا ذراعين، ورفعه قدميه على السكة الخشبية (كم سيكون ذلك مريحاً!) وطلب شريحة لحم مع بصل مقلي وبطاطا مقلية، وطبق كبير من البوظة بالفانيليا مع صلصة الفراولة. أو ربما طبق كبير من المعكرونة وكرات اللحم، وإلى جانبه خبز إيطالي وبازلاء تسبح في الزبدة والحليب. مع إبريق كامل من الحليب. اللعنة على الأنابيب وقِرَب الماء المقطَّر. حليب وطعام صلب ومكان للجلوس وتناوله فيه. هل سيكون ذلك جميلاً؟

أمامهم مباشرة، كانت عائلة من خمسة أشخاص - أم، أب، فتى، فتاة، وجَدّة شيباء - جالسون تحت شجرة كبيرة، يتناولون فطوراً يتألف من شطائر وما بدا كاكاو ساخن. لوَّحوا بانشراح للسائرين.

"معتوهون"، تمتم غارّاتي.

"ما كان ذلك؟"، سأل ماكفريز.

"قلتُ إنني أريد أن أجلس وآكل شيئاً. انظر إلى هؤلاء الأشخاص. مجموعة سفلة".

"ستفعل الشيء نفسه"، قال ماكفريز. لوّح وابتسم، مخصِّصاً أكبر جزءِ من الابتسامة للجَدّة، التي كانت تلوِّح وتمضغ - أو بالأحرى تلوك على لثّتها - ما بدا شطيرة سلطة بيض.

"بالتأكيد لن أفعل. أجلس هناك وآكل بينما مجموعة جائعين-".

"بالكاد أتضوَّر جوعاً يا راي. هذا مجرد شعور فقط".

"جائع، إذاً–".

"لا تُشغل بالك"، ردَّد ماكفريز. "لا تُشغل بالك يا صديقي".

"اللعنة عليك. لا تريد الإقرار بذلك فقط لا غير. أولئك الأشخاص حيوانات. يريدون رؤية دماغ أحدهم على الطريق، لهذا السبب خرجوا من منزلهم. وسيشاهدون دماغك قريباً".

"هذا ليس موضوعنا"، قال ماكفريز بهدوء. "ألم تقل إنك ذهَبت لمشاهدة المسيرة الطويلة عندما كنتَ أصغر سناً؟".

"نعم، عندما لم أكن حكيماً كفاية!".

"حسناً، وهذا يجعل المسألة مقبولة، أليس كذلك؟". وضحِك ماكفريز ضحكة قصيرة بشعة. "بالتأكيد أنهم حيوانات. هل تعتقد أنك اكتشفتَ مبدأً جديداً للتو؟ أتساءل أحياناً عن مدى سذاجتك. كان النبلاء والنبيلات الفرنسيون معتادين على المجامعة بعد عمليات الإعدام بالمقصلة. وكان الرومان القدامى معتادين على إتخام بعضهم البعض خلال مباريات المجالدين. هذا ترفيه يا غارّاتي. لا شيء جديد في ذلك". ضحِك مرة أخرى. وحدَّق فيه غارّاتي، منبهراً.

"هيا"، قال شخصٌ. "أنت في القاعدة الثانية للبيسبول يا ماكفريز. هل تريد محاولة الوصول إلى القاعدة الثالثة؟".

لم يحتج غارّاتي إلى أن يستدير. فقد كان ذلك ستابنز، بالطبع. ستابنز المتفلسف الهزيل. كانت قدماه تحرّكانه تلقائياً، لكنه كان يُدرك بشكل خافت أنهما متورّمتان وزلقتان، كما لو أنهما مليئتين بالقيح.

"الموت رائع للشهية"، قال ماكفريز. "ما رأيك بتلك الفتاتين وغريبل؟ أرادتا معرفة شعور مجامعة رجل ميت. هيا لنجرِّب شيئاً جديداً ومختلفاً بالكامل. لا أعرف إن استفاد غريبل كثيراً من العملية، لكنهما استفادتا منها بالتأكيد. الشيء نفسه مع أي شخص آخر. لا يهمّ إن كانوا يأكلون أو يشربون أو يجلسون. تصبح المسألة أفضل بالنسبة لهم، ويشعرون بها ويتذوّقونها بشكل أفضل لأنهم يشاهدون رجالاً موتى.

"لكن حتى هذا ليس موضوعنا الحقيقي من هذه البعثة الصغيرة يا غارّاتي. الموضوع هو أنهم

الأذكياء. ليسوا مَن يُرمى بهم إلى الأسُود. وليسوا مَن يترنّحون على الطريق آملين ألا يضطروا إلى التبرّز حاملين تحذيرَين. أنت مغفّل يا غارّاتي. أنت وأنا وبيرسون وباركوفيتش وستابنز، كلنا مغفّلون. سكرام مغفّل لأنه يعتقد أنه يفهم في حين أنه لا يفهم. وأولسون مغفّل لأنه فهِم كثيراً في وقت متأخر جداً. إنهم حيوانات، حسناً. لكن لماذا أنت واثق جداً أن ذلك يجعلنا بشراً؟".

صمت قليلاً، منقطع الأنفاس بشكل سيئ.

"أحسنَت"، قال. "لقد جعلتني أتكلم وأتكلم. موعظة قصيرة رقم 342 في سلسلة ستة آلاف، الخ، الخ. الأرجح أنك حذفتَ خمس ساعات أو أكثر من عمري".

"لماذا شاركتَ إذاً؟"، سأله غارّاتي. "إذا كنت تعرف هذا القدر، وإذا كنت واثقاً إلى هذا الحد، لماذا شاركتَ؟".

"نفس السبب الذي جعلنا كلنا نشارك"، قال ستابنز. ابتسم بلطف، بمحبة تقريباً. كانت شفتاه جافتين قليلاً من الشمس؛ وإلا لكان وجهه لا يزال غير مجعَّد ويبدو لا يُقهر. "نريد أن نموت، لهذا السبب شاركنا. هل هناك سبب آخر يا غارّاتي؟ أي سبب آخر؟".

الفصل 8

"ثلاثة–ستة–تسعة، شرِبت الإوزة شراباً للمتعة

مضغَ القرد التبغ على سلك الترامواي

انقطع السلك

اختنق القرد

وصعد الكل إلى الأعلى في زورق تجذيف صغير..."

– أغنية للأطفال

أوثَق راي غارّاتي حزام أنابيب المعجون المركَّز بإحكام حول خصره وأخبر نفسه بحزم أنه لن يأكل أي شيء على الإطلاق حتى التاسعة والنصف على الأقل. كان يمكنه أن يشعر أن هذا القرار سيكون صعباً. راحت معدته تهدر وتزمجر. بينما كان كل السائرين من حوله يحتفلون قهرياً بنهاية أول أربع وعشرين ساعة على الطريق.

ابتسم سكرام لغارّاتي بفم مليء بجبنة دهن وقال شيئاً لطيفاً لكن غير صالح للترجمة. وكان بايكر يُمسك قارورة زيتون – زيتون حقيقي – ويقذفها في فمه بوتيرة نظامية مثل الرشاش. وبيرسون يحشو فمه برقائق بسكويت مدهون عليها بعض معجون الطون، وماكفريز يأكل معجون دجاج ببطء. كانت عيناه نصف مغلقتين، ومن الممكن أن يكون في ألم شديد أو في ذروة المتعة.

اثنان إضافيان منهم هلكا بين الثامنة والنصف والتاسعة؛ كان أحدهما واين الذي هتف له فارس الوقود بحرارة سابقاً. لكنهم قطعوا مئة وستين كيلومتراً مع هلاك ستة وثلاثين فتى فقط. أليس

هذا مدهشاً، فكّر غارّاتي في سرّه، وشَعَر باللعاب يسيل في فمه عندما ضغط ماكفريز آخر محتويات أنبوب معجون الدجاج ثم رمى الأنبوب الفارغ. رائع. آمل أن يسقطوا كلهم موتى الآن.

تسابَقَ مراهق يرتدي سروال جينز مع سيدة منزل في منتصف عمرها للوصول إلى أنبوب ماكفريز الفارغ، الذي توقف عن أن يكون شيئاً مفيداً وبدأ مهنته الجديدة كتذكار. كانت سيدة المنزل أقرب لكن الولد كان أسرع وهزَمها بنصف طولها. "شكراً!"، صاح لماكفريز حاملاً الأنبوب الملتوي والمفتول عالياً. هروَل عائداً إلى أصدقائه، مستمراً في التلويح بالأنبوب. راحت سيدة المنزل تحدِّق فيه بحدّة.

"ألن تأكل أي شيء؟"، سأل ماكفريز.

"إنني أجبر نفسي على الانتظار".

"انتظار ماذا؟".

"التاسعة والنصف".

حدَّق فيه ماكفريز بتمعّن. "الانضباط الذاتي القديم؟".

هزَّ غارّاتي كتفيه، مستعداً لسماع تعليق ساخر، لكن ماكفريز واصل النظر إليه فقط.

"أتعلَم؟"، قال ماكفريز أخيراً.

"ماذا؟".

"لو كان معي دولار... دولار واحد فقط... أظن أنني كنتُ سأضعه عليك يا غارّاتي. أعتقد أن لديك فرصة للفوز بهذا الشيء".

ضحِك غارّاتي بتكلّف شديد. "هل تحاول أن تنحسَني؟".

"ماذا؟".

"تنحسَني. مثل القول لرامي الكرة أنه لن يسدّد أي كرة ناجحة".

"ربما أحاول أن أنحسك"، قال ماكفريز. ومدَّ يديه أمامه. كانتا ترتجفان قليلاً. عبَسَ ماكفريز بهما في نظرة تنمّ عن شرود في الذهن. كانت نظرته من النوع نصف المجنون. "آمل أن يهلك

باركوفيتش قريباً"، قال.

"بيت؟".

"ماذا؟".

"لو عدتَ بالزمن إلى الوراء... ولو عرِفت أنه يمكنك قطع كل هذه المسافة وستظل قادراً على السير... هل ستعيد الكَرَّة؟".

أخفَضَ ماكفريز يديه وحدَّق في غارّاتي. "هل تمزح؟ لا شك أنك تمزح".

"لا، أنا جديّ".

"راي، لا أعتقد أنني سأعيد الكَرَّة حتى ولو وضع الرائد مسدسه على رأسي. هذا أشبه بالانتحار، ما عدا أن الانتحار أسرع عادة".

"صحيح"، قال أولسون. "صحيح جداً". وابتسم ابتسامة معسكر اعتقال جوفاء جَعَلت معدة غارّاتي تنقبض.

بعد عشر دقائق، مرّوا تحت راية حمراء وبيضاء ضخمة تقول: 160 كيلومتراً!! مبروك من غرفة التجارة لمشتل جيفرسون! مبروك للمشاركين في المسيرة الطويلة ل. "نادي القرن" هذه السنة!!

"لديَّ مكان يمكنهم أن يضعوا نادي قرنهم فيه"، قال كولي باركر. "مكان طويل وبني والشمس لا تُشرِق فيه أبداً".

فجأة اختفت مجموعة أشجار الصنوبر ذات الجيل الثاني التي كانت تحدّ الطريق في بُقع غير مشذَّبة، بعد أن أخفاها أول حَشد حقيقي رأوه في حياتهم. علت صيحات ابتهاج صاخبة، تلتها صيحات ابتهاج ثانية وثالثة. كان الجو يشبه ركوب الأمواج على صخور. وراحت أضواء الكاميرات تلمع وتُبهرهم. كان رجال شرطة الولاية يحاولون إبقاء صفوف الجماهير في الخلف، واضعين حبالاً من النايلون البرتقالي الساطع القوي على أكتافهم. تعارك شرطيٌ مع فتى صغير يصيح. كان وجه الفتى قذراً، والمخاط يسيل من أنفه، ويلوِّح طائرة شراعية لعبة بيد ودفتر تواقيع شخصية باليد الأخرى.

"يا إلهي!"، صاح بايكر. "يا إلهي، انظروا إليهم، فقط انظروا إليهم كلهم!".

كان كولي باركر يلوِّح ويبتسم، وفقط عندما اقترب منه غارّاتي قليلاً حتى تمكَّن من سماعه

يصيح بلهجته الغربية الوسطى: "مسرور لرؤيتكم، أيها المغفَّلون اللعينون!". ابتسامة وتلويح. "كيف الحال يا ماكري، أيها الحقير اللعين. وجهك ومؤخرتي، يا له من تطابق. كيف الحال، كيف الحال؟".

وضع غارّاتي يديه فوق فمه وقهقه بطريقة هستيرية. كان رجل في الصف الأمامي يلوِّح بلافتة مكتوبة بغير اتقان عليها إسم سكرام ويقف بسحّاب مفتوح. وفي الصف الذي خلفه وقفت امرأة سمينة في ملابس صيفية صفراء مضحكة محشورة بين ثلاثة طلاب جامعة يشربون شراب شعير. جسد دهنيّ مطحون في الرحى، فكّر غارّاتي في سرّه، وضحِك بقوة أكبر.

ستُصاب بنوبة ضحك، يا إلهي، لا تدع ذلك يصيبك، تذكّر غريبل... ولا... لا تدع... لا...

لكن ذلك كان يحصل. خرجت الضحكات هادرةً منه إلى أن انقبضت معدته وتشنّجت، وأصبح يسير مقوَّس الساقين وكان أحدهم يصيح فيه، يصرخ فيه في هدير الحَشد. كان ماكفريز. "راي! راي! ما الأمر؟ هل أنت بخير؟".

"إنهم مضحكون!". كان على وشك البكاء من الضحك الآن. "بيت، بيت، إنهم مضحكون جداً، إنهم... إنهم... مضحكون جداً!".

كانت فتاة صغيرة ذات وجه صارم ومتجهِّم تجلس في فستان صيفي قذر على الأرض. راحت تصنع حركات مرعبة على وجهها بينما كانوا يمرّون. كاد غارّاتي ينهار من الضحك ونال تحذيراً. كان غريباً أنه لا يزال قادراً على سماع التحذيرات بوضوح رغم كل الضجة.

يمكن أن أموت، فكّر في سرّه. يمكن أن أموت ضاحكاً، ألن يكون ذلك مضحكاً؟

كان كولي لا يزال يبتسم بمرح ويلوِّح بيديه ويشتم المتفرّجين والصحافيين بحدّة، وهذا بدا أطرَفَ شيء. وَقَع غارّاتي على رُكبتيه وحُذِّر مرة أخرى. استمر يضحك بتقطّع، قاذفاً لعاباً من فمه، وهذا كان كل شيء تسمح به رئتاه الكادحتان.

"سيتقيأ!"، صاح شخصٌ ببهجة كبيرة. "راقبيه يا أليس، سيتقيأ!".

"غارّاتي! بحق الله يا غارّاتي!"، كان ماكفريز يصيح. وضع ذراعه حول ظهر غارّاتي وشَبَكَ يداً تحت إبطه. رفعه بطريقة أو بأخرى إلى قدميه وتعثَّر غارّاتي.

"يا إلهي"، لَهَث غارّاتي. "يا إلهي، إنهم يقتلونني. لا... لا أستطيع...". انتابته نوبة ضحك جديدة. ارتخت رُكبتاه. ورفعه ماكفريز إلى قدميه مرة أخرى. تمزَّقت ياقة غارّاتي. نال كلاهما تحذيراً.

هذا تحذيري الأخير، فكّر غارّاتي في سرّه. أنا على وشك رؤية تلك المزرعة الأسطورية. آسف يا جانيس، أنا...

"هيا أيها الأهبل، لا أستطيع أن أجرّك!"، هسهَس ماكفريز.

"لا أستطيع أن أفعل هذا"، لَهَث غارّاتي. "لقد خارت قواي–".

صفَعه ماكفريز مرتين بسرعة، براحة اليد على خده الأيمن، وبظاهر اليد على خده الأيسر. ثم ابتعَد عنه بسرعة، دون أن يلتفت إلى الوراء.

زال عنه الضحك الآن، لكن معدته كانت هلامية، ورئتاه فارغتين وغير قادرتين على ما يبدو على إعادة تعبئة نفسيهما بالهواء. راح يسير مترنّحاً، محاولاً التقاط أنفاسه. تراقصت بُقع سوداء أمام عينيه، وفهِم جزءٌ منه كم كان قريباً من أن يُغمى عليه. تعثَّرت إحدى قدميه بالقدم الأخرى، وكاد يسقط، لكنه تمكَّن من المحافظة على توازنه.

إذا وقعتُ، سأموت. ولن أنهض أبداً.

كانوا يراقبونه. كان الحَشد يراقبه. صمتت الهتافات كلياً، ما عدا من بعض الهمسات. كانوا ينتظرون سقوطه.

واصل السير، مركِّزاً فقط على وضع قدمٍ أمام الأخرى. في يوم ما من الصف المدرسي الثامن، قرأ قصةً تأليف رجل يدعى راي برادبُري تحكي عن الحشود التي تتجمَّع في أماكن الحوادث المميتة، وكيف أن تلك الحشود تتضمن نفس الوجوه دائماً، وكيف أنه يبدو أنهم يعرفون ما إذا كان الجرحى سيحيون أو يموتون. سأحيا لفترة أطول قليلاً، أخبرهم غارّاتي. سأحيا. سأحيا لفترة أطول.

راح يرفع قدميه ويُخفضهما على الإيقاع الهادئ الذي في رأسه. أخرَج كل شيء آخر من ذهنه، حتى جانيس. لم يكن مُدركاً للحرارة، أو كولي باركر، أو فريكي دالّيسيو. لم يكن حتى مُدركاً للألم الممل المتواصل في قدميه ولتصلّب العضلات خلف رُكبتيه. راحت الفكرة تقرع في رأسه مثل طبلة كبيرة. مثل نبضات القلب. سأحيا لفترة أطول. سأحيا لفترة أطول. سأحيا لفترة أطول. إلى أن أصبحت الكلمات نفسها بلا معنى.

كان صوت البنادق الذي أخرجه من تلك الحالة.

كان الصوت صاخباً بشكل مروِع في السكون الذي ساد بين الحشود، وكان قادراً على سماع

شخص يصرخ. الآن أصبحت تعرف، فكّر في سرّه، أنك ستعيش لفترة طويلة كفاية لتسمع صوت البنادق، طويلة كفاية لتسمع نفسك تصرخ–

لكن إحدى قدميه ركلت حجرة صغيرة، وشعَرَ بألم، لكن لم يكن هو مَن اشترى البطاقة، بل كان 64، فتى لطيفاً مبتسماً يدعى فرانك مورغان. كانوا يسحبون فرانك مورغان إلى خارج الطريق. وكانت نظاراته تنزلق وتتأرجح على الرصيف، لا تزال عالقة بعناد بإحدى أذنيه. وكانت العدسة اليسرى محطَّمة.

"لستُ ميتاً"، قال بذهول. أصابته الصدمة في موجة زرقاء دافئة، مهدِّدةً أن تحوّل رِجليه إلى هلام مرة أخرى.

"نعم، لكن كان يجب أن تكون ميتاً"، قال ماكفريز.

"لقد أنقذتَه"، قال أولسون، محوِّلاً ذلك إلى شتيمة. "لماذا فعلت ذلك؟ لماذا فعلت ذلك؟". كانت عيناه لامعتين وفارغتين مثل مسكات الأبواب. "سأقتلك لو كنتُ أستطيع. أكرهك. ستموت يا ماكفريز. انتظر وسترى. ستموت جزاء ما فعلته. ستموت مثل كلب". كان صوته شاحباً وفارغاً. وكان باستطاعة غارّاتي أن يشمّ تقريباً رائحة الكَفَن عليه. وضع يديه فوق فمه وراح يئنّ فيهما. الحقيقة هي أن رائحة الكَفَن كانت عليهم كلهم.

"تباً لك"، قال ماكفريز بهدوء. "أنا أسدِّد ديوني، فقط لا غير". نَظَر إلى غارّاتي. "نحن متعادلان. إنها النهاية، أليس كذلك؟"، ابتعَد عنه، دون عجلة من أمره، وسرعان ما أصبح أمامه بحوالي عشرين متراً.

عادت أنفاس غارّاتي إليه، لكن ببطء شديد، وبقي متأكداً لفترة طويلة أنه يمكنه الإحساس بغزّة في جنبه... لكنها تضاءلت في النهاية. لقد أنقذ ماكفريز حياته. فقد أصابته نوبة ضحك هستيرية، وماكفريز أنقذه من الهلاك. نحن متعادلان. إنها النهاية، أليس كذلك؟ حسناً.

"ستنال عقابك"، كان هانك أولسون يقول بنبرة واثقة عالية. "سينال عقابه لا محالة".

"اصمت أو سأضربك بنفسي"، قال أبراهام.

أصبح الجو حاراً أكثر، واندلعت نقاشات صغيرة تافهة مثل نار في الهشيم. تقلَّص الحَشد الضخم قليلاً عندما أصبحوا خارج نطاق تغطية كاميرات التلفزيون وميكروفوناته، لكنه لم يختف أو

حتى يتفكّك إلى تجمّعات منعزلة من المتفرِّجين. فقد أتى الحَشد الآن، وهو هنا لكي يبقى. والناس الذين تمكّنوا من الوصول، اندمجوا في حَشد مجهول واحد، في وجه ممل متلهّف واحد يكرِّر نفسه كيلومتراً تلو الكيلومتر. كان الناس يفترشون عتبات البيوت، المروج، الممرات الخاصة، أماكن النزهات، باحات محطات الوقود (حيث كان المالكون المقدامون يتقاضون رسوماً على الوقوف هناك). وفي البلدة التالية التي اجتازوها، كان الناس يفترشون جانبَي الشارع ومرأب سيارات السوبرماركت المحلية. كان وجه الحَشد يصوّرهم ويهتف لهم، لكنه كان هو نفسه دائماً. فقد راقَب بنَهَم عندما قرفص وايمان لكي يتبرَّز. رجال؛ نساء؛ أطفال؛ كان وجه الحَشد هو نفسه دائماً، وقد سئم منه غارّاتي بسرعة.

أراد أن يشكر ماكفريز، لكنه شكَّ أن ماكفريز يريد أن يُشكَر على ما فعله. كان يمكنه رؤيته أمامه، يسير خلف باركوفيتش. وكان ماكفريز يحدِّق باهتمام في عنق باركوفيتش.

أتت التاسعة والنصف وانقضت. بدا الحَشد كأنه يكثِّف الحرارة، ففكَّ غارّاتي أزرار قميصه حتى فوق إبزيم حزامه. تساءل إن كان فريكي دالّيسيو قد عرِف أنه سيشتري بطاقة قبل أن يفعل ذلك. افترَض أن معرفة ذلك لم تكن لتغيِّر له مجريات الأمور حقاً، بطريقة أو بأخرى.

انحدر الطريق بشكل حاد، وضَمَر الحَشد للحظات بينما كانوا يتسلَّقون ويتجاوزون أربع مجموعات سكك حديدية ممتدة تحتهم، متألقة بحرارة عالية فوق الألواح الخشبية. في الأعلى، وبينما كانوا يجتازون الجسر الخشبي، استطاع غارّاتي رؤية غابة أخرى أمامهم، والمنطقة العامِرة التي عبروها للتو إلى اليمين واليسار.

هبّت نسمة باردة على بشرته المبلَّلة بالعرق، مما جعله يرتعش. وعطس سكرام بحدّة ثلاث مرات.

"إنني أُصاب بنزلة برد"، أعلَن باشمئزاز.

"هذا سيُتعبك ويُضعفك"، قال بيرسون. "هذه كارثة".

"لن يكون عليَّ سوى بذل مزيد من الجهد"، قال سكرام.

"لا شك أنك مصنوع من فولاذ"، قال بيرسون. "لو أُصبتُ بنزلة برد، أظن أنني سأنهار وأموت بكل بساطة. هذا مقدار الطاقة القليلة التي بقيت لديَّ".

"إنهَر ومُت الآن!"، صاح باركوفيتش. "وفّر بعض الطاقة!".

"اصمت واستمر بالسير أيها القاتل"، قال ماكفريز فوراً.

نظر باركوفيتش حوله. "لماذا لا تكفّ عن إزعاجي يا ماكفريز؟ اذهب وسِر في مكان آخر".

"إنه طريق حر. وسأسير حيث أشاء أيها اللعين".

تنخّع باركوفيتش، وبصَق، وانصرَف عنه.

فتَح غارّاتي إحدى حاويات طعامه وبدأ يأكل جبنة قشدية على رقائق بسكويت هشّ. زمجَرت معدته بقوة عند اللقمة الأولى، واضطر أن يضغط على نفسه لكي لا يلتهم كل شيء. أفرَغَ أنبوب معجون مركَّز بطعم لحم بقر مشوي في فمه، وراح يبلع بانتظام. شطَفَ كل شيء بالماء ثم أجبر نفسه على التوقف عند هذا الحدّ.

اجتازوا مخزن أخشاب وَقَف فيه الرجال فوق تلال ألواح خشبية، وبدوا كخيالات في السماء مثل الهنود، وكانوا يلوّحِون لهم. ثم دخلوا الغابة مرة أخرى وبدا أن الصمت هبط عليهم فجأة. لم يكن صمتاً، بالطبع؛ فقد تكلَّم بعض السائرين، وكانت العربة نصف المجنزَرة تسير بجانبهم بهديرها الميكانيكي، وأخرَج أحدهم ريحاً، وضحِك أحدهم، وأصدر شخصٌ وراء غارّاتي صوت تأوه صغيراً ميؤوساً. كان المتفرّجون لا يزالون مصطفين على جوانب الطريق، لكن الحَشد الكبير ل. "نادي القرن" اختفى وبدت الأجواء هادئة بالمقارنة. كانت العصافير تزقزق في الأشجار العالية، والنسيم الذي يهبّ بين الحين والآخر يخفِّف الحرارة للحظة أو لحظتين، ويبدو مثل صفير بين الأغصان. شاهدوا سنجاباً بنياً يراقبهم بعينيه السوداوين اليقظتين على غصن مرتفع، باسطاً ذيله، وحاملاً حبة بندق بين كفَّيه الأماميتين. سقسَقَ لهم، ثم هرع إلى الأعلى واختفى. وحلَّقت طائرة من بعيد، مثل ذبابة عملاقة.

شعَر غارّاتي أن الجميع يتقصَّدون عدم التكلّم معه. كان ماكفريز لا يزال يسير خلف باركوفيتش. وبيرسون وبايكر يتكلمان عن الشطرنج. وأبراهام يأكل بصخب ويمسح يديه بقميصه. وسكرام مزَّق قطعةً من قميصه التائي وراح يستخدمها كمنديل. وكولي باركر يقايض الفتيات مع وايمان. وأولسون... لكنه لم يرغب حتى بالنظر إلى أولسون، الذي بدا أنه يريد توريط الجميع كمساعدين له في مقاربته الموت.

لذا بدأ يتراجع إلى الخلف، بحذر شديد، وبمقدار قليل كل مرة (متيقظاً جداً من تحذيراته الثلاثة)، إلى أن أصبح يسير مع ستابنز. كان بنطلونه الأرجواني مليئاً بالغبار الآن. وكانت هناك

دوائر داكنة من العرق تحت إبطَي قميصه القطني الرقيق. مهما تكن طبيعة ستابنز، إلا أنه لم يكن سوبرمان. رفع نظره إلى غارّاتي للحظة، وبدت علامات استغراب على وجهه الهزيل، ثم أعاد خفض نظره إلى الطريق. كان مقبض عموده الفقري عند مؤخرة عنقه بارزاً جداً.

"لماذا لم يعد هناك ناس؟"، سأل غارّاتي بتردّد. "أقصد متفرِّجين".

ظنَّ للحظة أن ستابنز لن يُجيب. لكنه رفع نظره أخيراً مرة أخرى، وأزاح الشعر عن جبهته وردَّ قائلاً، "سيكون هناك أشخاص. انتظر قليلاً. ستراهم مزدحمين على الأسطح لينظروا إليك".

"لكن أحدهم قال إنه يجري تبادل مليارات الدولارات على هذه المسيرة. فيظنّ المرء أنهم سيكونون بالآلاف على طول الطريق. وستكون هناك تغطية تلفزيونية–".

"هذا غير محبَّذ".

"لماذا؟".

"لماذا تسألني؟".

"لأنك تعرف"، قال غارّاتي ساخطاً.

"وكيف تعلَم هذا؟".

"يا إلهي، أنت تذكِّرني أحياناً باليسروع في رواية أليس في بلاد العجائب"، قال غارّاتي. "ألا تتكلَّم أبداً؟".

"لكم من الوقت ستصمد مع أشخاص يصرخون عليك من الجهتين؟ رائحة العرق لوحدها ستكون كافية لتدفعك إلى الجنون بعد حين. سيكون ذلك أشبه بالسير لثلاثمئة كيلومتر عبر ميدان تايمز سكوير في ليلة رأس السنة الجديدة".

"لكنهم يسمحون للناس بالتفرُّج، أليس كذلك؟ قال أحدهم إنه كان حَشداً كبيراً من أولدتاون".

"لستُ اليسروع، على أي حال"، قال ستابنز بابتسامة سرية بعض الشيء. "أنا الأرنب الأبيض تقريباً، ألا تعتقد؟ ما عدا أنني ترَكتُ ساعتي الذهبية في المنزل ولم يدعُني أحدٌ لشرب الشاي. على الأقل، إلى حد علمي، لم يدعُني أحدٌ. ربما هذا ما سأطلبه عندما أفوز. عندما يسألونني ماذا أريد لجائزتي، سأقول، 'لماذا، أريد أن أُدعا إلى المنزل لشرب الشاي'".

"اللعنة!".

ابتسم ستابنز ابتسامة أعرض، لكنها كانت لا تزال مجرد تمرين في شدّ الشفتين. "أجل، من أولدتاون أو جوارها الصمّام معطَّل. لكن لا أحد يفكِّر كثيراً بالأشياء الدنيوية مثل شباك التذاكر. وهناك تغطية تلفزيونية متواصلة من أوغستا. المسيرة الطويلة هي التسلية الوطنية، في النهاية".

"لماذا ليس هنا إذاً؟".

"باكراً جداً"، قال ستابنز. "باكراً جداً".

زأرت البنادق مرة أخرى من المنعطف التالي، مُجفلةً طائر تُّدْرُج قفز من الخميلة في اندفاعة كهربائية من جناحيه. انعطف غارّاتي وستابنز ذلك المنعطف، لكن كيس حفظ الجثث كان قد أُغلِق من قبل. عمل سريع. لم يتمكن من رؤية الضحية.

"تصل إلى نقطة معيّنة"، قال ستابنز، "لا يعود فيها الحَشد مهماً، سواء كحافز أو عائق. يتوقف عن الوجود كلياً. مثل رجل على سقالة، أعتقد. يختبئ ذهنك في جحر عميق بعيداً عن الحَشد".

"أعتقد أنني أفهم هذا"، قال غارّاتي، شاعراً بالخجل.

"لو كنت تفهمه، لما دخلتَ في نوبة ضحك هناك واحتجتَ إلى صديقك لكي ينقذك. لكنك ستفهمه".

"أتساءل عن عمق جحرك؟".

"كم عميق أنت؟".

"لا أعرف".

"حسناً، هذا شيء ستكتشفه أيضاً. اكتشف أعماق غارّاتي غير المكتشَفة. يبدو أشبه بإعلان سفر، أليس كذلك؟ تواصل حفر جحرك إلى أن تصل إلى الصخر. ثم تحفر جحرك في الصخر. وأخيراً تصل إلى الأسفل. ثم تسيطر على الوضع كلياً. هذه فكرتي. لنسمع فكرتك".

لم يقل غارّاتي شيئاً. ففي هذه اللحظة بالذات، لم تكن لديه أي أفكار.

استمرت المسيرة. واستمر الحرّ. بقيت الشمس معلَّقة فوق خط الأشجار الذي يمرّ الطريق

عبره. كانت ظلالهم أقزاماً. حوالي العاشرة، اختفى أحد الجنود في الحجرة الخلفية للعربة نصف المجنزَرة وعاود الظهور مع سارية طويلة كان ثلثاها العلويان مغلَّفين بقماش. أغلق باب الحجرة وأدخَل طرف السارية في فتحة في المعدن. مدَّ يده إلى تحت القماش وفعل شيئاً... عبَث بشيء، دعامة على الأرجح. بعد لحظة، انبثقت مظلّة كبيرة قاتمة اللون ظلَّلت معظم السطح المعدني للعربة نصف المجنزَرة. جلس القرفصاء مع الجنديين الآخرين اللذين كانا في الخدمة معه حالياً في ظل المظلّة التي بلون ملابسهم.

"أيها الحقيرون العَفِنون!"، صَرَخ أحدهم. "ستكون جائزتي خَصيكم أمام الجماهير!".

لم يبدُ أن الجنود أصيبوا برعب كبير من الفكرة. بل تابَعوا تفحّص السائرين بعيونهم الفارغة، مشيرين إلى شاشة كمبيوترهم من وقت لآخر.

"الأرجح أنهم يفشّون غليلهم في زوجاتهم"، قال غارّاتي. "عندما ينتهي كل هذا".

"آه، أنا أكيد أنهم يفعلون ذلك"، قال ستابنز، وضحِك.

لم يعد غارّاتي يريد أن يسير مع ستابنز، ليس الآن. فقد كان ستابنز يزعجه. وبإمكانه تحمُّل ستابنز بجرعات صغيرة فقط. سار بشكل أسرع، تاركاً ستابنز وحيداً مرة أخرى. 10:02. يمكنه التخلّص من تحذير بعد ثلاثة وعشرين دقيقة، لكنه لا يزال يسير الآن حاملاً ثلاثة تحذيرات. لم يُخفه ذلك بالشكل الذي ظنّه. فقد كانت لا تزال لديه تلك الثقة العمياء الراسخة بأن راي غارّاتي لا يمكن أن يموت. بإمكان الآخرين أن يموتوا، فقد كانوا زوائد في فيلم حياته، لكن ليس راي غارّاتي، نجم ذلك الفيلم الناجح الذي يُعرَض منذ فترة طويلة، قصة راي غارّاتي. ربما سيتمكن من فهم تلك الأكذوبة في نهاية المطاف عاطفياً وفكرياً أيضاً... ربما كان ذلك العمق الأخير الذي تكلَّم عنه ستابنز. كانت فكرة مخيفة جداً وغير مرحّب بها أبداً.

من دون أن يُدرك ذلك، سار نحو ثلاثة أرباع المسافة نحو المجموعة. وأصبح خلف ماكفريز مرة أخرى. كان هناك ثلاثة منهم في خط قطري مُتعَب: باركوفيتش في المقدمة، لا يزال يحاول أن يبدو مزهواً بنفسه لكنه يتلاشى قليلاً عند الأطراف؛ وماكفريز برأسه الـمُخفَض ويديه نصف المشدودتين يفضِّل قدمه اليسرى قليلاً الآن؛ وفي آخر الصف، نجم قصة راي غارّاتي بنفسه. وكيف أبدو؟ تساءلَ.

فرَكَ يده على خده واستمَع إلى الصرير الذي أحدثته يده على لحيته الخفيفة. الأرجح أنه لا

يبدو أنيقاً جداً.

زاد سرعته قليلاً إلى أن أصبح يسير جنباً إلى جنب مع ماكفريز، الذي نظر إليه نظرة سريعة ثم عاد لينظر إلى باركوفيتش. كانت عيناه داكنتين وصعب فهمهما.

صعدوا تلة صغيرة، مرهقة، ومشمسة بقوة، ثم عبروا جسراً صغيراً آخر. مرّت خمس عشرة دقيقة، ثم عشرون. لم يقل ماكفريز أي شيء. تنحنح غارّاتي مرتين لكنه لم يقل شيئاً. شَعَر أنه كلما طالت مدة الصمت، كلما ازدادت صعوبة كسره. كان ماكفريز غاضباً على الأرجح من أنه أنقذ له حياته. والأرجح أنه ندم على ذلك. هذا جَعَل معدة غارّاتي الفارغة تنقبض. كان كل شيء ميؤوساً منه وسخيفاً وعديم الفائدة لدرجة أنه كان مثيراً للشفقة حقاً. فتَح فمه ليُخبر ماكفريز ذلك، لكن ماكفريز تكلَّم قبل أن يتمكن من فعل ذلك.

"كل شيء على ما يرام". جفلَ باركوفيتش من صوته وأضاف ماكفريز، "ليس أنت أيها القاتل. لا شيء سيكون على ما يرام لك. فقط استمر بالسير".

"تباً لك"، قال باركوفيتش بغضب شديد.

"أظن أنني سبَّبتُ لك بعض المتاعب"، قال غارّاتي هامساً.

"لقد قلتُ لك، الحق حق"، قال ماكفريز بهدوء. "لن أفعل ذلك مرة أخرى. أريدك أن تعرف ذلك".

"أفهم هذا"، قال غارّاتي. "أردتُ فقط–".

"لا تؤذيني!"، صَرَخ أحدهم. "لا تؤذيني رجاءً!".

كان فتى أحمر الشعر يرتدي قميصاً ذا مربعات مربوطاً حول خصره. كان قد توقف في وسط الطريق وراح يبكي. نال أول تحذير. ثم أسرَعَ نحو العربة نصف المجنزَرة، ودموعه ترسم قنوات على الأوساخ المبلَّلة بالعرق على وجهه، وشعره الأحمر يتلألأ كحريق في الشمس. "لا... لا أستطيع... رجاءً... أمي.. لا أستطيع... لا... قدماي...". كان يحاول تسلّق العربة، فضرب أحد الجنود عقب بندقيته على يديه. صرَخ الفتى وسقط أرضاً.

صَرَخ مرة أخرى بصوتٍ عالٍ جداً بدا كافياً لتحطيم الزجاج وما كان يصرخ به كان:

"قدمايييييييييييييييييييييييييي–".

"يا إلهي"، تمتم غارّاتي. "لماذا لا يتوقف عن ذلك؟". استمر الصراخ بدون انقطاع.

"أشك أنه يستطيع فعل ذلك"، قال ماكفريز بنبرة محايدة. "فقد داست السلسلة الخلفية للعربة نصف المجنزَرة على رِجليه".

نظر غارّاتي وشَعَر بحَمض معدته يرتفع إلى حنجرته. كان على حق. لا عجب أن الفتى صاحب الشعر الأحمر كان يصرخ عن قدميه. كانت قد مُسحتا بالكامل.

"تحذير! تحذير ل 38!".

"–ييييييييييييييييييي–".

"أريد إلى أعود إلى المنزل"، قال شخص خلف غارّاتي بهدوء تام. "يا إلهي، كم أريد أن أعود إلى المنزل".

بعد لحظة، نُسِف وجه الفتى صاحب الشعر الأحمر.

"سأرى حبيبتي في فريبورت"، قال غارّاتي بسرعة. "وسأقبِّلها دون أن أنال أي تحذير. يا إلهي كم أنا مشتاق لها، هل رأيت رِجليه؟ كانوا لا يزالون يحذِّرونه يا بيت، كما لو أنهم يظنّون أنه سينهض ويسير–".

"فتى آخر غادر إلى المدينة الفضية"، دندَن باركوفيتش.

"اصمت أيها القاتل"، قال ماكفريز بذهول. "هل هي جميلة يا راي؟ حبيبتك؟".

"إنها جميلة. أحبّها".

ابتسم ماكفريز. "هل ستتزوَّجان؟".

"نعم"، تمتم غارّاتي. "سنصبح السيد والسيدة نورمان نورمال، أربعة أولاد وكلب، رِجليه، لم تكن لديه أي أرجل، لقد دهسوه، لا يمكنهم أن يدهسوا أحداً، هذا غير مذكور في القوانين، يجب أن يقدِّم أحدهم تقريراً بذلك، شخص ما–".

"صبيان وبنتان، هل هذا ما تريد إنجابه؟".

"نعم، نعم، إنها جميلة، أتمنى فقط لو أنني لم–".

"والولد الأول سيدعى راي جونيور وسيكون للكلب طبق خاص عليه إسمه، أليس كذلك؟".

رفع غارّاتي رأسه ببطء، مثل مقاتِل ثمل. "هل تسخر مني؟ أم ماذا؟".

"لا!"، صاح باركوفيتش. "إنه يهزأ منك كلياً! ولا تنسَ هذا أبداً. لكنني سأرقص على قبره لك، لا تقلق". وقهقه قليلاً.

"اصمت أيها القاتل"، قال ماكفريز. "أنا لا أهزأ منك يا راي. هيا، هيا نبتعد عن القاتل، هنا".

"اذهبا إلى الجحيم!"، صاح بهما باركوفيتش.

"هل تحبّك؟ حبيبتك؟ جانيس؟".

"نعم، أعتقد ذلك"، قال غارّاتي.

هزَّ ماكفريز رأسه ببطء. "كل ذلك الهراء العاطفي... إنه حقيقي. على الأقل، لبعض الأشخاص لبعض الوقت القصير. كان حقيقياً بالنسبة لي. كنتُ أشعر مثلك". نَظَر إلى غارّاتي. "هل لا تزال تريد سماع قصة الندبة؟".

دخلوا منعطفاً وصادفوا مخيم أولاد راحوا يزعَقون ويلوِّحون بأياديهم. "نعم"، قال غارّاتي.

"لماذا؟"، نَظَر إلى غارّاتي، لكن كان ممكناً أن عينيه المجرَّدتين فجأة تبحثان عن نفسه.

"أريد مساعدتك"، قال غارّاتي.

أخفَض ماكفريز نظره إلى قدمه اليسرى. "إنها تؤلمني. لم أعد قادراً على تحريك أصابع قدمي كثيراً. وعنقي مشدود وكُليتاي تؤلمانني. وتبيَّن أن حبيبتي حقيرة. شاركتُ في هذه المسيرة الطويلة اللعينة بنفس الطريقة التي كان الشباب يتطوّعون بها في الفيلق الأجنبي. بكلمات شاعر الروك أند رول العظيم، أعطيتُها قلبي، فمزَّقته، وبئس المصير".

لم يقل غارّاتي شيئاً. كانت الساعة 10:30. وفريبورت لا تزال بعيدة.

"إسمها بريسيلا"، قال ماكفريز. "هل تظن أن وضعك مميَّز؟ كنتُ الفتى كورني الأصلي، وقمر يونيو كان إسمي الثاني. كنتُ أقبِّل لها أصابع يديها. حتى إنني كنتُ أقرأ لها قصائد كيتس وراء المنزل، عندما تكون الرياح ملائمة. كان والدها يربّي أبقاراً، ورائحة روثها تفوح، إذا أردنا وصف ذلك بأكثر تعبير مُرهَف، بطريقة غريبة مع كلمات جون كيتس. ربما كان عليَّ أن أقرأ لها سوينبورن عندما

كانت الرياح غير ملائمة". ضحِك ماكفريز.

"أنت تكذب بشأن ما كنت تشعر به"، قال غارّاتي.

"آه، أنت الذي يكذب يا راي، لكن هذا لا يهمّ. كل ما تتذكره هو الرومانسية الرائعة، وليس كل الأوقات التي ذهَبت فيها إلى المنزل ونفَّستَ احتقانك بمفردك بعد همسك كلمات حب في أذنها الزهرية".

"أنك تكذب بطريقتك، وأنا أكذب بطريقتي".

بدا أن ماكفريز لم يسمع، وقال، "هذه الأشياء لا تحمل حتى وزن المحادثة. ج. د. سالينغر... جون نوولز... حتى جايمس كيركوود وذلك الشاب دون بريدس... دمَّروا معنى أن تكون مراهِقاً يا غارّاتي. إذا كنت فتى في السادسة عشرة من عمره، لم يعد بإمكانك مناقشة آلام الحب المراهِق بأي حشمة. سيبدو كلامك فقط مثل ذلك اللعين رون هاورد مستثاراً".

ضحِك ماكفريز بطريقة هستيرية قليلاً. ولم تكن لدى غارّاتي أي فكرة عما كان ماكفريز يتكلم. كان مطمئناً في حُبه لجانيس، ولم يشعر بالخجل من ذلك أبداً. راحا يجرّان قدميهما على الطريق. وكان غارّاتي قادراً على الشعور بكَعبه الأيمن يتمايل. ستسقط المسامير قريباً جداً، وسيرمي كعب الحذاء مثل جلد ميت. خلفهما، كان سكرام مصاباً بنوبة سعال. كانت المسيرة هي التي تزعج غارّاتي، وليس كل هذا الهراء الغريب عن الحب العاطفي.

"لكن لا علاقة لذلك بالقصة أبداً"، قال ماكفريز، كما لو أنه يقرأ أفكاره. "بشأن الندبة. كان ذلك في الصيف الماضي. أراد كلانا الابتعاد عن المنزل، الابتعاد عن أهلنا، والابتعاد عن رائحة روث الأبقار لكي تستطيع الرومانسية الرائعة أن تُزهِر بشكل جدي. لذا حصلنا على وظيفة في مَصنع بيجامات في نيوجرسي. ما رأيك بهذا يا غارّاتي؟ مَصنع بيجامات في نيوجرسي.

"استأجرنا شقتين منفصلتين في نيوارك. بلدة رائعة، نيوارك. يمكنك في يوم معيّن فيها أن تشمّ رائحة كل روث الأبقار التي في نيوجرسي. اعترض أهلنا قليلاً، لكن الشقتين المنفصلتين والوظيفتين الصيفيتين الجيدتين جعلهم لا يعترضون كثيراً. كنت أتشارك شقتي مع شابين آخرين، وكانت هناك ثلاث فتيات مع بريس. غادرنا في الثالث من يونيو في سيارتي، وتوقَّفنا مرةً عند حوالي الثالثة بعد الظهر في فندق رخيص وتخلَّصنا من مشكلة البتولية. شعَرتُ أنني محتال حقيقي. لم تكن تريد المجامعة حقاً، لكنها أرادت إرضائي. عندما انتهينا، رميتُ العازل في المرحاض، ونظّفتُ فمي بكوب

ورقي. كان كل شيء عاطفياً جداً، أثيريّاً جداً.

"ثم تابعنا طريقنا إلى نيوارك، وكنّا نشمّ رائحة روث الأبقار مقتنعَين جداً أنه روث أبقار مختلف. أوصلتُها إلى شقتها ثم ذهبتُ إلى شقتي. يوم الاثنين التالي، بدأنا عملينا في مَصنع بليموث لثياب النوم. لم يكن الأمر مشوّقاً مثلما ترى في الأفلام يا غارّاتي. كانت رائحة القماش الخام مقرفة، وكان المُشرف المسؤول عني وغداً، وكنا نتسلى خلال استراحة الغداء برمي خطّافات التحزيم على الجرذان تحت أكياس القماش. لكنني لم أكن أمانع كل شيء لأنني كنتُ عاشقاً. أترى؟ كان ذلك حباً".

بصَق بجفاف على التربة، وأخذ رشفة من قِربته، ثم صاح طالباً واحدة أخرى. كانوا يصعدون تلة طويلة الآن، وخرجت الكلمات منه في رشقات لاهثة.

"كانت بريس في الطابق الأول، وهي صالة العرض لكل السيّاح الحمقى الذين لم يكن لديهم أي شيء أفضل ليفعلوه من الذهاب في جولة سياحية في أرجاء المكان الذي يصنع ملابس نومهم. كان المكان الذي تعمل فيه بريس لطيفاً. جدران باستل جميلة، آلات عصرية لطيفة، مكيّفات هواء. كانت بريس تدرز الأزرار من السابعة حتى الثالثة. فقط تخيَّل أن هناك رجالاً في كل أنحاء البلاد يرتدون بيجامات درزت بريسيلا أزرارها. هذه فكرة تُدفئ أبرد قلب.

"كنتُ أعمل حمّالاً في الطابق الخامس. كانوا يصبغون القماش الخام في الطابق السفلي، ويرسلونه إلى الطابق الخامس في أنابيب هواء دافئ. يرنّون جرساً عندما تنتهي الدفعة بأكملها، فأفتح سلتي وأجد كومة كبيرة من الأقمشة، بكل ألوان قوس قزح. أُخرجها من هناك وأضعها في أكياس وزن الواحد منها مئة كيلوغرام، وأرفع الأكياس بسلسلة وأوضّبها في كدسة كبيرة لآلة التوزيع. فيفصلونها، وآلات النَسْج تنسجها، وشباب آخرون يقصّونها ويخيطونها إلى بيجامات، وفي الأسفل هناك في طابق الباستل الجميل الأول، تضع بريس الأزرار بينما السيّاح الأغبياء يراقبونها مع الفتيات الأخريات من خلال جدار زجاجي... تماماً مثل الأشخاص الذين يراقبوننا اليوم. هل كلامي واضح لك يا غارّاتي؟".

"الندبة"، ذكَّره غارّاتي.

"أستمر بنسيان ذكر هذا الجزء من الرواية، أليس كذلك؟". مسَح ماكفريز جبهته وفكَّ أزرار قميصه بينما صعِدوا التلة. كانت غابات تمتدّ أمامهم حتى أفق يعجّ بجبال تلتقي بالسماء مثل قطع لعبة البازل المتداخلة ببعضها. وعلى بُعد حوالي ستة عشر كيلومتراً، مختفياً تقريباً في الضباب الناتج عن الحرارة، كان هناك برج لرصد الحرائق في قلب كل ذلك الخضار. وكان الطريق يمرّ عبره مثل

ثعبان رمادي متحرّك.

"كانت السعادة تملأ حياتنا في البدء. جامعتُها ثلاث مرات أخرى، كلها في السيارة حيث كانت رائحة روث الأبقار تدخل عبر النافذة من المرعى المجاور. ولم أكن قادراً أبداً على إزالة كل القماش الفضفاض من شعري مهما غسلتُ شعري، وأسوأ شيء كان أنها بدأت تبتعد عني، بدأت تصبح أكبر مني؛ كنتُ أحبّها حقاً، كنتُ أعرِف ذلك ولم تكن هناك أي طريقة لأخبرها أكثر لكي تفهم. لم أتمكن حتى من زرع ذلك فيها عبر المجامعة. كانت هناك دائماً رائحة روث الأبقار.

"الأمر وما فيه يا غارّاتي أن الأجر في الـمَصنع كان على القطعة. وهذا يعني حصولنا على أجور رديئة. لم أكن حمّالاً جيداً جداً. كنتُ أنقل حوالي ثلاثة وعشرين كيساً في اليوم، لكن المعيار الاعتيادي كان حوالي ثلاثين كيساً. وهذا لم يكن يُعجب بقية الشباب، لأنني كنتُ أؤذيهم. لم يكن هارلان في قسم الصباغة في الأسفل قادراً على إنهاء كمية أكبر لأنني كنت أعرقل أنبوب هوائه الدافئ بسلال ممتلئة. ورالف في قسم التوزيع لم يكن قادراً على إنهاء كمية أكبر لأنني لم أكن أنقل ما يكفي من أكياس إليه. لم يكن ذلك لطيفاً. وتأكدوا من إفهامي أنه لم يكن لطيفاً. هل فهمتني؟".

"نعم"، قال غارّاتي. ومسَح ظهر يده على عنقه، ثم مسَح يده على بنطلونه، فتلطَّخ ببقعة داكنة.

"في غضون ذلك، في الأسفل في قسم درز الأزرار، كانت پريس مشغولة دائماً. فكانت تتكلم لساعات عن صديقاتها في بعض الليالي، وكان الحديث نفسه عادة. كم تجني هذه وتلك. والأهم، كم كانت تجني هي نفسها. وكانت تجني الكثير. لذا اكتشفتُ كم هو مسلٍ التنافس مع الفتاة التي تريد الزواج منها. كنتُ أعودِ إلى المنزل في نهاية الأسبوع ومعي شيكاً بقيمة 64.40$ وأضع بعض الغسول على بثوري. كانت تجني حوالي تسعين دولاراً في الأسبوع، وتدّخره سريعاً في البنك. وعندما اقترَحتُ عليها أن يدفع كل واحد منا ثمن طعامه في المطاعم، كانت ردّة فعلها كما لو أنني اقترحتُ عليها ارتكاب جريمة قتل.

"توقَفتُ عن مجامعتها بعد حين. أود أن أقول إنني توقَفتُ عن الاستلقاء في السرير معها، هذا لطيف أكثر، لكننا لم نستخدم أي سرير من قبل. لم أكن قادراً على أخذها إلى شقتي، فقد كان هناك عادة حوالي ستة عشر شاباً يشربون شراب الشعير، وكان هناك دائماً أشخاص في شقتها – هذا ما كانت تقوله، على أي حال – ولا يمكنني تحمّل نفقة استئجار غرفة فندق رخيص أخرى، ولم أكن سأقترح بالطبع أن نتقاسم نفقة ذلك، لذا اقتصر الأمر على المجامعة على المقعد الخلفي للسيارة.

وكان يمكنني الشعور أنها بدأت تشمئز من ذلك. وبما أنني كنتُ أعرِف ذلك وبما أنني بدأتُ أكرهها رغم أنني بقيتُ أحبّها، طلَبتُ يدها للزواج. عندها بالضبط بدأت تتملّص محاولةً المماطلة، لكنني أجبرتُها على إعطائي رداً صريحاً، إما نعم أو لا".

"وكان ردها لا".

"بالتأكيد كان لا. 'لا يمكننا تحمّل نفقاته يا پيت. ماذا ستقول أمي. علينا الانتظار يا پيت'. پيت هذا وپيت ذاك، وكل الوقت كان السبب الحقيقي مالها، المال الذي كانت تجنيه من درز الأزرار".

"حسناً، كان ظلماً لعيناً منك أن تطلب يدها للزواج".

"بالتأكيد كنتُ ظالماً!"، قال ماكفريز بحدّة. "كنتُ أعرف ذلك. أردتُ جعلها تشعر أنها حقيرة طمّاعة أنانية لأنها كانت تجعلني أشعر أنني فاشل".

تسلَّلت يده إلى الندبة.

"ما عدا أنها لم تكن مضطرة إلى جعلي أشعر أنني فاشل، لأنني كنتُ فاشلاً. لم يكن هناك أي شيء خاص يجري معي سوى مجامعتها، وكانت حتى ترفض ذلك ولا تجعلي أشعر كرجل".

زأرت البنادق خلفهما.

"أولسون؟"، سأل ماكفريز.

"لا. لا يزال في الخلف هناك".

"آه...".

"الندبة"، ذكَّره غارّاتي.

"آه، لماذا لا تدعها وشأنها؟".

"لقد أنقذت حياتي".

"تباً لك".

"الندبة".

"حصلت لي في عراك"، قال ماكفريز أخيراً، بعد صمت طويل. "مع رالف، الشاب الذي يعمل على آلة التوزيع. سوَّد لي عينيَّ وأخبرني أنه من الأفضل لي الرحيل وإلا فسيكسر لي ذراعيَّ أيضاً. أخبرتُ بريس تلك الليلة أنني سأستقيل. كان يمكنها رؤية شكلي. ففهِمت. قالت إن هذا أفضل على الأرجح. أخبرتها أنني عائد إلى المنزل وطلَبتُ منها أن تعود معي. فقالت إنه لا يمكنها. قلتُ إنها مجرد عبدة لأزرارها اللعينة وإنني أتمنى لو لم أتعرّف عليها أبداً. كان هناك مقدار كبير من السم في داخلي يا غارّاتي. أخبرتها أنها حقيرة ومغفَّلة وقاسية القلب ولا يمكنها رؤية أبعد من دفتر توفيرها المصرفي اللعين الذي تحمله دائماً في جزدانها. لا شيء قلتُه كان عادلاً، لكن... أظن أنه كانت هناك بعض الحقيقة فيه كله. يكفي. كنا في شقتها. كانت تلك أول مرة أذهب فيها إلى هناك عندما كانت كل زميلاتها في السكن في الخارج. كنَّ في السينما. حاوَلتُ أخذها إلى السرير فجرحت وجهي بفتّاحة رسائل. كانت فتّاحة رسائل حصلت عليها على سبيل المزاح من صديقة لها في إنكلترا. كان محفوراً عليها دب بادنغتون. جرحتني كما لو أنني كنتُ أحاول اغتصابها. كما لو أنني جرثومة وقد أصبتُها بالعدوى. هل فهمت قصدي يا راي؟".

"نعم، فهمتُ"، قال غارّاتي. كانت أمامهم سيارة عائلية طويلة بيضاء مُلصقة عليها كلمة صحافة مركونة على جنب الطريق. عندما اقتربوا منها، بدأ رجل أصلع يرتدي بذلة لامعة يصوّرهم بكاميرا كبيرة ذات بكرات. وضع كلٌ من بيرسون وأبراهام وجنسن يده اليسرى بين منفرج ساقيه ويده اليمنى على أنفه استهزاءً. فعلوا ذلك في لحظة واحدة مما جعل حركة التحدي الصغيرة هذه تُذهل غارّاتي.

"بكيتُ"، قال ماكفريز. "بكيتُ مثل طفل. ركعتُ على رُكبتَيَّ وأمسكتُ تنورتها وتوسَّلتها أن تسامحني، وكان كل الدم يسيل على الأرض، وكان المشهد مثيراً للإشمئزاز فعلاً يا غارّاتي. وضعت يدها على فمها وأسرعت إلى الحمام. تقيأت. كان يمكنني سماع تقيؤها. عندما ظَهَرت من جديد، كانت تُمسك منشفة لوجهي. قالت إنها لا تريد رؤيتي مرة أخرى أبداً. كانت تبكي. وسألتني لماذا فعلتُ ذلك بها، لماذا أذيتُها بتلك الطريقة. قالت إنه لا يحق لي فعل ذلك. اسمع يا راي، كنتُ أقف هناك بوجه مجروح جرحاً بليغاً وسألتني لماذا أذيتُها".

"نعم".

"غادرتُ والمنشفة لا تزال على وجهي. حصلتُ على اثنتي عشرة غُرزة، وهذه هي قصة الندبة الرائعة. ألستَ سعيداً؟".

"هل رأيتها مرة أخرى منذ ذلك الوقت؟".

"لا"، قال ماكفريز. "وليست لديَّ أي رغبة حقيقية برؤيتها. تبدو صغيرة جداً بالنسبة لي الآن، بعيدة جداً. پريس في هذه اللحظة من حياتي ليست سوى نقطة سوداء في الأفق. كانت معتوهة حقاً يا راي. شيءٌ... أمها، ربما، كانت أمها ثملة دائماً... شيءٌ جعلها مهووسة بموضوع المال. كانت بخيلة حقيقية. يقولون إن المسافة تعدِّل وجهة النظر. صباح البارحة كانت پريس لا تزال مهمة جداً لي. أما الآن فهي لا شيء. هذه القصة التي أخبرتُها إياها للتو، ظننتُ أنها ستُحزنني. لكنها لم تُحزنني. بالإضافة إلى ذلك، أشك إن كان لكل تلك البذاءة حقاً أي علاقة بسبب وجودي هنا. كانت مجرد عذر مفيد لي وقتها".

"ماذا تقصد؟".

"لماذا أنت هنا يا غارّاتي؟".

"لا أعرف". كان صوته ميكانيكياً، مثل دمية. لم يكن فريكي دالّيسيو قادراً على رؤية الكُرة قادمة نحوه – لم تكن عيناه سليمتين، وكان إدراكه بالعمق مشوّهاً – أصابته في جبهته، ودمغته بغُرَز. ولاحقاً (أو سابقاً... كل ماضيه أصبح مشوّشاً الآن) أصاب أعزّ أصدقائه في فمه بفوهة بندقية هوائية. ربما أصبحت لديه ندبة مثل ماكفريز. جيمي. كان وجيمي يلعبان لعبة الطبيب.

"لا تعرف"، قال ماكفريز. "أنت تُحتضَر هنا ولا تعرف السبب".

"هذا ليس مهماً بعد أن تموت".

"بلى، ربما"، قال ماكفريز، "لكن هناك شيء واحد كان عليك أن تعرفه يا راي، لكي لا يكون كل هذا بلا فائدة".

"وما هو؟".

"السبب. هل تقصد أن تقول إنك لم تعرف ذلك حقاً يا راي؟ لم تعرفه حقاً؟".

الفصل 9

"جيد جداً، أيها الشمالي الغربي، إليك الآن

سؤالك ذي النقاط العشرة بقذف قطعة معدنية".

– ألِن لُودن

البرنامج التلفزيوني College Bowl

عند الساعة الواحدة، أجرى غارّاتي جردة أخرى.

قطعوا مئة وخمسة وثمانين كيلومتراً. كانوا يبعدون سبعين كيلومتراً شمالي أولدتاون، ومئتَي كيلومتر شمالي أوغستا، عاصمة الولاية، ولا تزال أمامهم مئتان وأربعون كيلومتراً إلى فريبورت (أو أكثر... كان خائفاً جداً من وجود أكثر من أربعين كيلومتراً بين أوغستا وفريبورت)، ربما سيصلون إلى حدود نيو هامبشاير عند الثانية والنصف. وكان الخبر المتداول أن هذه المسيرة ستصل بالتأكيد حتى تلك المسافة.

لفترة طويلة – حوالي تسعين دقيقة – لم يحصل أي واحد منهم على بطاقة. بقوا يسيرون، ويستمعون إلى هتافات المتفرّجين، ويحدِّقون في كيلومترات رتيبة من الغابات الصنوبرية. اكتشَف غارّاتي وخزات ألم حديثة في ربلته اليسرى لتُضاف إلى الاهتزاز الخشبي المتواصل في رِجليه، وإلى العذاب المعتدل الذي كان تشكّله قدماه.

ثم عند الظهر تقريباً، ومع اشتداد حرارة اليوم نحو ذروتها، بدأت البنادق تُسمِعهم أصواتها مرة أخرى. أُصيب فتى يدعى ترسلر، 92، بضربة شمس وأُطلق عليه النار بعد أن سقط فاقداً الوعي.

وعانى فتى آخر من تشنّج ونال بطاقةً بينما كان يترنّح على الطريق، وراح يُحدث أصواتاً بشعة حول لسانه المبلوع. أُصيب آرونسون، 1، بتشنّج في قدميه وأُطلق عليه النار عند الخط الأبيض، واقفاً مثل تمثال، مُديراً وجهه نحو الشمس في تركيز مُجهِد للرقبة. وعند الواحدة إلا خمس دقائق، أُصيب فتى آخر لا يعرفه غارّاتي بضربة شمس.

من هنا دخَلتُ، فكّر غارّاتي في سرّه، وهو يتجاوز الشكل المرتعش على الطريق حيث كانت البنادق مصوَّبة، ويرى لمعان العرق في شعر الفتى المنهك والذي سيصبح في عداد الموتى قريباً. من هنا دخَلتُ، ألا يمكنني أن أغادر الآن؟

زأرت البنادق، وصفَّق قليلاً سربٌ صغيرٌ من فتيان ثانوية جالسين في الظل الضعيف لمخيّم كشّافة.

"أتمنى لو يأتي الرائد"، قال بايكر بنَزَق. "أريد رؤية الرائد".

"ماذا؟"، سأله أبراهام بصوت ميكانيكي. كان قد أصبح هزيلاً في الساعات القليلة الأخيرة. وغرقت عيناه أكثر في محجريهما. والمسحة الزرقاء للحية رقَّعت وجهه.

"لكي يتسنّى لي أن أبوِّل عليه"، قال بايكر.

"اهدأ"، قال غارّاتي. "فقط اهدأ". كانت كل تحذيراته الثلاثة قد زالت الآن.

"اهدأ أنت"، قال بايكر. "ولنرى ماذا سيحصل لك".

"ليس لديك الحق لتكره الرائد. فهو لم يُجبِرك".

" يُجبرني؟ يُجبرني؟ إنه يقتلني فحسب!".

"ومع ذلك لا –".

"اصمت"، قال بايكر باقتضاب، وصمَتَ غارّاتي. فَرَك قفا عنقه قليلاً وراح يحدِّق في السماء الزرقاء والبيضاء. كان ظله مشوَّهاً تقريباً تحت قدميه. رفع قِربته الثالثة لهذا اليوم وأفرغها.

قال بايكر: "آسف. لم أقصد بالتأكيد أن أصرخ. قدماي–".

"بالتأكيد"، قال غارّاتي.

"كلنا في هذا المأزق نفسه"، قال بايكر. "أشعر أحياناً أن هذا هو أسوأ جزء".

أغلق غارّاتي عينيه. كان نعساناً جداً.

"هل تعرف ما الذي أود فعله؟"، قال بيرسون. كان يسير بين غارّاتي وبايكر.

"تبوّل على الرائد"، قال غارّاتي. "الجميع يريدون التبويل على الرائد. عندما يأتي مرة أخرى، سننقضّ عليه كلنا ونرميه أرضاً ويفكّ كل واحد منا سحّاب سرواله ونُغرِقه في-".

"هذا ليس ما أريد فعله". كان بيرسون يسير مثل رجل في مراحل الوعي الأخيرة لثمالته. راح رأسه يستدير نصف دوائر على عنقه. وجفناه يقفزان إلى الأعلى والأسفل مثل ستائر نوافذ متشجنّة. "لا علاقة له بالرائد. أريد فقط دخول الحقل التالي والاستلقاء وإغلاق عينيَّ. أستلقي فقط على ظهري فوق سنابل القمح-".

"لا يزرعون قمحاً في ماين"، قال غارّاتي. "يزرعون قشّاً".

"فوق القشّ إذاً. واكتب قصيدة. بينما أخلد إلى النوم".

بحَث غارّاتي في حزام طعامه الجديد بارتباك، ولم يجد شيئاً في معظم جيوبه. عثر أخيراً على علبة رقائق بسكويت مملَّح وبدأ يلتهمها مع ماء. "أشعر كأنني منخل"، قال. "أشربه ويتسرَّب من بشرتي بعد دقيقتين فقط".

زأرت البنادق مرة أخرى، وسقط شكل آخر بقساوة، مثل عفريت علبة مُتعَب.

"خمثة وأدبعون"، قال سكرام وهو ينضم إليهم. "لا أظن أننا سنثل حتى إلى بوردلاند بهذه الثرعة".

"لا تبدو بصحة جيدة"، قال بيرسون، وربما كان هناك بعض التفاؤل الحذر في صوته.

"لحُثن حظي أن لديَّ بنية ثلبة"، قال سكرام بابتهاج. "أظن أنني سأُثاب بحمى الآن".

"يا إلهي، وكيف ستتمكن من الصمود؟"، سأل أبراهام، وكان هناك بعض القلق في صوته.

"أنا؟ هل تتكلم عني؟"، قال سكرام. "انظل إلى هذا! كيف يواثل السير؟ هذا ما أود معلفته!"، وأشار بإبهامه نحو أولسون.

لم يكن أولسون قد تكلَّم منذ ساعتين. ولم يلمس أحدث قِربه. توجَّهت نظرات شرهة نحو حزام طعامه، الذي لم يلمسه أيضاً. كانت عيناه الحزينتان تركِّزان أمامه بشكل مستقيم. وعلى وجهه لحية عمرها يومان، وبدا شاحباً. حتى شعره، المجعَّد في الخلف والمتدلّي على جبهته في الأمام، أضاف إلى الانطباع العام لشناعته. كانت شفتاه جافتين ومتقرّحتين. ولسانه متدلٍّ فوق شفته السفلى مثل ثعبان ميت على حافة كهف. كما اختفى تورّده الصحيّ، وأصبح رمادياً وسخاً الآن بعد أن تشبَّث به غبار الطريق.

إنه هناك، فكّر غارّاتي في سرّه، هذا أكيد. حيث قال ستابنز إننا سنذهب كلنا إذا بقينا على هذا المنوال لفترة طويلة كفاية. كم غاص داخل نفسه؟ أمتار؟ كيلومترات؟ سنوات ضوئية؟ كم غاص وكم بلغَ من ظلمة؟ وعاد إليه الجواب: غاص عميقاً جداً ليرى إلى الخارج. إنه يختبئ هناك في العتمة، والمكان عميق جداً ليرى إلى الخارج.

"أولسون؟"، قال بلطف. "أولسون؟".

لم يردّ أولسون. لا شيء كان يتحرّك سوى قدميه.

"أتمنى لو يُدخِل لسانه على الأقل"، همَس بيرسون بعصبية.

استمرت المسيرة.

تلاشت الغابة وكانوا يمرّون في مكان عريض آخر على الطريق. كانت الأرصفة تعجّ بمتفرّجين مبتهِجين. ولافتات غارّاتي هَيمنت مرة أخرى. ثم أطبقت عليهم الغابة مرة أخرى. لكن حتى الغابة لم تعد تستطيع إبعاد المتفرِّجين عنهم. كانوا بدأوا يصطفون كتفاً إلى كتف. الفتيات الجميلات في شورتات وحمّالات صدر. والفتيان في شورتات كرة سلة وقمصان بلا أكمام.

عطلة استجمام، فكّر غارّاتي في سرّه.

لم يعد قادراً على تمنّي عدم تواجده هنا؛ كان مُتعَباً وخَدِراً جداً لكي يستعيد الأحداث في ذاكرته. فما حصل قد حصل. ولا شيء في العالم سيغيِّره. قريباً كفاية، افترَض، سيصبح حتى التكلم مع الآخرين يتطلّب جهداً كبيراً. تمنّى لو يمكنه الاختباء داخل نفسه مثل فتى صغير حشر نفسه داخل سجادة، من دون أي هموم. ثم سيكون كل شيء أبسط بكثير.

تساءل كثيراً عما قاله ماكفريز. أنهم تعرّضوا كلهم للنصب والاحتيال. لكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً، أصرَّ لنفسه بعناد. أحدهم لم يتعرّض للنصب. بل كان أحدهم سينصب على جميع

الآخرين... أليس هذا صحيحاً؟

لعَق شفتيه وشرِب بعض الماء.

مرّوا بلافتة خضراء صغيرة أبلغتهم أن طريق ماين الرئيسي يبعُد سبعين كيلومتراً.

"هكذا إذاً"، قال دون أن يوجِّه كلامه لأي شخص بالتحديد. "سبعون كيلومتراً إلى أولدتاون".

لم يردّ أحدٌ وكان غارّاتي يفكّر بتخفيف سرعته ليعود إلى ماكفريز عندما وصلوا إلى تقاطع آخر وبدأت امرأةٌ تصرخ. كانت الجماهير مطوَّقة وتضغط بقوة على الحواجز ورجال الشرطة يحاولون إبعاد الجميع. راحوا يلوِّحون بأياديهم ولافتاتهم، وزجاجات غسول الإسمرار.

كانت المرأة الصارِخة ضخمة ومحمَرّة الوجه. رمت نفسها على أحد الحواجز العالية حتى الخصر، موقعةً إياه ومنتزعةً الكثير من شريط الحماية الأصفر الساطع بعده. ثم راحت تتعارك مع رجال الشرطة الذين حاولوا ردعها وتخمشهم وتصرخ بهم. كان رجال الشرطة يبذلون جهداً كبيراً معها.

أعرفها، فكّر غارّاتي في سرّه. ألا أعرفها؟

رباط الرأس الأزرق. العينان المحارِبتان اللامعتان. حتى الفستان البحري ذو الحاشية المعقوفة. كان كل شيء مألوفاً. أصبحت صرخات المرأة غير مترابطة. وتسبَّبت إحدى يديها بسيلان الدم على وجه أحد رجال الشرطة الذين يمسكون بها – الذي يحاولون الإمساك بها.

مرَّ غارّاتي على بُعد ثلاثة أمتار منها. عندها تذكّر أين رآها من قبل – كانت أم بيرسي، بالطبع. بيرسي الذي حاوَل أن يتسلَّل إلى الغابة وتسلَّل إلى العالم الآخر بدلاً من ذلك.

"أريد إبني!"، صاحت. "أريد إبني!".

هتف لها الحَشد بحماسة وبلا تحيّز. اقترب منها فتى صغير من الخلف وبصَق على رِجلها ثم فرّ هارباً.

جانيس، فكّر غارّاتي في سرّه. إنني أسير لك يا جانيس، تباً لكل هذا الهراء، أُقسِم بالله أنني آتٍ. لكن ماكفريز كان على حق. لأن جانيس لم ترده أن يأتي. فقد بكت وتوسَّلته أن يغيِّر رأيه. يمكنهما الانتظار، ولم تكن تريد أن تخسره، رجاءً يا راي، لا تكن مغفّلاً، المسيرة الطويلة ليست سوى جريمة قتل–

كانا يجلسان على مقعد بجانب منصة الفرقة الموسيقية. حصل ذلك منذ شهر، أبريل، وكان يحتضنها بذراعه. كانت تضع العطر الذي أهداها إياه في ذكرى ولادتها. وبدا أنه يُبرِز رائحتها السرية، رائحة داكنة، لحمية، مدوّخة. عليَّ الذهاب، قال لها. عليَّ ذلك، ألا تفهمين، عليَّ ذلك.

راي، أنت لا تفهم ما الذي تفعله. لا تذهب رجاءً. أنا أحبك.

حسناً، بدأ يفكّر الآن وهو يسير على الطريق، كانت محقّة في ذلك. بالتأكيد لم أكن أفهم ما الذي أفعله.

لكنني لا أفهمه حتى الآن. هذه هي النقطة اللعينة في المسألة. النقطة اللعينة البسيطة في المسألة.

"غارّاتي؟".

رفع رأسه، جافلاً. كان نصف نائم مرة أخرى. كان ماكفريز، يسير بجانبه.

"كيف تشعر؟".

"أشعر؟"، قال غارّاتي بحذر. "بخير، أظن. أظن أنني بخير".

"باركوفيتش ينهار"، قال ماكفريز بفرح هادئ. "أنا متأكد من ذلك. إنه يكلِّم نفسه. ويعرج".

"أنت تعرج أيضاً"، قال غارّاتي. "وكذلك بيرسون. وأنا أيضاً".

"قدماي تؤلمانني، هذا كل شيء. لكن باركوفيتش... يستمر بفَرْك رِجله. أظن أنه يعاني من شدّ عضليّ".

"لماذا تكرهه كثيراً؟ لماذا ليس كولي باركر؟ أو أولسون؟ أو كلنا؟".

"لأن باركوفيتش يعرف ما الذي يفعله".

"هل تعني أنه يلعب للفوز؟".

"لا تعرف ما الذي أعنيه يا راي".

"أتساءل إن كنت أنت بنفسك تعرف"، قال غارّاتي. "بالتأكيد أنه وغد. وربما هذا السباق يحتاج إلى وغد ليفوز فيه".

"هل الأخيار يحتلّون المراتب الأخيرة؟".

"وكيف يمكنني أن أعلم أيها اللعين؟".

مرّوا بمدرسة ذات غرفة واحدة ملبَّسة بألواح خشبية متراكبة. كان الأولاد يقفون في الملعب ملوِّحين بأياديهم. ووقف عدة فتيان فوق غابة القضبان الأفقية مثل حرّاس، وتذكَّر غارّاتي الرجال في مخزن الأخشاب سابقاً.

"غارّاتي!"، صاح أحدهم. "راي غارّاتي! غا–رّا–تي!". راح فتى صغير ذو شعر منكوش يقفز إلى الأعلى والأسفل على المستوى العلوي لغابة القضبان الأفقية، ويلوِّح بذراعيه. لوَّح له غارّاتي بفتور. تشقلب الفتى، وتدلّى رأساً على عقب من رِجليه، وتابَع يلوِّح. شعَر غارّاتي ببعض الارتياح عندما أصبح فناء المدرسة بعيداً عن الأنظار. كان هذا اللقاء الأخير مرهقاً قليلاً للتعامل معه لفترة طويلة.

انضم بيرسون إليهم. "كنتُ أفكّر".

"وفّر قوتك"، قال ماكفريز.

"ضعيف يا رجل. هذا ضعيف".

"بماذا كنتَ تفكّر؟"، سأل غارّاتي.

"كم سيكون الأمر صعباً للشاب ما قبل الأخير".

"لماذا سيكون صعباً؟"، سأل ماكفريز.

"حسناً...". فرَكَ بيرسون عينيه، ثم ركَّز نظره على شجرة صنوبر ضربها البرق في الماضي. "أن يسير وراء الجميع، الجميع كلياً ما عدا ذلك الشاب الأخير. يجب أن تكون هناك جائزة للفائز الثاني، هذا رأيي".

"ماذا؟"، سأل ماكفريز بشكل قاطع.

"لا أعرف".

"وماذا عن حياته؟"، سأل غارّاتي.

"مَن سيسير من أجل الفوز بذلك؟".

"لا أحد، ربما قبل بدء المسيرة. لكنني سأكون سعيداً جداً الآن بالحصول على ذلك فقط، وتباً للجائزة، تباً لتحقيق كل أحلامي. ماذا عنك؟".

فكَّر بيرسون لفترة طويلة. "أنا لا أرى المغزى من ذلك أبداً"، قال أخيراً، بنبرة اعتذارية.

"أَخبره يا پيت"، قال غارّاتي.

"ماذا أُخبره؟ إنه محقّ. الموزة كلها أو لا موزة أبداً".

"أنت مجنون"، قال غارّاتي، لكن من دون اقتناع كبير. كان يشعر بحرّ شديد وتعب كبير، وببداية صُداع في مؤخرة عينيه. ربما هكذا تبدأ ضربة الشمس، فكّر في سرّه. ربما هذه ستكون أفضل وسيلة، أيضاً. مجرد السقوط بحركة بطيئة حالِمة نصف واعية، والاستيقاظ ميتاً.

"بالتأكيد"، قال ماكفريز بلطف. "كلنا مجانين وإلا لما كنا هنا. اعتقَدتُ أننا توافَقنا على هذا منذ وقت طويل. نريد أن نموت يا راي. ألم تُدرك ذلك بعد في ذهنك الغليظ المريض؟ انظر إلى أولسون. جمجمة فوق عصا. قل لي إنه لا يريد أن يموت. لا يمكنك. المرتبة الثانية؟ هذا سيئ كفاية لدرجة أن أحدنا سيُخدَع ويُسرَق منه ما يريده حقاً".

"لا أعرف عن كل هذا التاريخ النفسي اللعين"، قال بيرسون أخيراً. "لا أظن فقط أن أي شخص يجب أن يفكّر في احتلال المرتبة الثانية".

انفجر غارّاتي ضاحكاً. "أنت معتوه"، قال.

ضحِك ماكفريز أيضاً. "الآن بدأت ترى الأمور من منظاري. انقع نفسك في الشمس أكثر، ودَع دماغك يُطهى قليلاً، وسنجعل منك نصيراً حقيقياً للقضية".

استمرت المسيرة.

بدت الشمس متأهِّبة بشكل أنيق على سطح العالم. وصلت درجة الحرارة إلى ستة وعشرين مئوية (كان أحد الفتيان يحمل ميزان حرارة جيب معه) وارتعَشت إلى حدود السبعة وعشرين لبضع دقائق. سبعة وعشرون، فكّر غارّاتي في سرّه. هذا ليس حرّاً كثيراً. ففي يوليو يقفز الزئبق عشر درجات صعوداً. سبعة وعشرون. إنها الحرارة الملائمة للجلوس في الفناء الخارجي تحت شجرة وتناول سلطة الدجاج مع الخس. سبعة وعشرون. إنها الحرارة الملائمة للقفز في أقرب قسم من النهر الملكي، يا

إلهي كم سيكون ذلك منعشاً. يكون الماء دافئاً في الأعلى، لكنه بارد في الأسفل عند مستوى القدمين، ويمكنك أن تشعر بالتيار يسحبك قليلاً فقط، وهناك حشرات ماصّة على الصخور، لكن يمكنك التقاطها إذا لم تكن جباناً. كل ذلك الماء، يغسل بشرتك، شعرك، منفرج ساقيك. ارتعَش لحمه الحار وهو يفكّر في ذلك. سبعة وعشرون. هذا ملائم لخلع الملابس والاستلقاء على الأرجوحة الشبكية في الفناء الخارجي مع كتاب جيد. وربما النوم قليلاً. في إحدى المرات سحَب جانيس معه إلى الأرجوحة الشبكية واستلقيا هناك معاً، يتأرجحان ويتبادلان القُبل إلى أن أصبح مستثاراً بالكامل. لم يبدُ أنها مانعت ذلك. سبعة وعشرون. يا للروعة، سبعة وعشرون درجة.

سبعة وعشرون. سبعة وعشرون. سبعة وعشرون. سبعة وعشرون. التكرار جعل المسألة سخيفة، وجعل السعادة تزول.

"لم أَشعُل أبداً بهذا الحّل في حياتي كلها"، قال سكرام من أنفه المسدود. كان وجهه العريض أحمر ويتصبَّب عرقاً، وقد خلع قميصه كاشفاً عن جذعه الأشعث. وكان العرق يسيل على كل جسده مثل جداول صغيرة في فصل الربيع.

"من الأفضل لك أن ترتدي قميصك"، قال بايكر. "ستبرُد عندما تبدأ الشمس بالغروب. ثم ستعاني حقاً".

"نزلة البلْد اللعينة هذه"، قال سكرام. "إنني أحتلق".

"سوف تُمطِر"، قال بايكر وهو يتفحَّص السماء الفارغة. "عليها أن تُمطِر".

"ليس عليها أن تفعل أي شيء لعين"، قال كولي باركر. "لم أر في حياتي كلها ولاية لعينة كهذه".

"إذا كانت لا تعجبك، لماذا لا تعود إلى المنزل؟"، سأل غارّاتي، وقهقه بحماقة.

"اللعنة عليك".

أجبَر غارّاتي نفسه أن يشرب قليلاً من القِربة. لم يرغب أن يُصاب بتشنّجات الماء. فهذه ستكون طريقة لعينة لشرائه بطاقته. لقد أُصيب بها مرةً في الماضي، والمرة الواحدة أكثر من كافية. كان يساعد جيرانهم الملاصِقين، آل ألوَل، في إدخال قشّهم. كان الجو حاراً جداً في مخزن الغلال في حظيرة آل ألوَل، وكانوا ينقلون الرزم الكبيرة ذات الثلاثين كيلوغراماً بالتناوب. ارتكب غارّاتي الخطأ

التكتيكي بشرب مقدار ثلاثة أكواب من إبريق الماء المُثلِج الذي أحضرته السيدة ألوَل. فشعَر فجأة بألم مُبرح في صدره وبطنه ورأسه، وانزلق على بعض القش غير المثبّت بإحكام وسقط من مخزن الغلال إلى الشاحنة. أمسكه السيد ألوَل من خصره بيديه الخشنتين بينما تقيأ فوق جانب الشاحنة، وهو يشعر بضعف وخجل. أرسلوه إلى منزله، فتىً أخفقَ في أحد أوائل اختبارات رجولته، مصاباً بطفح جلدي على ذراعيه وشعره مليء بالقش. عاد إلى المنزل سيراً على الأقدام، وراحت الشمس تلفح قفا عنقه المحترق مثل مطرقة ثقيلة.

راح يرتعش بتشنّج، وشعر ببعض البرد. وأشعرَه الصُداع الذي يطرقه خلف عينيه بالغثيان... كم سيكون سهلاً التوقف عن الكفاح.

نظر نحو أولسون. كان أولسون هناك. ولسانه يتحوَّل إلى اللون الأسود. ووجهه قذر. وعيناه تحدَّقان في الفراغ. لستُ مثله. يا إلهي، لا تجعلني أصبح مثله. رجاءً، لا أريد أن أنطفئ مثل أولسون.

"هذا سيُتعبنا ويُضعفنا"، قال بايكر باكتئاب. "لن نتمكن من الوصول إلى نيو هامبشاير. أنا واثق من هذا".

"هطلَ مطر مُثلِج منذ سنتين"، قال أبراهام. "وقد تخطوا الحدود. أربعة منهم، على أي حال".

"أجل، لكن الحر يختلف"، قال جنسن. "عندما تشعر بالبرد، يمكنك أن تسير بشكل أسرع فتدفأ. لكن عندما تشعر بالحرّ، يمكنك أن تسير بشكل أبطأ... ويتم تجليدك. ماذا يمكنك أن تفعل؟".

"هذا ليس عدلاً"، قال كولي باركر بغضب. "لماذا لا يُقيمون هذه المسيرة اللعينة في إيلينوي، حيث الأرض مسطَّحة؟".

"أفضّل باين"، قال سكرام. "لماذا تشتم كثيلاً يا بالكر؟".

"ولماذا عليك أن تُخرِج هذا الكمّ الكبير من المخاط من أنفك؟"، سأل باركر. "لأن هذه طبيعتي. ألديك أي اعتراض؟".

نَظَر غارّاتي إلى ساعته، لكنها كانت قد توقفت عند 10:16. فقد نسيَ تعبئتها. "أي شخص يعرف الوقت؟ فقد توقفت ساعتي"، سأل.

"دعني أرى". حدَّق بيرسون في ساعته. "إنها الثانية ودقيقتين". ورفع نظره إلى السماء. "لن

تغيب هذه الشمس قبل فترة طويلة".

كانت الشمس تقف بحقد عند حدود الغابة. لم تكن زاويتها كافية بعد لتُلقي الطريق في الظل، ولن يحصل ذلك قبل ساعة أو ساعتين. بعيداً جداً إلى الجنوب، اعتقَد غارّاتي أنه يرى لطخات أرجوانية قد تكون طلائع رعد أو فقط تفكير بالتمني.

كان أبراهام وكولي باركر يناقشان مزايا المكربنات الرباعية الأسطوانات بلا حيوية. لا أحد آخر بدا راغباً كثيراً بالتكلّم، لذا تحرّك غارّاتي بمفرده إلى الجانب البعيد للطريق، ملوِّحاً بين الحين والآخر لأحدهم، لكن دون الاكتراث بشكل خاص.

لم يعد السائرون منتشرين بالقدر الذي كانوا عليه في السابق. فقد أصبحت مجموعة الطليعة على مرأى من الجميع: فتَيان طويلان مسمَرّان يربطان سترتين جلديتين سوداوين حول خصريهما. كان الخبر يقول إنهما منجذبان لبعضهما البعض، لكن غارّاتي صدَّق ذلك مثلما صدَّق أن القمر عبارة عن قالب جبنة خضراء. لم يبدُوا متأنّثَين، بل بدَوا شابَين لطيفَين كفاية... افترَض أنه ليس لأحد هذين الأمرين أي علاقة بما إذا كانا منجذبين إلى بعضهما أم لا. وبالطبع لم تكن هذه المسألة تخصّه بأي طريقة حتى ولو كانا منجذبين إلى بعضهما. لكن...

كان باركوفيتش يسير خلف فتيَي الجلد، وماكفريز خلفه يحدِّق باهتمام في ظهره. كانت قبعة المطر الصفراء لا تزال متدلّية من جيب باركوفيتش الخلفي، ولم يبدُ لغارّاتي أنه كان ينهار. في الواقع، شعَر ببعض الانزعاج أن ماكفريز هو الشخص الذي بدا مُرهَقاً.

خلف ماكفريز وباركوفيتش كانت مجموعة فضفاضة من سبعة أو ثمانية فتيان، من النوع العشوائي الذي يبدو أنه يتشكَّل مرة تلو الأخرى خلال المسيرة، فينضم إليها أعضاء جدد وينفصل عنها أعضاء سابقون. وخلفها كانت هناك مجموعة أصغر، وخلفها كانت مجموعة سكرام وبيرسون وبايكر وأبراهام وباركر وجنسن. مجموعته. كان هناك آخرون معهم قرب البداية، والآن بالكاد يستطيع تذكّر أسماءهم.

كانت هناك مجموعتان خلف مجموعته، وبعض المنعزِلين المبعثرين هنا وهناك مثل فلفل في الملح. كان قلّة منهم، مثل أولسون، منطوين على أنفسهم ومتخشِّبين. أما الآخرون، مثل ستابنز، فبدوا أنهم يفضِّلون الوحدة بحقّ. وهناك نظرة خوف على وجوههم كلهم تقريباً. أصبح غارّاتي يعرف تلك النظرة جيداً.

انخفضت البنادق عن الأكتاف وصُوِّبَت نحو أحد المنعزِلين الذي كان ينظر إليه، وهو فتى قصير بدين يرتدي سترة حريرية خضراء مهلهلة. بدا لغارّاتي أنه نال تحذيره الأخير منذ نصف ساعة. ألقى نظرة سريعة مرتعبة على البنادق وزاد سرعته. ففقدَت البنادق اهتمامها المُرعِب فيه، على الأقل في الوقت الحاضر.

شعَر غارّاتي بارتفاع مفاجئ لا يمكن فهمه في المعنويات. لا يجب أن يكونوا بعيدين أكثر من خمسة وستين كيلومتراً عن أولدتاون وعن الحضارة – إذا أردتَ اعتبار مطحنة ومَصنع وبلدة قوارب كَنُو حضارةً. سيصلونها في وقت متأخر هذه الليلة، ويصبحون على الطريق الرئيسي. سيكون السير على الطريق الرئيسي سهلاً بالمقارنة مع هذا. يمكنك أن تسير على الطريق الرئيسي على الجزء الوسطيّ العشبيّ خالعاً حذاءك لو أردت. والشعور بالندى البارد. يا إلهي كم سيكون ذلك رائعاً. مسحَ حاجبه بساعده. ربما سيتحسَّن الوضع إلى الأفضل في النهاية. كانت اللطخات الأرجوانية أقرب قليلاً، وكانت طلائع رعد بالتأكيد.

أطلقت البنادق النار ولم يجفل حتى. كان الفتى ذو السترة الحريرية الخضراء قد اشترى بطاقته، وكان يحدِّق في الشمس. حتى الموت لم يكن بهذا السوء، ربما. وكل شخص، حتى الرائد نفسه، سيواجهه عاجلاً أم آجلاً. لذا مَن كان يغشّ مَن، عندما تدقّ ساعة الحقيقة؟ حفَظ في ذاكرته أن يذكر ذلك لماكفريز عندما يتكلَّمان في المرة القادمة.

زاد سرعته قليلاً وقرَّر أن يلوِّح للفتاة الجميلة التالية التي يراها. لكن قبل أن تكون هناك فتاة جميلة، كان هناك الرجل الإيطالي الصغير.

كان رجلاً إيطالياً كاريكاتورياً، شاباً صغيراً ذا قبعة لبّاد مهلهلة وشارباً أسود مقوَّسة أطرافه إلى الأعلى. كان يقف بجانب سيارة عائلية طويلة قديمة مفتوح بابها الخلفي، ويلوِّح ويبتسم بأسنان بيضاء مربّعة بشكل لا يُصدَّق.

كانت هناك حصيرة عازلة في أسفل مقصورة البضائع في السيارة العائلية الطويلة تكوَّمت عليها تلة صغيرة من الجليد المسحوق، وناتئة منها عشرات أوتاد البطيخ الأحمر مثل ابتسامات نعناع زهرية عريضة.

شعَر غارّاتي بمعدته تنقلب مرتين، تماماً مثل غطّاس يتشقلب من علو مرتفع. وكانت هناك لافتة فوق السيارة العائلية الطويلة تقول: دوم لانتيو يحبّ كل المشاركين في المسيرة الطويلة – بطيخ أحمر مجاني!!!

هروَل بعض السائرين، من بينهم أبراهام وكولي باركر، نحو حافة الطريق. فحُذِّروا جميعاً. كانوا يسيرون أسرع من ستة كيلومترات ونصف في الساعة، لكنهم كانوا يفعلون ذلك في الاتجاه الخاطئ. رآهم دوم لانتيو قادمين وضحِك - بصوت بلّوري، مبتهج، غير معقَّد. صفَّق بيديه، وأدخلهما في الثلج، وأخرجهما ممتلئتين بقطع بطيخ أحمر مبتسمة. شعَر غارّاتي بلعابه يسيل اشتهاءً. لكنهم لن يسمحوا له، فكّر في سرّه. تماماً مثلما لم يسمحوا لصاحب المتجر بإعطائهم مياهاً غازيةً. ثم: لكن يا إلهي، كم مذاقها لذيذ. هل سيكون كثيراً أن يكونوا بطيئين قليلاً بتوزيع التحذيرات هذه المرة؟ ومن أين حصل على البطيخ الأحمر في هذا الوقت من السنة، على أي حال؟

تجمهَرَ المشاركون في المسيرة الطويلة خارج حبال الحدود، وغمرت سعادة مجنونة الحَشد الصغير المتحلّق حول دوم، وتم توزيع تحذيرات ثانية، وظهر ثلاثة من رجال شرطة الولاية فجأة ليقيّدوا دوم، الذي صاح بصوت صاخب وواضح:

"ماذا تقصدون؟ ماذا تقصدون أنه لا يحق لي؟ هذا البطيخ الأحمر ملكي، أيها الشرطيون المغفّلون! أريد توزيعه، أريد توزيعه، مهلاً! ما مشكلتكم؟ اغربوا عن وجهي، أيها السفلة!".

أمسك أحد رجال الشرطة قطع البطيخ الأحمر التي كان دوم يحملها في يديه. وأغلق شرطي آخر باب مقصورة البضائع.

"أيها الأوغاد!"، صَرَخ غارّاتي بكل قوته. وانتشر زعيقه في اليوم الساطع مثل رمح زجاجي، ونظر أحد رجال الشرطة حوله، جافلاً و... حسناً، ذليلاً تقريباً.

"أيها السفلة!"، زعَق غارّاتي فيهم. "أتمنى لو أن أمهاتكم لم تلدكم أيها الحقيرون النتِنون!".

"لا تتساهل معهم يا غارّاتي!"، صاح شخص آخر، وكان باركوفيتش، مبتسماً كما لو أن فمه مليء بمسامير وراح يهزّ قبضتيه لرجال الشرطة. "لا تتساهل-".

لكن الجميع كان يصرخ الآن، ولم يكن رجال الشرطة من جنود المسيرة الطويلة الذين اختيروا بعناية من الفِرق الوطنية. كانت وجوههم حمراء ومُحرَجة، ومع ذلك كانوا يدفعون دوم ويديه الممتلئتين بعيداً عن جوانب الطريق بعنف.

دوم إما نسي إنكليزيته أو تخلّى عنها. فبدأ يصيح الشتائم بالإيطالية. وراح الحَشد يُطلق صيحات استهجان تجاه رجال شرطة الولاية. ورمت امرأة ترتدي قبعة شمسية من القش المرن راديو ترانزستور على أحدهم، فأصابته في رأسه وأوقعت له قبعته. شعَر غارّاتي بالأسف للشرطي لكنه تابَع شتمهم. بدا ذلك خارجاً عن إرادته. فلم يظن أن أحداً يستخدم الكلمة "حقيرون" خارج الكتب.

تماماً مثلما بدا أن دوم لانتيو سيُبعَد عن أنظارهم إلى الأبد، تملَّص الإيطالي الصغير من قبضات الشرطة وركض نحوهم، وراح الحَشد يتفرَّق ويعيد الإطباق على نفسه محاولاً صدّ الشرطة عنه. رمى أحد رجال الشرطة عصا معرقِلة نحوه، فارتطمت برُكَبته، وأوقعته أرضاً. في آخر لحظات توازنه، تمكَّن دوم من رمي قطع بطيخه المبتسمة في الهواء.

"دوم لانتيو يحبّكم كلكم!"، صاح.

ابتهَج الحَشد بطريقة هستيرية. وحطَّ دوم بقوة على التراب، وتم تكبيل يديه خلف ظهره بلمح البصر. طارت شرحات البطيخ الأحمر في الهواء الساطع، وضحِك غارّاتي بصوت عالٍ ورفع يديه ولوَّح بقبضتيه بأسلوب انتصاريّ وهو يرى أبراهام يلتقط أحدها برشاقة.

نال آخرون تحذيراً ثالثاً لتوقفهم لالتقاط قُطع البطيخ الأحمر، لكن المدهش أن النار لم يُطلَق على أحد وخمسة – لا، ستة، حسبما رأى غارّاتي – من الفتيان انتهى بهم المطاف حاملين قطع بطيخ أحمر. والباقون هتفوا لأولئك الذين تمكنوا من الحصول على بعضها، أو شتموا الجنود الذين كانت وجوههم مكدَّرة الآن.

"أحب الجميع!"، صاح أبراهام. كان وجهه المبتسم ملطخاً بعصير البطيخ الأحمر. وبصَق ثلاث بذور بنية في الهواء.

"تباً"، قال كولي باركر بسعادة. "تباً، تباً لي إن لم أكن كذلك". وغاص بوجهه في قطعة البطيخ الأحمر يأكلها بنهم كبير، ثم قسَم قطعته إلى نصفين. ورمى نصفاً إلى غارّاتي، الذي كاد يوقعها من المفاجأة. "خذ هذه أيها الأخرق!"، صاح كولي. "لا تقل أبداً إنني لم أعطك شيئاً، أيها الوغد اللعين!".

ضحِك غارّاتي. "اللعنة عليك"، قال. كان البطيخ الأحمر بارداً، بارداً. ودخل بعض العصير في أنفه، وسال البعض الآخر على ذقنه، وفي حنجرته مُحدثاً شعوراً لذيذاً.

سمح لنفسه أن يأكل نصفها فقط. "بيت!"، صاح، وقذف بقية القطعة إليه.

التقَطها ماكفريز بحركة خلفية بارعة، مُظهراً البراعة التي يتميَّز بها لاعبو البيسبول في الكلية و، ربما، الدوري الرئيسي. ابتسم لغارّاتي وأكل قطعة البطيخ.

نظر غارّاتي من حوله وشَعَر بفرح عارم يغمره، يجعله يريد الركض في دوائر على يديه. حصل الجميع تقريباً على قطعة بطيخ، حتى ولو كانت مجرد قطعة صغيرة فيها بعض البذور.

ستابنز، كالعادة، كان استثناءً. فقد كان ينظر إلى الطريق. ولم يكن هناك شيء في يديه، ولا ابتسامة على وجهه.

تباً له، فكّر غارّاتي في سرّه. لكن ومع ذلك أحسّ بغصّة صغيرة في قلبه. شَعَر بثقل في قدميه مرة أخرى. وعرِف أن السبب لم يكن أن ستابنز لم يحصل على أي بطيخ. أو أن ستابنز لم يرغب بأي بطيخ. بل لأن ستابنز لم يحتج إلى أي بطيخ.

2:30 بعد الظهر. ساروا مئة وخمسة وتسعين كيلومتراً. اقتربت منهم طلائع الرعد. وهبَّ نسيم بارد، مُثلِجاً بشرةِ غارّاتي الحارة. ستُمطر مرة أخرى، فكّر في سرّه. جيد.

كان الناس عند جوانب الطريق يلفّون البطانيات، ويلتقطون فتات الورق المتطاير، ويوضّبون أغراضهم في سلال نزهاتهم. ضربتهم العاصفة بكسل، وهبطت الحرارة بسرعة وشعَروا فجأة كما لو أنهم في فصل الخريف. زرَّر غارّاتي قميصه بسرعة.

"ها هي آتية مرة أخرى"، أخبر سكرام. "الأفضل أن ترتدي قميصك".

"هل تمزح؟"، ابتسم سكرام. "هذا أفضل شعور لي طوال اليوم!".

"ستكون منعشة!"، صاح باركر بمرح.

كانوا فوق نَجْد مائل تدريجياً، وبإمكانهم رؤية المطر ينهمر على الغابة التي أمامهم تحت طلائع الرعد الأرجوانية. ومباشرةً فوقهم، تحوَّلت السماء إلى صفراء بائسة. سماء إعصار، فكّر غارّاتي في سرّه. ألن يكون ذلك ذروة الأحداث. ماذا سيفعلون إذا ضرب إعصارٌ الطريق وحملهم في الهواء في سحابة أتربة، وجعل أحذيتهم وبذور البطيخ الأحمر تتطاير يميناً ويساراً؟

ضحِك. انتزعت الرياح الضحكة من فمه.

"ماكفريز!".

مال ماكفريز ليقترب منه. كان ملتوياً في الرياح، وملابسه ملتصقة بجسمه وترفرف خلفه. وجَعَله شعره الأسود وندبته البيضاء المحفورة على وجهه المسمَرّ يبدو مثل قبطان بحر مجنون قليلاً منفرِج الساقين على جسر سفينته.

"ماذا؟"، صاح.

"هل هناك بند في القوانين بشأن تدخّل الطبيعة؟".

فكَّر ماكفريز قليلاً. "لا، لا أظن ذلك". بدأ يزرِّر سترته.

"ماذا يحصل إذا أصابنا البرق؟".

رمى ماكفريز رأسه إلى الخلف وقهقه. "سنموت!".

نخَر غارّاتي وابتعَد. كان بعض الآخرين ينظرون إلى السماء بقلق. لن يكون هذا دُشاً صغيراً، من النوع الذي برَّدهم بعد حرارة البارحة. ما الذي قاله باركر؟ منعشة. نعم، ستكون عاصفة منعشة حقاً.

مرَّت قبعة بيسبول متشقلبة بين رِجليه، ورفع غارّاتي نظره ليرى فتى صغيراً ينظر إليها بحنين. أمسَكها سكرام وحاوَل إعادتها إلى الولد، لكن الرياح قذفتها في قوس كبير وانتهت عالقة على شجرة.

دوّى الرعد. ولاح برقٌ أبيض وأرجواني في الأفق. وزفيف الرياح المريح في أشجار الصنوبر أصبح صوت مئة شبح مجنون يصيح ويصفر.

زأرت البنادق، وكاد صوتها الخفيف يضيع في الرعد والرياح. أدار غارّاتي رأسه، متوجّساً أن يكون أولسون قد اشترى رصاصته أخيراً. لكن أولسون كان لا يزال هناك، وملابسه المتأرجحة تكشف مدى السرعة المدهشة التي ذاب بها الوزن عنه. كان أولسون قد أضاع سترته في مكان ما؛ وكانت الذراعان الناتئتان من كُمَّي قميصه قصيرتين ونحيلتين مثل أقلام الرصاص.

كان يجري سحب شخص آخر. كان وجهه صغيراً ومنهكاً وميتاً جداً بشعره الخفّاق.

"إذا كانت الرياح خلفية، يمكننا أن نصل إلى أولدتاون عند الرابعة والنصف!"، قال باركوفيتش بمرح. كان قد ضغط قبعة مطره بقوة فوق أذنيه، وبدا وجهه الحاد فرِحاً ومخبولاً. فهِم غارّاتي فجأة. ذكَّر نفسه بأن يُخبر ماكفريز. كان باركوفيتش مجنوناً.

بعد بضع دقائق، هدأت الرياح فجأة. وتضاءل الرعد إلى سلسلة تمتمات عميقة. وعادت الحرارة إليهم بشكل دَبِق ولا يُطاق تقريباً بعد البرودة المريحة للرياح.

"ماذا حصل لها؟"، نهَق كولي باركر. "غارّاتي! هل هذه الولاية اللعينة حقيرة في العواصف المطيرة أيضاً؟".

"أعتقد أنك ستحصل على ما تريده"، قال غارّاتي. "لكنني لا أعرف إذا كنت ستريده عندما تحصل عليه".

"رائع! ريموند! ريموند غارّاتي!".

رفع غارّاتي رأسه إلى الأعلى. للحظة مريعة ظنَّ أنها أمه، وتراقص شكل بيرسي أمام عينيه. لكنها كانت مجرد مسنّة حلوة الوجه تختلس النظر إليه من تحت مجلة فوغ كانت تستخدمها للاحتماء من المطر.

"حقيبة قديمة"، تمتم آرت بايكر بصوت خافت.

"تبدو حلوة كفاية بالنسبة لي. هل تعرفها؟".

"أعرف صنفها"، قال بايكر بحقد. "تبدو تماماً مثل عمّتي هاتي. كانت تحبّ حضور الجنازات، والاستماع إلى البكاء والعويل بنفس هذه الابتسامة".

"إنها على الأرجح والدة الرائد"، قال غارّاتي. كان من المفترَض أن يكون ذلك مضحكاً، لكنه بدا سخيفاً. بدا وجه بايكر شاحباً تحت الضوء الخافت في السماء المندفعة.

"كان لدى عمّتي هاتي تسعة أولاد. تسعة يا غارّاتي. وقد دفنت أربعة منهم بنفس تلك النظرة. فلذات كبدها. بعض الأشخاص يحبّون رؤية أشخاص آخرين يموتون. لا يمكنني فهم ذلك، هل يمكنك أنت؟".

"لا"، قال غارّاتي. كان بايكر يضايقه. بدأ الرعد يدحرج عرباته في السماء مرة أخرى. "عمّتك هاتي، هل هي ميتة الآن؟".

"لا". رفع بايكر نظره إلى السماء. "إنها في المنزل. على الأرجح على كرسيها الهزّاز على الشرفة الأمامية. لم يعد بإمكانها السير كثيراً. فتمضي وقتها في الجلوس على الكرسي الهزّاز والاستماع إلى نشرات الأخبار على الراديو. والابتسام كلما سمعت الأرقام الجديدة". فرَك بايكر مرفقَيه براحتَي يديه. "هل رأيت يوماً قطةً تأكل أولادها الصغار يا غارّاتي؟".

لم يردّ غارّاتي. كان هناك توتّر كهربائي في الهواء الآن، شيء من العاصفة وقف متأهِّباً فوقهم، وشيء آخر لم يتمكن غارّاتي من فهمه. عندما طرفت عيناه، شَعَر أنه رأى عينَي فريكي دالّيسيو الخارجتين عن السيطرة تنظران إليه من العتمة.

قال لبايكر أخيراً: "هل كل شخص في عائلتك يدرس كل شيء ممكن عن الموت؟".

ابتسم بايكر بشحوب. "حسناً، كنت أفكِّر بالذهاب إلى مدرسة تعلّم مهنة دفن الموتى بعد عدة سنوات. وظيفة جيدة. فالحانوتيون لا يتوقفون عن العمل حتى في حالات الانهيار الاقتصادي".

"وأنا لطالما فكَّرتُ بأن أعمل في مجال تصنيع المباوِل"، قال غارّاتي. "أوقِّع عقوداً مع دُور السينما وصالات البولينغ وما شابه. نجاح مؤكَّد. كم عدد مَصانع المباوِل الموجودة في البلاد؟".

"لا أعتقد أنني لا أزال أريد أن أكون حانوتيّاً"، قال بايكر. "لكن هذا لا يهمّ".

لمعَ برق هائل في السماء. وتبعه دويّ رعد يصمّ الآذان. واشتدّت الرياح كثيراً. وتسارعت السُحُب في السماء مثل سُفن قراصنة مخبولة في بحر هائج.

"ها هي قادمة"، قال غارّاتي. "ها هي قادمة يا آرت".

"يقول البعض إنهم لا يهتمون"، قال بايكر فجأة. "'شيء بسيط، هذا كل ما أريده عندما أغادر يا دون'. هذا ما يقولونه له. عمّي. لكن معظمهم يهتمون بتفاصيل كثيرة. هذا ما كان يقوله لي دائماً. يقولون له، 'يكفيني صندوق من الصنوبر'. لكن ينتهي بهم الأمر في الحصول على صندوق كبير... مصنوع من رصاص إذا كان يمكنهم تحمّل كلفته. حتى إن الكثير منهم يكتبون رقم الطراز في وصياتهم".

"لماذا؟"، سأل غارّاتي.

"في بلدتي، معظم الناس يريدون أن يُدفنوا في أضرحة. فوق الأرض. لا يريدون أن يكونوا تحت الأرض لأن مستوى المياه الجوفية مرتفع جداً هناك. والأشياء تُتلف بسرعة في الرطوبة. لكن إذا دُفنتَ فوق الأرض، عليك القلق من الجرذان. جرذان لويزيانا الضخمين. جرذان المقابر. سيقضمون صناديق الصنوبر بلمح البصر".

لفحتهم الرياح بأيدي غير مرئية. تمنّى غارّاتي ألا تتوقف العاصفة. كانت أشبه بزوبعة مجنونة. ومهما يكن الشخص الذي تتكلَّم معه، سيعود الحديث إلى هذا الموضوع اللعين مرة أخرى.

"سأكون غبياً لو فعلتُ ذلك"، قال غارّاتي. "أن أبذّر حوالي ألف وخمسمئة دولار لمجرد إبعاد الجرذان بعد أن أكون قد مُت".

"لا أعرف"، قال بايكر. كانت عيناه نصف مغلقتين، نعستين. "تذهب نحو الأجزاء الناعمة،

هذا ما يُشغل بالي. يمكنني رؤيتها تحفر حفرة في تابوتي، ثم تجعلها أكبر، وتدخل عبرها أخيراً. وتنقضّ على عينيَّ مباشرة كما لو أنهما حبتا عنّاب. سيأكل جرذٌ عينيَّ ثم سأصبح جزءاً منه. أليس كذلك؟".

"لا أعرف"، قال غارّاتي بصوت بائس.

"لا شكراً. سآخذ التابوت المصنوع من الرصاص. كل مرة".

"رغم أنك ستحتاج إليه لمرة واحدة فقط في الواقع"، قال غارّاتي مع قهقهة صغيرة مذعورة.

"هذا صحيح"، وافَق بايكر بوقار.

لمعَ البرقِ مرة أخرى، بلون زهري تقريباً تركَ الهواء يعبق برائحة الأوزون. بعد لحظة، ضربتهم العاصفة مرة أخرى. لكنه لم يكن مطراً هذه المرة. كان بَرَداً.

في غضون خمس ثوانٍ، انهمرت عليهم حبّات بَرَد بحجم حصى صغيرة. صرَخ عدد من الفتيان، وحمى غارّاتي عينيه بإحدى يديه. اشتدّت الرياح وأصبحت تزعق. وراحت حبّات البَرَد ترتدّ وتتحطَّم على الطريق، وترتطم بالوجوه والأجسام.

راح جنسن يركض في دائرة واسعة متشتّتة، مغطياً عينيه، وقدماه مرتبكتان وتتعثران ببعضهما البعض، في ذعر تام. تخطى أخيراً حافة الطريق، وأطلق جنود العربة نصف المجنزَرة نصف مخازن رصاصاتهم على ستارة البَرَد المتموّجة قبل أن يستطيعوا التأكد من إصابته. وداعاً يا جنسن، فكّر غارّاتي في سرّه. هذا مؤسف يا رجل.

ثم بدأ المطر ينهمر بين البَرَد، غامراً التلة التي كانوا يتسلَّقونها، مُذيباً البَرَد المبعثر حول أقدامهم. أصابتهم موجة أخرى من الأحجار، ومزيداً من المطر، وموجة بَرَد أخرى، ثم بدأ المطر ينهمر بشكل هادئ، يرافقه دويّ رعد صاخب بين الحين والآخر.

"تباً!"، صاح باركر وهو يقترب من غارّاتي. كان وجهه مغطى بلطخات حمراء، وبدا مثل جرذ غارِق. "غارّاتي، هذا بلا شك–".

"–أجل، أكثر ولاية لعينة بين الولايات الإحدى والخمسين"، قال غارّاتي مُكملاً له جملته. "اذهب وانقع رأسك".

رمى باركر رأسه إلى الخلف، وفتح فمه، وترك المطر البارد يبلّل لسانه. "أنا أفعل ذلك،

اللعنة، أنا أفعل ذلك!".

لوى غارّاتي نفسه في الرياح ولحِق بماكفريز. "ما رأيك بهذا؟"، سأله.

أمسَك ماكفريز بنفسه وارتعش. "لا يمكنك الفوز. أتمنى الآن لو تُشرق الشمس".

"لن يطول هذا كثيراً"، قال غارّاتي، لكنه كان مخطئاً. فقد كانت لا تزال تُمطر بعد الساعة الرابعة.

الفصل 10

"هل تعرف لماذا يسمّونني الكونت؟

لأنني أحب أن أعدّ! ها-ها-ها".

- الكونت
افتح يا سمسم

لم يكن هناك غروب بينما ساروا نحو ليلتهم الثانية على الطريق. تحوَّلت العاصفة المطيرة إلى رذاذ خفيف قارس عند حوالي الرابعة والنصف. واستمرّ الرذاذ بالهطول إلى حوالي الساعة الثامنة. ثم بدأت السُحُب تنقشع وظهرت نجوم ساطعة ترتجف ببرودة.

تقوقع غارّاتي داخل ملابسه الرطبة ولم يحتج إلى مذيع نشرة الطقس ليعرف اتجاه هبوب الرياح. لقد سحَب الربيع المتقلّب الدفء المعتدل الذي رافقهم حتى هذه المسافة من تحتهم مثل سجادة قديمة.

ربما ستوفّر الحشود بعض الدفء. حرارة إشعاعية، أو شيء من هذا القبيل. كان الناس المصطفّون على الطريق يزدادون أكثر فأكثر. وقد التصقوا ببعضهم البعض للمحافظة على الدفء، لكنهم كانوا غير مُظهِرين لمشاعرهم. راقَبوا السائرين يمرّون ثم عادوا إلى منازلهم أو أسرعوا إلى الموقع المتميّز التالي. إذا كانت الحشود تبحث عن دم، فلم تحصل على الكثير منه. فقد فقدوا شخصين فقط منذ جنسن، وكلاهما فتيان صغيران في السن ماتا مُغمى عليهما بكل بساطة. هذا يضعهم عند النصف تماماً. لا... أكثر من النصف حقاً. زال خمسون، ولا يزال هناك تسعة وأربعون.

كان غارّاتي يسير لوحده. كان بردانا جداً لكي يكون نعساناً. وكانت شفتاه تضغطان على بعضهما البعض لإبقاء الارتعاش بعيداً عنهما. كان أولسون لا يزال في الخلف هناك؛ ودارت

مشارطات فاترة بأن أولسون سيكون الشخص الخمسين الذي يستحصل على بطاقة، الفتى في منتصف الطريق. لكنه لم يفعل ذلك. فذلك الشرف ذهب إلى 13، روجر فينوم. الفتى المنحوس حامل الرقم 13. كان غارّاتي بدأ يشعر أن أولسون سيصمد إلى ما لا نهاية. ربما إلى أن يموت متضوّراً جوعاً. كان قد أقفل على نفسه بأمان في مكان أبعد من الألم. افترَض بطريقة أو بأخرى أنها ستكون عدالة شاعرية لو فاز أولسون. يمكنه رؤية عناوين الصحف: المسيرة الطويلة فاز بها شخص ميت!

كانت أصابع قدمَي غارّاتي خَدِرة. راح يحفّها على البطانات الداخلية الممزَّقة لحذائه ولم يكن يستطيع أن يشعر بأي شيء. لم يكن الألم الحقيقي في أصابع قدميه الآن. بل كان في قوسَي قدميه. ألم حاد يغزّه في ربلتيه كلما خطا خطوة. هذا جَعَله يتذكّر قصة خيالية قرأتها له أمه عندما كان صغيراً عن حورية أرادت أن تصبح امرأة. لكن كان لديها ذيل، فأخبرتها جنيّة طيبة القلب أو أحدهم أنه يمكن أن تصبح لديها رِجلان إذا كانت رغبتها بذلك ماسّة جداً. ستكون كل خطوة تخطوها على الأرض الجافة أشبه بالسير على سكاكين، لكن يمكنها أن تحصل على رِجلين إذا كانت تريدهما، فقالت نعم، موافقة، وهذه هي المسيرة الطويلة. باختصار -".

"تحذير! تحذير لـ 47!".

"أسمعك"، صاح غارّاتي بفظاظة، وزاد سرعته.

كانت الغابة أنحف. وأصبح الجزء الشمالي الحقيقي للولاية خلفهم. كانوا قد قطعوا بلدتين سكنيتين بهدوء، والطريق يخترقهما بالطول والأرصفة تعجّ بأشخاص كانوا مجرد ظلال تحت أعمدة الإنارة المنتشرة تحت الرذاذ. لا أحد هتف لهم كثيراً. افترَض أن السبب هو برودة الجو الكبيرة. كان الجو بارداً جداً ومظلماً جداً، ويا إلهي لديه تحذير آخر الآن عليه أن يسير جيداً ليتخلّص منه، ولا شيء آخر مزعج بهذا المقدار الكبير.

كانت قدماه تتباطآن مرة أخرى، وراح يُجبر نفسه على رفعهما عن الأرض. في مكان ما بعيد جداً أمامهم قال باركوفيتش شيئاً وتبِعه بضحكة قصيرة من ضحكاته البغيضة. كان يمكنه سماع ردّ ماكفريز بوضوح: "اصمت أيها القاتل". فقال باركوفيتش لماكفريز أن يذهب إلى الجحيم، وبدا منزعجاً جداً الآن من المسألة بأكملها. ابتسم غارّاتي بفتور في العتمة.

كان قد تراجع تقريباً إلى مؤخرة الصف وأدرك على مضض أنه بدأ يقترب من ستابنز مرة أخرى. كان هناك شيءٌ في ستابنز يفتنه. لكنه قرَّر أنه غير مهتم جداً باكتشاف ذلك الشيء. لقد حان الوقت للتوقف عن التساؤل عن الأشياء. فلم يكن هناك مكسب من ذلك. بل كان مجرد أمر مزعج

آخر.

رأى سهماً ضيائياً ضخماً أمامهم في العتمة. كان يتوهَّج مثل عيون شريرة. فجأة بدأت فرقة نحاسية تعزف. فرقة كبيرة إلى حد ما، بناءً على الصوت. وصدحت هتافات صاخبة. كان الهواء مليئاً بأجزاء تتطاير في الهواء، وظنَّ غارّاتي للحظة مجنونة أن الثلج يتساقط. لكنه لم يكن ثلجاً. بل كان قصاصات ورقية ملوَّنة. كانوا يغيّرون الطرقات. والطريق القديم يلتقي بالطريق الجديد عند زاوية قائمة، وكانت هناك لافتة رئيسية أخرى في ماين تُعلن أن أولدتاون تبعُد الآن خمسة وعشرين كيلومتراً فقط. شعَر غارّاتي ببعض الحماسة، وربما حتى ببعض الفخر. فهو يعرِف الدرب بعد أولدتاون. ويمكنه أن يرسمه على راحة يده مغمضاً عينيه.

"ربما هذا لصالحك. لا أظن ذلك، لكن ربما يكون كذلك".

جفل غارّاتي. كان الأمر كما لو أن ستابنز استرق النظر إلى ذهنه وقرأ له أفكاره.

"ماذا؟".

"إنها بلدتك، أليس كذلك؟".

"ليس هنا. لم أذهب أبداً أبعد من شمالي غرينبوش في حياتي، ما عدا عندما قدنا سيارتنا إلى العلامة. ولم نسلك هذه الطريق". ترَكوا الفرقة النحاسية خلفهم، بأبواقها ومزاميرها التي تتلألأ في الليل الرطب.

"لكننا سنمرّ في مسقط رأسك، أليس كذلك؟".

"لا، لكن عند مسافة قريبة منه".

نخر ستابنز. فأخفَض غارّاتي نظره نحو قدمَي ستابنز وتفاجأ من رؤية أنه خلع حذاء كرة المضرب وأصبح يرتدي حذاءً جلدياً ليّن المظهر من دون كعب. وقد ثنى حذاءه داخل قميصه القطني الرقيق.

"إنني أوفّر حذاء كرة المضرب"، قال ستابنز، "فقط في حال. لكنني أظن أن هذا الحذاء الجلدي سيُنهي السباق".

"آه".

مرّوا ببرج إذاعي يقف هزيلاً في حقل فارغ. وكان هناك ضوء أحمر يتذبذب بشكل دوري عند رأسه مثل نبضات القلب.

"تتطلّع لرؤية أحبائك؟".

"نعم"، قال غارّاتي.

"وماذا يحصل بعد ذلك؟".

"يحصل؟"، هزَّ غارّاتي كتفيه. "أواصل السير على الطريق، أظن. إلا إذا كنتَ مُراعياً لشعور الآخرين بما يكفي لتشتري بطاقتك وقتها".

"آه، لا أظن ذلك"، قال ستابنز، مبتسماً عن بُعد. "هل أنت متأكد أن سباقك لن ينتهي؟ بعد رؤيتهم؟".

"لستُ متأكداً من أي شيء يا رجل"، قال غارّاتي. "لم أكن أعرف الكثير عندما بدأتُ، وأنا أعرف أقل الآن".

"تعتقد أن لديك فرصة للفوز؟".

"لا أعرف هذا أيضاً. حتى إنني لا أعرف لماذا أكبّد نفسي عناء التكلم معك. هذا يشبه التكلم مع الهواء".

على مسافة بعيدة أمامهما، دوّت صفارات إنذار الشرطة في الليل.

"اقتحم أحدهم الطريق في الأمام حيث عدد رجال الشرطة أقل"، قال ستابنز. "بدأ السكان يفقدون صبرهم يا غارّاتي. فكِّر فقط بكل الأشخاص الذين يفسحون لك المجال لكي تمرّ".

"ولك أيضاً".

"أنا أيضاً"، وافَق ستابنز، ثم لم يقل أي شيء لفترة طويلة. راحت ياقة قميصه القطني الرقيق ترفرف بطريقة بلهاء عند عنقه. "مدهش كيف يدير العقل الجسم"، قال أخيراً. "مدهش كيف يمكنه السيطرة عليه وفرض أمور عليه. يمكن أن تسير سيدة المنزل العادية ما يصل إلى خمسة وعشرين كيلومتراً في اليوم، من البرّاد إلى لوحة كيّ الملابس إلى حبل الغسيل. وهي جاهزة لترفع قدميها في نهاية اليوم لكنها لن تكون منهكة. وقد يسير البائع الجوّال على البيوت لعشرين كيلومتراً. وقد يسير

طالب المدرسة في حصة تدريب كرة القدم أربعين إلى خمسة وأربعين كيلومتراً... هذا في يوم واحد من النهوض عند الصباح حتى الخلود إلى النوم ليلاً. كلهم يتعبون، لكن لا أحد منهم يصبح منهكاً".

"نعم".

"لكن لنفترض أنك قلت لسيدة المنزل: يجب أن تسيري اليوم خمسة وعشرين كيلومتراً قبل أن يمكنك تناول عشائك".

أومأ غارّاتي برأسه. "ستكون منهكة بدلاً من مُتعَبة".

لم يقل ستابنز شيئاً. وشَعَر غارّاتي أن أمل ستابنز خاب منه.

"حسناً... ألن تكون كذلك؟".

"ألا تظن أنها ستقطع الكيلومترات الخمسة والعشرين عند الظهر لكي تتمكن من خلع حذائها وتمضية فترة بعد الظهر في مشاهدة التلفزيون؟ أنا أظن ذلك. هل أنت مُتعَب يا غارّاتي؟".

"نعم"، قال غارّاتي بعد قليل. "أنا مُتعَب".

"مُنهَك؟".

"حسناً، أوشكتُ على أن أصبح مُنهَكاً".

"لا، لم تصبح مُنهَكاً بعد يا غارّاتي". أشار بإبهامه إلى خيال أولسون. "هذا هو الإنهاك. يكاد ينتهي الآن".

راح غارّاتي يراقب أولسون، منبهراً، وكاد يتوقع انهياره فور تلفّظ ستابنز بكلمته. "ماذا تقصد أن تقول؟".

"اسأل صديقك آرت بايكر. البغل لا يحبّ أن يحرث. لكنه يحبّ الجزَر. لذا نضع جزرة أمام عينيه. البغل من دون جزرة يصبح منهكاً. أما البغل مع جزرة فيمضي وقتاً طويلاً مُتعَباً فقط. هل فهمتَ؟".

"لا".

ابتسم ستابنز مرة أخرى. "ستفهم. راقب أولسون. لقد فَقَد شهيته للجزرة. لكنه لا يعرف ذلك

بعد. راقب أولسون يا غارّاتي. يمكنك أن تتعلم منه".

نَظَر غارّاتي إلى ستابنز عن كثب، غير متأكد كم عليه أن يأخذ كلامه على محمل الجدّ. ضحِك ستابنز بصوت عالٍ. كانت ضحكته غنية وزاخرة – صوتها أجفلَ بقية السائرين وجعلهم يديرون رؤوسهم. "اذهب وتكلّم معه يا غارّاتي. وإذا لم يتكلم، اقترب منه أكثر والقِ نظرة جيدة عليه. فرصة التعلّم لا تفوت أبداً".

بلَع غارّاتي ريقه. "هل تقول إنه درس مهم جداً؟".

توقَّف ستابنز عن الضحك. وأمسك معصم غارّاتي بقوة. "ربما أهم درس ستتعلّمه في حياتك. سر الحياة على الموت. اختزل هذه المعادلة وستتمكن من تقبُّل فكرة الموت يا غارّاتي. يمكنك تمضية حياتك كأنك مدمن شراب".

أفلَت ستابنز يده. فدلَّك غارّاتي معصمه ببطء. بدا أن ستابنز صَرَف النظر عنه مرة أخرى. سار غارّاتي بعيداً عنه بعصبية، وتوجَّه نحو أولسون.

شَعَر غارّاتي أنه منجذب نحو أولسون على سلك غير مرئي. اقترب منه من زاوية الساعة الرابعة. حاوَل أن يفهم وجه أولسون.

مرةً، منذ وقت طويل، بقي مستيقظاً طوال الليل خائفاً من فيلم بطله – مَن؟ كان روبرت ميتشوم، أليس كذلك؟ كان يلعب دور رجل دين جنوبي شرس كان قاتلاً قهريّاً أيضاً. في خياله، بدا أولسون مشابهاً له قليلاً الآن. فقد بدا أن طوله ازداد مع انخفاض وزنه. وأصبحت بشرته متقشِّرة من التجفاف. وعيناه غرقتا في محجريهما المجوَّفين. وشعره يتطاير بلا هدف على جمجمته مثل شعيرات ذرة تحرّكها الرياح.

لماذا، إنه مجرد روبوت، لا شيء سوى رجل آلي، حقاً. هل يُعقَل أن لا يزال هناك أولسونٌ ما مختبئاً في الداخل؟ لا. لقد زال. أنا متأكد جداً أن أولسون الذي جلسَ على العشب وراح يمزح عن الولد الذي تجمَّد عند خط الانطلاق واشترى بطاقته هناك مباشرة، أن ذلك الأولسون زال. هذا شيء ميت مصنوع من الطين.

"أولسون؟"، همَس.

بقي أولسون يسير. كان منزلاً مسكوناً متثاقل الحركة يمشي على رِجلين. لوَّث أولسون نفسه.

كانت رائحته سيئة.

"أولسون، هل يمكنك أن تتكلم؟".

استمرّ أولسون يندفع إلى الأمام. وقد تحوَّل وجهه إلى العتمة، وكان يتحرّك، نعم كان يتحرّك. هناك شيء يجري في الداخل، شيء لا يزال يعمل، لكن–

شيء، نعم، كان هناك شيء، لكن ماذا؟

صعِدوا تلة أخرى. أصبحت الأنفاس أقصر وأقصر في رئتَي غارّاتي إلى أن راح يلهث مثل كلب. وارتفعت أبخرة صغيرة جداً من ملابسه الرطبة. كان هناك نهر تحتهم، يقبع في الظلمة مثل أفعى فضية. تذكّر ستلْووتر. ستلْووتر تمرّ بالقرب من أولدتاون. علت بضعة هتافات فاترة. وفي الأمام أكثر، عند الجهة البعيدة للمنعطف الحاد للنهر (ربما كان بينوبسكوت، في النهاية)، كانت هناك مجموعة أضواء. أولدتاون. ومجموعة أضواء أصغر على الجهة الأخرى ستكون ميلفورد وبرادلي. أولدتاون. لقد نجحوا في الوصول إلى أولدتاون.

"أولسون"، قال. "هذه أولدتاون. هذه الأضواء هي أولدتاون. سنصل إلى هناك يا صديقي".

لم يردّ أولسون. ويمكنه الآن تذكّر ما كان يفوته ملاحظته ولم يكن شيئاً حيوياً في النهاية. فقط أن أولسون ذكَّره بالهولندي الطائر، الذي تابع الإبحار دون انقطاع بعد زوال كامل أفراد الطاقم.

نزلوا تلة طويلة مسرعين، ومرّوا على طريق متعرّج، وعبروا جسراً يمتدّ، وفق اللافتة، فوق ميدوو برُوك. كانت هناك لافتة "شاحنات الطرقات الشديدة الانحدار تستخدم سرعات بطيئة" أخرى على الجانب البعيد لذلك الجسر. وصدرت تأوهات عن بعض السائرين.

كانت تلة شديدة الانحدار بالفعل. وبدت أنها ترتفع فوقهم مثل مزلقة. لم تكن طويلة؛ كان يمكنهم رؤية قمّتها حتى في الظلمة. لكنها كانت مرهقة حقاً. مرهقة كثيراً.

بدأوا الصعود.

حنى غارّاتي جسمه بشكل متوازٍ مع المنحدر، وشَعَر أنه بدأ يفقد سيطرته على تنفسه كلياً. سألهث مثل كلب عند القمة، فكَّر في سرّه... ثم فكَّر، إذا وصلتُ إلى القمة. كان هناك احتجاج قوي يزداد في رِجليه. بدأ في فخذيه وراح ينتشر نزولاً. كانت رِجلاه تصرخان عليه بأنهما لن تقوما بهذا العمل اللعين بعد الآن.

لكنكما ستقومان به، أخبرهما غارّاتي. وإلا ستموتان.

لا يهمّنا، أجابته رِجلاه. لا يهمّنا إذا متنا، متنا، متنا.

بدت عضلاته ترتخي، تذوب مثل هلام تُرِكَ في الشمس الحارة. وارتعَشت بعجز تقريباً. ارتعَشت مثل دمى يُتحكَّم بها بشكل سيئ.

راحت التحذيرات تصدر يميناً ويساراً، وأدرَك غارّاتي أنه سيحصل على واحد قريباً جداً. أبقى عينيه مركَّزتين على أولسون، مُجبراً نفسه على مطابقة سرعته في السير. سينجحان معاً في بلوغ قمة هذه التلة القاتلة، ثم سيجعل أولسون يخبره سره. ثم سيصبح كل شيء على ما يرام ولن يضطر إلى القلق بشأن ستابنز أو ماكفريز أو جانيس أو أبيه، لا، ولا حتى فريكي دالّيسيو الذي تناثر رأسه على جدار حجري بجانب الطريق العام رقم 1 مثل نقطة غراء كبيرة.

كم بقي أمامه، ثلاثون متراً؟ خمسة عشر؟ كم؟

كان يلهث الآن.

دوَّت الطلقات النارية الأولى. وصدرَ صراخ حاد أسكتته طلقات نارية أخرى. وسمعوا طلقة نارية إضافية عند حافة التلة. لم يتمكن غارّاتي من رؤية شيء في الظلمة. وكانت نبضاته المعذَّبة تطرق صدغيه. وجَد أنه لا يكترث البتّة مَن اشترى بطاقته هذه المرة. لا يهمّ. فقط الألم مهم، الألم الحاد في رِجليه ورئتيه.

دارت التلة، وتسطَّحت، ودارت أكثر عند المنحدر الهابط. كانت الجهة البعيدة منحدِرةٍ بلطف، مثالية لالتقاط الأنفاس. لكن ذلك الشعور الهلاميّ في عضلاته لم يرغب أن يفارقه. ستنهار رجلاي، فكَّر غارّاتي بهدوء. لن توصلاني إلى فريبورت أبداً. لا أعتقد أنه يمكنني بلوغ أولدتاون. أظن أنني أُحتضَر.

بدأ صوتٌ يشقّ طريقه في الليل ثم، أصبح همجياً مزعجاً. كان صوتاً، كان عدة أصوات، وكان يكرِّر الشيء نفسه مراراً وتكراراً:

غارّاتي! غارّاتي! غارّاتي! غارّاتي! غارّاتي!

كان صوت غامض أو صوت أبيه، وعلى وشك أن يقطع رِجليه من تحته قبل أن يتمكّن من كشف السر، السر، السر –

مثل الرعد: غارّاتي! غارّاتي! غارّاتي!

لم يكن صوتاً غامضاً أو صوت أبيه. كان صوت جميع أفراد الهيئة الطلابية في ثانوية أولدتاون يغنّون إسمه في تناغم موحَّد. وعندما لمحَوا وجهه الأبيض المرهَق، تحوَّل الصراخ المتواصل المصمّ للآذان إلى هتافات صاخبة. راحت المشجِّعات يلوِّحن بشُرّابات. والفتيان يصفِّرون بصوت حاد ويقبِّلون حبيباتهم. لوَّح لهم غارّاتي، وابتسم، وأومأ برأسه، وتسلَّل مقترباً من أولسون ببراعة.

"أولسون"، همَس. "أولسون".

قد تكون عينا أولسون قد رمشتا قليلاً. شرارة حياة مثل إدارة مفتاح تشغيل قديم في سيارة خردة لمرة واحدة.

"أخبرني كيف يا أولسون"، همَس. "أخبرني ماذا عليَّ أن أفعل".

كان فتيان وفتيات الثانوية (هل ذهبتُ مرةً واحدةً إلى الثانوية؟ تساءل غارّاتي، هل كان ذلك حلماً؟) خلفهما الآن، ولا يزالون يهتفون بغبطة.

تحرّكت عينا أولسون بتشنّج في محجريهما، كما لو أنها بقيت صدئة لمدة طويلة وتحتاج إلى تزييت. سقط فمه مفتوحاً مُحدثاً طقّة مسموعة تقريباً.

"هيا، هيا"، همَس غارّاتي بتلهّف. "تكلَّم. تكلَّم معي يا أولسون. أخبرني. أخبرني".

"آه"، قال أولسون. "آه. آه".

اقترب منه غارّاتي أكثر. ووَضَع يداً على كتف أولسون وانحنى نحو كتلة شريرة من العرق ورائحة الفم الكريهة والبول.

"رجاءً"، قال غارّاتي. "ابذل جهدك".

"حد. عد. عدن. حديقة عدن–".

"حديقة عدن"، كرَّر غارّاتي بارتياب. "ماذا بشأن حديقة عدن يا أولسون؟".

"إنها مليئة. ب.. الأعشاب الضارة"، قال أولسون بحزن. وارتدّ رأسه على صدره. "لا".

لم يقل غارّاتي شيئاً. لا يمكنه ذلك. كانوا يصعدون تلة أخرى الآن وراح يلهث مرة أخرى. لم

تبدُ أنفاس أولسون منقطعة أبداً.

"لا. أريد. أن أموت"، قال أولسون مُنهياً جملته.

تركَّزت عينا غارّاتي على الأطلال المظلَّلة التي كانت وجه أولسون. استدار أولسون نحوه بصرير.

"آه؟"، رفع أولسون رأسه المتدلي ببطء. "غا. غا. غارّاتي؟".

"نعم، هذا أنا".

"كم الساعة الآن؟".

كان غارّاتي قد عبّأ ساعته وأعاد ضبطها سابقاً. الله وحده يعلم السبب. "إنها التاسعة والربع".

"لا. لا. أكثر من ذلك؟". وغمرَ وجه أولسون العجوز المحطَّم تعبير تفاجؤ طفيف.

"أولسون–". هزَّ كتف أولسون بلطف وبدأ كل جسم أولسون يرتعش، مثل لافتة في رياح عاتية. "ماذا تقصد؟". وقهقه غارّاتي بجنون فجأة. "ماذا تقصد يا ألفي؟".

نَظَر أولسون إلى غارّاتي بفطنة محسوبة.

"غارّاتي"، همَس. كانت رائحة أنفاسه مثل رائحة المجاري.

"ماذا؟".

"كم الساعة الآن؟".

"تباً!"، صاح به غارّاتي. أدار رأسه بسرعة، لكن ستابنز كان يحدِّق في الطريق. وإذا كان يضحك على غارّاتي، فقد كان الظلام شديداً لكي يرى ذلك.

"غارّاتي؟".

"ماذا؟"، قال غارّاتي بهدوء أكثر.

"الله سينقذك".

ارتفع رأس أولسون إلى الأقصى. وبدأ يسير خارج حدود الطريق. كان يسير نحو العربة

نصف المجنزَرة.

"تحذير. تحذير ل. 70!".

لم يُبطئ أولسون أبداً. كان هناك وقار هدّام فيه. هدأت تمتمات الحَشد. وراحوا يراقبون بعيون مُبرِّقة.

لم يتردد أولسون أبداً. وَصَل إلى حافة الطريق ووَضَع يديه على جانب العربة نصف المجنزَرة. وبدأ يتسلّقها بجهد.

"أولسون!"، صاح أبراهام جافلاً. "مهلاً، هذا هانك أولسون!".

صوَّب الجنود بنادقهم في تناغم مثالي. وأمسَك أولسون فوهة أقرب بندقية وانتزعها من يدَي الجندي كما لو أنها عود بوظة. وقعت قرب الحَشد مُحدثة قرقعةً. فتراجعوا عنها صارِخين، كما لو أنها أفعى.

عندها انطلقت إحدى البنادق الثلاثة الأخرى. رأى غارّاتي الوميض الخارج من فوهتها بوضوح تام. ورأى التموّج المتشنِّج لقميص أولسون عند دخول الرصاصة بطنه ثم خروجها من ظهره.

لم يتوقف أولسون. بل وصل إلى أعلى العربة نصف المجنزَرة وأمسَك فوهة البندقية التي أطلقت النار عليه للتو. رفعها في الهواء بينما أطلقت النار مرة أخرى.

"اقض عليهم!"، كان ماكفريز يصرخ بقوة من الأمام. "اقض عليهم يا أولسون! اقتلهم! اقتلهم!".

زأرت البندقيتان الأخريان في انسجام، وأدّت الرصاصات ذات العيار الثقيل إلى إيقاع أولسون عن العربة نصف المجنزَرة. حطَّ على ظهره منفرِج الذراعين والساقين. كان أحد جانبَي بطنه ممزَّقاً وأسود اللون. أُطلقت عليه ثلاث رصاصات أخرى. كان الجندي الذي نزع منه أولسون بندقيته قد أخذ بندقية أخرى (بسهولة) من داخل العربة نصف المجنزَرة.

جلس أولسون ووَضَع يديه على بطنه وراح يحدِّق بهدوء في الجنود المتأهِّبين على سطح المركبة. راح الجنود يحدِّقون فيه بدورهم.

"أيها الأوغاد!"، قال ماكفريز وهو يبكي. "أيها السفلة!".

بدأ أولسون ينهض. فأعادته موجة أخرى من الرصاصات منطبحاً على الأرض مرة أخرى.

سُمع صوتٌ الآن من خلف غارّاتي. لم يضطر إلى أن يدير رأسه ليعرف أنه ستابنز. كان ستابنز يضحك بصوتٍ خافتٍ.

جلس أولسون مرة أخرى. كانت البنادق لا تزال مصوَّبة نحوه، لكن الجنود لم يطلقوا النار. بل بدت الحشرية على وجوههم.

ببطء، وبشكل تأمليّ، وقف أولسون على قدميه، واضعاً يديه على بطنه. بدا أنه يشمّ الهواء ليحدِّد الاتجاه، استدار ببطء في اتجاه المسيرة، وبدأ يسير مترنّحاً.

"أرِحوه من عذابه!"، صَرَخ صوت أجش بنبرة مصدومة. "بحق الله، أرِحوه من عذابه!".

كانت الأفاعي الزرقاء لأمعاء أولسون تنزلق من بين أصابعه ببطء. وسقطت مثل سلسلة نقانق بين ساقيه، حيث راحت تلوح بمُجون. فتوقَّف، وانحنى كما لو أنه يريد استردادها (استردادها، فكَّر غارّاتي في سرّه ببعض الذهول والرعب)، وتقيأ كمية كبيرة من الدم وعُصارة المرارة. بدأ يسير مرة أخرى، منحنياً. كان وجهه هادئاً.

"يا إلهي"، قال أبراهام، واستدار إلى غارّاتي واضعاً يديه فوق فمه. كان وجه أبراهام أبيض، وعيناه منتفختين ومضطربتين من الرعب. "يا إلهي يا راي. يا له من منظر مقرف!". وتقيأ أبراهام، ملوِّثاً أصابعه.

حسناً، لقد رمى آبي العجوز كعكاته، فكَّر غارّاتي بذهن شارد. هذه ليست الطريقة السليمة لاتباع النصيحة 13 يا آبي.

"لقد أخرجوا له أحشاءه"، قال ستابنز من خلف غارّاتي. "سيفعلون ذلك. هذا مقصود. لكي يخيفوا أي شخص آخر يحاول تسلّق العربة".

"ابتعد عني"، هسهَس غارّاتي. "وإلا سأطرحك أرضاً!".

تراجع ستابنز إلى الخلف بسرعة.

"تحذير! تحذير لـ 88!".

وصلت بقايا ضحكة ستابنز إلى مسامعه.

سقط أولسون على رُكبتيه. وتدلّى رأسه بين ذراعيه اللتين كانتا مسنودتين على الطريق.

زأرت إحدى البنادق، وارتطمت الرصاصة بالأسفلت بجانب يد أولسون اليسرى وأكملت طريقها. بدأ ينهض ببطء، بتثاقل، على قدميه مرة أخرى. إنهم يتسلّون به، فكّر غارّاتي في سرّه. لا شك أن كل هذه المسيرة مُضجرة جداً لهم، لذا يتسلّون بأولسون. هل أولسون ممتع يا شباب؟ هل يسلّيكم أولسون؟

بدأ غارّاتي يبكي. ركَض نحو أولسون وركع بجانبه وضمَّ الوجه الحار والمُتعَب على صدره. راح يبكي في الشعر الجاف ذي الرائحة الكريهة.

"تحذير! تحذير لـ 47!".

"تحذير! تحذير لـ 61!".

كان ماكفريز يشدّه. كان ماكفريز مرة أخرى. "انهض يا راي، انهض، لا يمكنك مساعدته، بحق الله انهض!".

"هذا ليس عدلاً!"، صاح غارّاتي. كانت هناك بقعة لزجة من دم أولسون على وجنته. "هذا ليس عدلاً!".

"أعرف. هيا. هيا".

وَقَف غارّاتي. وبدأ يسير مع ماكفريز بسرعة وإلى الخلف، وهما يراقبان أولسون، الذي كان جاثماً على رُكبتيه. وَقَف أولسون على قدميه. وَقَف متخطياً الخط الأبيض بإحدى قدميه. رفع يديه عالياً في الهواء. وتنهَّد الحَشد قليلاً.

"فعلتُ ذلك بالطريقة الخطأ!"، صاح أولسون وهو يرتعش، ثم سقط ميتاً.

أطلق جنود العربة نصف المجنزَرة رصاصتين أخريين عليه ثم سحبوه بنشاط إلى خارج الطريق.

"نعم، وهذا فصل الختام".

ساروا بصمت لحوالي عشر دقائق، وغارّاتي يستمدّ بعض العزاء من مجرد وجود ماكفريز بجانبه. "بدأتُ أرى شيئاً في المسألة يا بيت"، قال أخيراً. "هناك نمط. ليست كل الأمور بلا معنى".

"حقاً؟ لا تتّكل على ذلك".

"لقد كلَّمني يا پيت. لم يكن ميتاً إلى أن أطلقوا النار عليه. كان حيّاً". وشَعَر الآن أن ذلك كان أهم شيء في قصة أولسون. كرَّرها. "حيّاً".

لا أعتقد أن هذا يشكّل أي أهمية"، قال ماكفريز مع تنهيدة مُتعَبة. "إنه مجرد رقم. جزء من عدد الجثث. الرقم الثالث والخمسون. هذا يعني أننا بتنا أقرب قليلاً فقط لا غير".

"أنت لا تظنّ ذلك حقاً".

"لا تُخبرني بما أظن وبما لا أظن!"، قال ماكفريز بفظاظة. "انسَ الأمر، ألا يمكنك؟".

"لقد وَضَعتُنا خارج أولدتاون بحوالي عشرين كيلومتراً"، قال غارّاتي.

"حسناً، تباً!".

"هل تعرف كيف حال سكرام؟".

"لستُ طبيبه".

"ما سبب ضيقك؟".

ضحِك ماكفريز بعنف. "نحن هنا، نحن هنا وتريد أن تعرف سبب ضيقي! أنا قلق بشأن ضريبة دخل السنة القادمة، هذا سبب ضيقي. أنا قلق بشأن أسعار الحبوب في داكوتا الجنوبية، هذا سبب ضيقي. أولسون، كانت أحشاؤه تتساقط يا غارّاتي، كان يسير في النهاية وأحشاؤه تتساقط، هذا سبب ضيقي، سبب ضيقي-". ثم صمتَ وراقَبه غارّاتي يكافح ليمنع نفسه من التقيؤ. ثم قال فجأة، "سكرام مسكين".

"هل هو حقاً؟".

"تحسَّس كولي باركر جبهته وقال إنه مُصاب بحمى شديدة. يتلفّظ بأشياء مضحكة. عن زوجته، عن فينيكس وفلاغستاف، أمور غريبة عن قبائل الهوبي والنافاجو ودمى الكاشينا... من الصعب فهمه".

"كم يستطيع أن يصمد بعد؟".

"لا أحد يدري. قد يصمد أطول منا جميعاً. بنيته كالجاموس وهو يبذل قصارى جهده. يا إلهي كم أنا مُتعَب".

"وماذا بشأن باركوفيتش؟".

"أصبح أكثر حكمة. يعرف أن الكثير منا سيفرح برؤيته يشتري بطاقة لزيارة المزرعة. فعقَدَ عزمه على الصمود أطول مني، هذا الحقير البغيض. لا يعجبه أنني أضايقه. وضع لعين، نعم، أعرف". ضحِك ماكفريز ضحكته الصاخبة مرة أخرى. ولم يُعجَب غارّاتي بصوتها. "لكنه خائف. إنه يخفّف الاتكال على قوة الرئتين وبدأ يتّكل على قوة الرِجلين".

"كلنا خائفون".

"نعم. أولدتاون قادمة. عشرون كيلومتراً؟".

"هذا صحيح".

"هل يمكنني أن أقول لك شيئاً يا غارّاتي؟".

"بالتأكيد. سأحتفظ بالسر لنفسي حتى مماتي".

"أظن أن هذا صحيح".

شخصٌ بالقرب من مقدمة الحَشد رمى مفرقعة نارية، فجفلَ غارّاتي وماكفريز معاً. وزعَقت عدة نساء. وقال رجل قوي البنية في الصف الأمامي، "اللعنة!"، بفم مليء بالفشار.

"السبب الذي يجعل كل هذا رهيباً جداً"، قال ماكفريز، "هو أنه مجرد أمر تافه. أتعلَمْ؟ لقد بعنا أنفسنا وقايضنا أرواحنا بتفاهات. أولسون، كان تافهاً. كان رائعاً، أيضاً، لكن هذه الأمور ليست متنافية. كان رائعاً وتافهاً معاً. في الحالتين، مات مثل حشرة تحت مِجهَر".

"أنت شرير مثل ستابنز"، قال غارّاتي بامتعاض.

"أتمنى لو أن پريسيلا قتلتني"، قال ماكفريز. "على الأقل لما كان ذلك –".

"تافهاً"، أكملَ غارّاتي.

"نعم. أظن ذلك –".

"اسمع، أريد أن أكبو قليلاً إذا استطعتُ. هل لديك مانع".

"لا. آسف". بدا ماكفريز صارماً ومستاءً.

"آسف"، قال غارّاتي. "اسمع، لا تأخذ الأمر على محمل الجدّ. أنه حقاً–".

"أمر تافه"، أكملَ ماكفريز. ضحِك ضحكته الصاخبة للمرة الثالثة وابتعَد. تمنّى غارّاتي – ليس للمرةِ الأولى – لو أنه لم يشكّل أي صداقات في المسيرةِ الطويلة. كان ذلك سيجعل الأمور أصعب. في الواقع، كانت الأمور أصعب من قبل.

كانت هناك حركة بطيئة في أحشائه. سيضطر إلى تفريغها قريباً. جَعَلته الفكرة يكزّ على أسنانه الذهنية. فالناس سيشيرون إليه ويضحكون. سيترك برازه يسقط على الشارعِ مثل كلب وبعد ذلك سيرفعه الناس في مناديل ورقية ويضعونه في زجاجات للتذكار. بدا مستحيلاً أن يفعل الناس شيئاً كهذا، لكنه يعرف أنه حصَل من قبل.

أولسون مع أحشائه تتساقط.

ماكفريز وپريسيلا ومَصنع البيجامات.

سكرام، المتوهج من الحمى.

أبراهام... كم سعر هذه القبعة العالية السوداء أيها الجمهور؟

سقط رأس غارّاتي. كبا قليلاً. استمرت المسيرة.

فوق تلة، فوق وادٍ، فوق سهل وجبل. فوق نتوءِ جبلي وتحت جسر وبجانب نافورة سيدتي. قهقه غارّاتي في خبايا ذهنه اللاواعية. وراحت قدماه تقرعان الرصيف، والكَعب الرخو يرفرف أكثر فأكثر، مثل مصراع قديم في منزل مهجور.

أنا أفكّر، إذاً أنا موجود. حصة اللاتينية في السنة الأولى. لحن قديم في لغة ميتة. قرعُ أجراس الظئر، سقطت القطة في البئر. مَن دفعَها؟ جاكي فْلين مالكها.

أنا أصمد، إذاً أنا موجود.

رُميت مفرقعة نارية أخرى. وعلت صيحات وهتافات. مرّت العربة نصف المجنزَرة مقرقعةً بجانبهم وترقَّب غارّاتي سماع رقمه في تحذير وكبا بشكل أعمق.

أبي، لم أكن مسروراً عندما اضطررتَ إلى الذهاب، لكنني لم أفتقدك أبداً عندما كنتَ غائباً. آسف. لكن هذا ليس سبب وجودي هنا. ليست لديَّ رغبة لاواعية بأن أقتل نفسي، آسف يا ستابنز. آسف حقاً لكن−

البنادق مرة أخرى، فأيقظته جافلاً، وكان هناك الصوت المألوف لكيس البريد بينما كان فتى آخر يعود إلى منزله. صَرَخ الحَشد رعبه وزأر موافقته.

"غارّاتي!"، زعَقت امرأةٌ. "راي غارّاتي!". كان صوتها حاداً وصاخباً. "نحن معك يا فتى! نحن معك يا راي!".

اخترق صوتها الحَشد واستدارت الرؤوس، وارتفعت الأعناق، لكي يستطيعوا إلقاء نظرة أفضل على ممثل ماين. علت بضع صيحات استهجان بين الهتافات الصاعدة.

استأنف الحَشد الغناء من جديد. بقي غارّاتي يسمع إسمه إلى أن تضاءل إلى خليط مقاطع لفظية ليست لها أي علاقة به.

لوَّح قليلاً وكبا مرة أخرى.

الفصل 11

"هيا أيها الحقيرون! هل تريدون أن تعيشوا إلى الأبد؟".

– رقيب أول مجهول في
الحرب العالمية الأولى

دخلوا أولدتاون حوالي منتصف الليل. مرّوا في طريقين فرعيين، وسلكوا الدرب 2، وعبروا وسط البلدة.

بالنسبة لراي غارّاتي، كان العبور بأكمله كابوساً ضبابياً شوَّشه النوم. علت الهتافات إلى حدّ قضت فيه على أي إمكانية للتفكير أو التأمل. وتحوَّل الليل إلى نهار ساطع خالٍ من الظلال بسبب مصابيح الصوديوم التي ألقت ضوءاً برتقالياً غريباً. في هكذا ضوء، حتى أكثر الوجوه ودّاً ستبدو كأنها خارجة من سرداب. راحت قصاصات ورقية ملوَّنة، وورق صحف، وقطع ممزَّقة من دليل الهاتف، وأشرطة طويلة من ورق المرحاض تطفو وتحلّق من نوافذ في الطوابق الثانية والثالثة. كان ذلك أشبه باستعراض نيويوركيّ في دوري بيسبول محلي.

لم يمت أحد في أولدتاون. خفتت المصابيح البرتقالية وتقلَّص حجم الحَشد قليلاً عندما ساروا بمحاذاة نهر ستلْووتر في أوائل خيوط الصباح. أصبحوا في الثالث من مايو الآن. وغمرتهم الرائحة الحادة لمصانع الورق. رائحة المواد الكيميائية، ودخان الخشب، والنهر الملوَّث، وسرطان المعدة المنتظر أن يحصل. كانت هناك كومات مخروطية من نشارة الخشب أعلى من الأبنية في وسط المدينة. وتصل كدسات لُبّ الخشب إلى السماء في وحدات متراصة. كبا غارّاتي وحلَم أحلامه ال.غامضة المليئة بالراحة والانعتاق، وبعد ما بدا وقتاً طويلاً جداً، بدأ شخصٌ ينكزه في أضلاعه. كان

ماكفريز.

"ما المشكلة؟".

"إننا نسير على الطريق الرئيسي"، قال ماكفريز. كان متحمِّساً. "وصل الخبر. أعدّوا لنا كتيبة كاملة من حراس الراية على منحَدَر الدخول. سنحصل على تحية من أربعمئة طلقة!".

"في وادي الموت تقدَّم الأربعمئة"، تمتم غارّاتي وهو يفرك عينيه ليزيل عنهما النعاس. "لقد سمعتُ ما يكفي من تحيات ذات ثلاث طلقات هذه الليلة. لستُ مهتماً. دعني أنام".

"هذا ليس موضوعنا. بعد أن ينتهوا، سنقدِّم لهم تحية".

"نحن؟".

"نعم. صوت استهزاء بألسنة وشفاه ستة وأربعين رجلاً".

ابتسم غارّاتي قليلاً. شعَر بتصلّب ويباس في شفتيه. "حقاً؟".

"بالضبط. حسناً... صوت استهزاء بألسنة وشفاه أربعين رجلاً. فقد غادرنا بضعة شباب الآن".

تراءت صورة أولسون، الهولندي الطائر البشري، لغارّاتي.

"حسناً، أَدخلني في حسابك"، قال.

"انضم إلينا إذاً".

زاد غارّاتي سرعته. واقترب مع ماكفريز من بيرسون وأبراهام وبايكر وسكرام. وقلَّص فتيا الجلد المسافة مع مجموعة الطليعة.

"هل سيشارك باركوفيتش؟"، سأل غارّاتي.

نخَر ماكفريز. "يعتبرها أفضل فكرة منذ المراحيض العامة التي تتطلّب دفع رسم".

ضغط غارّاتي قليلاً على جسمه البارد وأفلتَ قهقهة صغيرة جدّية. "أتوقع أن يكون قد جهَّز صوت استهزاء خبيثاً جداً".

كانوا يسيرون بموازاة الطريق الرئيسي الآن. واستطاع غارّاتي رؤية الجسر الحاد على يمينه، والتوهّج الغائم لمزيد من مصابيح الصوديوم – بيضاء هذه المرة – فوقهم. على مسافة أمامهم، ربما

كيلومتر، انقسم منحَدَر الدخول وصعدَ.

"استعداد"، قال ماكفريز.

"كاثي!"، صاح سكرام فجأة، مُجفلاً غارّاتي. "لن أستسلم بعد يا كاثي!". أدار عينيه الفارغتين اللامعتين من الحمى نحو غارّاتي. لم يكن هناك إدراك فيهما. كان خدّاه حمراوين، وشفتاه مليئتين ببثور الحمى.

"ليس بحالة جيدة"، قال بايكر بنبرة اعتذارية، كما لو أنه هو الذي سبَّب ذلك. "كنا نُشربه بعض الماء بين الحين والآخر، ونصبّه على رأسه أيضاً. لكن قِربته فارغة تقريباً، وإذا أراد واحدة أخرى، عليه أن يطلبها بنفسه. هذه هي القوانين".

"سكرام"، قال غارّاتي.

"مَن هناك؟". تدحرَجت عينا سكرام بعنف في محجريهما.

"هذا أنا. غارّاتي".

"آه. هل رأيتَ كاثي؟".

"لا"، قال غارّاتي باضطراب. "أنا–".

"استعداد"، قال ماكفريز. ارتفعت هتافات الحَشد مرة أخرى، وظهرت لافتة خضراء شبحية من العتمة: الطريق السريع 95 بورتسموث بورتلاند أوغستا يشير جنوباً.

"هذا نحن"، همَس أبراهام. "ليكن الله بعوننا".

مال منحَدَر الخروج صعوداً تحت أقدامهم. مرّوا في أول بقعة ضوء من المصابيح التي فوقهم. كان الطريق المرصوف الجديد أنعم تحت أقدامهم، وشعَر غارّاتي بالانخفاض المألوف للمعنويات.

كان حراس الراية قد أبعدوا الحَشد نحو القسم اللولبي الصاعد للمنحَدَر. وحملوا بنادقهم تأهّباً بصمت. كانت ملابسهم تلمع بشكل بهيّ؛ وبدا جنود العربة نصف المجنزَرة المليئين بالغبار رثّين بالمقارنة.

كان الأمر أشبه بعبور بحر هائج من الضجة نحو السكينة. كان الصوت الوحيد هو وقع

أقدامهم ووتيرة تنفّسهم السريعة. بدا منحَدَر الدخول لا ينتهي.

ثم، من العتمة في مكان ما، أتى صوت الرائد المضخَّم إلكترونياً: "قدِّم سلاحك!".

ارتطمت الأسلحة بالأجساد.

"جهّز التحية!".

رُفعت البنادق إلى الأكتاف، وصُوِّبَت نحو السماء فوقها في قوس صلب. احتشَد الجميع غريزياً بمواجهة الصوت القادم الذي يعني الموت – حُفِرَ ذلك في عقولهم الباطنية على مرّ الأزمنة.

"أطلِق النار!".

زأرت أربعمئة بندقية في الليل بصوت مذهل مصمّ للآذان. قاوَم غارّاتي الرغبة القوية بوضع يديه على رأسه.

"أطلِق النار!".

رائحة البارود مرة أخرى، اللاذعة، الثقيلة بالكوردايت. في أي كتاب أطلقوا النار على الماء لإحضار جثة رجل غارق إلى السطح؟

"رأسي"، صرخ سكرام. "يا إلهي، رأسي يؤلمني".

"أطلِق النار!".

زأرت البنادق للمرة الثالثة والأخيرة.

استدار ماكفريز فوراً وسار عكسياً، بوجهه الأحمر من الجهد الذي سيحتاج إليه لكي يصرخ. "قدِّم سلاحك!".

أربعون لساناً زمَّ أربعين مجموعة من الشفاه.

"جهّز التحية!".

أدخَلَ غارّاتي بعض الهواء إلى رئتيه وبذل جهده لإبقائه هناك.

"أطلِق النار!".

كان صوتاً مثيراً للشفقة، حقاً. صوت تحدٍّ منخفضٍ مثيرٍ للشفقة في الظلمة الكبيرة. لم يتكرَّر. لم تتغيَّر الوجوه الخشبية لحراس الراية، لكنها ومع ذلك أظهرَتْ بعض اللوم.

"آه، تباً"، قال ماكفريز. استدار وبدأ يسير إلى الأمام مرة أخرى، مُخفضاً رأسه.

استوى الطريق. كانوا على الطريق الرئيسي. لمحوا جيب الرائد يبتعد إلى الجنوب، مجرد وميض فلوري بارد على نظارات شمسية سوداء، ثم أطبَقَ الحَشد مرة أخرى، لكن بعيداً عنهم الآن، لأن الطريق العام كان بعرض أربعة ممرات، أو خمسة إذا احتسبنا الشريط العشبي الوسطي.

انحرف غارّاتي إلى الشريط الوسطي بسرعة، وسار على العشب المقصوص قصاً قصيراً جداً، شاعراً بالندى يتسرَّب إلى داخل حذائه المشقوق ويرطِّب كاحلَيه. حُذِّر أحدهم. امتدّ الطريق الرئيسي أمامهم، مسطَّحاً ورتيباً، بغاباته الأسمنتية التي يقسمها هذا الجزء الأخضر، والتي يغمرها الضوء الأبيض من مصابيح الصوديوم التي فوقهم. كانت ظلالهم حادة وواضحة وطويلة، كما لو أنها ناتجة عن قمر الصيف.

رفع غارّاتي قِربته إلى أعلى، وعبَّ منها كثيراً، ثم أعاد إغلاقها، وبدأ يكبو مرة أخرى. مئة وثلاثون، وربما مئة وخمسة وثلاثون كيلومتراً إلى أوغستا. كان الشعور بالعشب الرطب مهدئاً للأعصاب...

تعثَّر، وكاد يسقط، واستيقظ مرتعشاً. لقد زرعَ أحد المغفَّلين أشجار صنوبر على الشريط العشبي الوسطي. يعلَم أنها رمز الولاية، لكن ألا تُعتبر هذه مبالغة أكثر من اللازم؟ كيف يتوقعون منك أن تسير على العشب عندما لا يكون هناك –

بالطبع لا يتوقعون منك ذلك.

انتقل غارّاتي إلى الممر الأيسر، حيث كان يسير معظم الآخرين. كانت عربتان نصف مجنزَرتين إضافيتان مركونتين على الطريق الرئيسي عند مدخَل أورونو لتغطية كل السائرين الستة والأربعين الباقين الآن. لم يتوقعوا منك أن تسير على العشب. نكتة أخرى عنك يا عزيزي غارّاتي. لا شيء حيوي، مجرد خيبة أمل صغيرة أخرى. أمر تافه، حقاً. فقط... لا تجرؤ على أن تتمنى أي شيء، ولا تتّكل على أي شيء. فالأبواب تنغلق. الواحد تلو الآخر.

"سيتساقطون هذه الليلة"، قال. "سيزولون مثل حشرات على جدار هذه الليلة".

"لن أتّكل على ذلك"، قال كولي باركر، وبدا الآن مرهقاً – مُخضَعاً أخيراً.

"لما لا؟".

"هذا يشبه هزّ صندوق رقائق بسكويت هشّ عبر منخل يا غارّاتي. سيتساقط الفتات عبر الشقوق بسرعة. ثم تتكسَّر القطع الصغيرة وتسقط هي أيضاً. لكن رقائق البسكويت الهشّ الكبيرة" – كانت ابتسامة باركر عبارة عن وميض أسنان مطلية باللعاب في العتمة – "يجب أن تتفتّت كل رقائق البسكويت الهشّ في وقت من الأوقات".

"لكن بوجود هكذا طريق طويل للسير عليه... لا تزال...".

"لا أزال أريد أن أعيش"، قال باركر بقسوة. "وكذلك أنت، لا تستهبلني يا غارّاتي. يمكنك أنت وذاك الشاب ماكفريز السير واستهبال الكون كله وبعضكما البعض، لا يهمّ، فكل شيء مجرد هراء زائف لكنه يمرِّر الوقت. لكن لا تستهبلني. خلاصة القول هي أنك لا تزال تريد أن تعيش. وهذا هو حال معظم الآخرين. سيموتون ببطء. سيموتون الواحد تلو الآخر. قد أموت أنا أيضاً، لكنني أشعر الآن كما لو أنه يمكنني السير حتى الوصول إلى نيو أورلينز قبل أن أسقط على رُكبتَي لكي يفرح أولئك المعتوهون الجالسون في عربتهم السخيفة".

"حقاً؟"، شعَر بموجة يأس تغمره كلياً. "حقاً؟".

"نعم، حقاً. اهدأ يا غارّاتي. لا يزال الطريق طويلاً أمامنا". وابتعد عنه بخطوات كبيرة، إلى حيث يسير فتَيا الجلد، مايك وجو، بخطى موزونة. سقط رأس غارّاتي وكبا مرة أخرى.

بدأ ذهنه ينجرف بعيداً عن جسمه، أشبه بكاميرا عمياء ضخمة مليئة بفيلم جديد غير مستخدَم تلتقط صوراً لكل شيء وأي شيء، تشتغل بلا قيود، بلا ألم، بلا احتكاك. تذكّر أبيه يسير بخطى كبيرة في حذاء مطاطي أخضر. وتذكّر جيمي أوينز، الذي ضربه بفوهة بندقيته الهوائية، ونعم تقصَّد ذلك، لأنها كانت فكرة جيمي أن يخلعا ملابسهما ويلمسا بعضهما البعض، كانت فكرة جيمي، كانت فكرة جيمي. البندقية تلوح في قوس متألق، قوس متألق هادِف، بقعة الدم ("آسف يا جيم، يا إلهي، تحتاج إلى ضمادة لاصقة") على ذقن جيمي، ومساعدته في العودة إلى المنزل... جيمي يصيح... يصيح.

رفع غارّاتي نظره، نصف مشدوه ومبلَّلاً ببعض العرق رغم برد الليل. لقد صاح أحدهم. كانت البنادق مصوَّبة على شكل صغير، بدين تقريباً. بدا أنه باركوفيتش. أطلقوا النار في انسجام مُتقَن، وسقط الشكل الصغير البدين تقريباً على الأرض مثل كيس غسيل مترهّل. لم يكن الوجه المستدير الكثير البثور باركوفيتش. بدا الوجه لغارّاتي مستريحاً، في سلام.

وجَد نفسه يتساءل إن لم يكن من الأفضل لهم جميعاً أن يكونوا موتى، وطرد الفكرة من رأسه بجفول. لكن أليس هذا صحيحاً؟ كانت الفكرة حتمية. سيتضاعف الألم في قدميه، وربما يتضاعف ثلاث مرات قبل أن تأتي النهاية، وبدا الألم غير محتمل الآن. وحتى الألم لم يكن أسوأ شيء. كان الموت، الموت الثابت، الرائحة الكريهة للجيَف التي استقرّت في أنفه. كانت هتافات الحَشد خلفية ثابتة في أفكاره. هدأت الأصوات. بدأ يكبو مرة أخرى، وهذه المرة تراءت له صورة جانيس. كان قد نسي أمرها كلياً لبعض الوقت. بطريقة ما، شَعَر أن الكبوة أفضل من النوم. بدا له أن الألم في قدميه ورِجليه ينتميان إلى شخص آخر كان مربوطاً به بشكل غير مُحكم فقط، ويمكنه تنظيم أفكاره ببعض الجهد البسيط فقط. يمكنه أن يضعها في خدمته.

بَنَى صورتها في ذهنه ببطء. قدماها الصغيرتان. ساقاها القويتان لكن الأنثويتين بالكامل – ربلتان صغيرتان توصلانك إلى فخذَين ريفيين ناعمين. كان خصرها نحيلاً، وصدرها مكتنزاً وفخوراً، وخدّاها مستديرين. شعرها أشقر طويل. ظنّه شعر بائعة هوى لسبب من الأسباب. قال لها ذلك مرةً – خرج من فمه لا إرادياً وظنَّ أنها ستغضب، لكنها لم تردّ عليه أبداً. ظنَّ أنها مسرورة سراً...

الانقباض النافر المتواصل في أحشائه هو الذي أيقظه هذه المرة. واضطر أن يكزّ على أسنانه لكي يواصل السير بالسرعة القانونية إلى أن زال الإحساس. أشار العقرب الفلوري في ساعته إلى أنها الواحدة تقريباً.

يا إلهي، لا تجعلني أضطر إلى أن أتبرَّز أمام كل هؤلاء الأشخاص. يا ربّ. سأتبرّع بنصف كل شيء أحصل عليه إذا فزتُ، فقط رجاءً أصبني بالإمساك. رجاءً. رجاءً. رج–

انقبضت أحشاؤه مرة أخرى، بشدة وبشكل مؤلم، ربما لتأكيد حقيقة أن صحته لا تزال سليمة رغم المعاناة التي تعرَّض لها جسمه. أجبَر نفسه على التحمّل إلى أن خرج من الوهج العديم الرحمة لأقرب مصباح فوقه. فكّ حزامه بعصبية، وانتظر قليلاً، ثم، مكشِّراً، أنزَلَ بنطلونه ساتراً عورته بإحدى يديه، وقرفص. أصدرت رُكبتاه صوت طقطقة صاخب. واحتجّت عضلات فخذيه وربلتَيه بشكل كبير وهدَّدت أن تتشنّج بسبب فرضه اتجاهاً جديداً عليها.

"تحذير! تحذير لـ 47!".

"جون! يا جوني، انظر إلى الوغد المسكين هناك".

أشارت إليه أصابع نصف حقيقية ونصف خيالية في العتمة. وراحت أضواء الكاميرات تلمع

وأدار غارّاتي رأسه بعيداً على نحو بائس. لا شيء يمكن أن يكون أسوأ من هذا. لا شيء.

كاد يسقط على ظهره وتمكَّن من أن يسند نفسه بإحدى ذراعيه.

زعقَ صوت أنثوي: "إنني أراه! إنني أرى عضوه!".

مرَّ بايكر بجانبه من دون حتى أن ينظر إليه.

شَعَر للحظة مروِّعة أن كل جهده هذا سيذهب هباءً على أي حال – أنه مجرد إنذار كاذب – لكن سارت الأمور عندها على ما يرام. كان قادراً على تحقيق مبتغاه. ثم تمكَّن من الوقوف على قدميه مع نصف تنهيدة، وبدأ يسير، ويركض تقريباً، وهو يشدّ حزام بنطلونه من جديد، تاركاً جزءاً منه خلفه لكي يبرد في الظلمة تحت أنظار ألف شخص المحدِّقة بشراهة – عبِّئوه في زجاجات! ضعوه على رف الموقد! براز رجلٍ حياته على المحكّ! هذه هي يا بتّي. لقد أخبرتُك أننا نملك شيئاً مميزاً في غرفة الألعاب... هنا بالتحديد، فوق الستيريو. أطلقوا عليه النار بعد عشرين دقيقة...

لحِق بماكفريز وسار بجانبه، مُخفضاً رأسه.

"كان صعباً؟"، سأل ماكفريز. كان هناك إعجاب جليّ في صوته.

"صعب جداً"، قال غارّاتي، وتنهَّد تنهيدةً مخيفةً جداً. "كنتُ أعرِف أنني نسيتُ شيئاً".

"ماذا؟".

"نسيتُ ورق المرحاض في المنزل".

قهقه ماكفريز. "مثلما كانت جَدّتي تقول دائماً، إذا لم يكن لديك أي حصان صغير، دع وركَيك يتباعدان أكثر قليلاً".

انفجر غارّاتي ضاحكاً، ضحكة حادة من صميم قلبه ومن دون هستيريا فيها. شعَر ببعض الارتياح. مهما تُسفِر عنه الأحداث، لن يضطر إلى أن يعاني ذلك مرة أخرى.

"حسناً، لقد نجحتَ"، قال بايكر وهو يقترب ليسير بجانبهما.

"يا إلهي"، قال غارّاتي، متفاجئاً. "لماذا لا تريحون أنفسكم جميعاً وترسلون لي بطاقة تهنئة على السلامة، أو شيء من هذا القبيل؟".

"هذا ليس مُمتعاً، بوجود كل أولئك الأشخاص يحدِّقون فيك"، قال بايكر بحزم. "على فكرة، لقد سمعتُ شيئاً للتو. لا أعرف إن كنتُ سأصدِّقه. لا أعرف حتى إن كنتُ أريد أن أصدِّقه".

"ما هو؟"، سأل غارّاتي.

"جو ومايك؟ فتيا الجلد اللذان ظنّ الجميع أنهما منجذبان لبعضهما البعض؟ إنهما من قبيلة الهوبي. أظنّ أن هذا ما كان سكرام يحاول قوله لنا سابقاً، ولم نكن نفهم عليه. لكن... احزر... ما سمعتُه هو أنهما إخوة".

تدلّى فك غارّاتي.

زدتُ سرعتي وسرتُ بجانبهما وألقيتُ نظرة جيدة عليهما"، كان بايكر يُكمل حديثه. "وتباً إن كانا لا يبدوان إخوة".

"هذا جنون"، قال ماكفريز بغضب. "هذا جنون فعلي! يجب أن تعتقل الفِرق أهلهما لسماحهما بفعل شيء من هذا القبيل!".

"هل عرفِتَ أي هنود في يوم من الأيام؟"، سأل بايكر بهدوء.

"فقط إذا كانوا من باسّيك"، قال ماكفريز. كان لا يزال يبدو غاضباً.

"هناك محمية لقبيلة السيمينول على حدود ولايتنا"، قال بايكر. "إنهم أشخاص مضحكون. لديهم مفهوم مخالف لبعض الأشياء مثل 'المسؤولية' عن مفهومنا. إنهم معتدّون بأنفسهم. وفقراء. أظن أن تلك الأشياء هي نفسها لقبيلة الهوبي مثلما هي لقبيلة السيمينول. ويعرفون كيف يموتون".

"لا شيء من هذا يُصلح الأمور"، قال ماكفريز.

"إنهم يأتون من نيو مكسيكو"، قال بايكر.

"هذا أمر مُحبِط"، قال ماكفريز بنبرةٍ حاسمة، ومالَ غارّاتي إلى أن يوافقه الرأي.

شدّ الحديث انتباه الجميع على طول الخط، جزئياً بسبب ضجيج الحَشد. لكن السبب الحقيقي، حسب اعتقاد غارّاتي، هو رتابة الطريق الرئيسي نفسه. كانت التلال طويلة وتدريجية، وبالكاد تبدو تلالاً. راح السائرون يكْبون، وينخرون بشكل متقطّع، وبدا أنهم شدّوا أحزمتهم أكثر وعزلوا أنفسهم في حيِّز طويل من المرارة بالكاد مفهومة أمامهم. وتحوَّلت تكتّلات المجتمع الصغيرة إلى جُزر ثلاثية،

ثنائية، وجُزر منعزلة.

لم يعرف المتفرّجون أي تعب. بل واصلوا الهتاف بصوت واحد أجش، والتلويح بلافتات غير مقروءة. كان إسم غارّاتي يُنادى بتكرار رتيب، لكن كانت هناك تجمُّعات لمواطنين من خارج الولاية هتفوا قليلاً لباركوفيتش وبيرسون ووايمان. ذُكرَت أسماء أخرى واختفت بنفس سرعة ذوبان الثلج على شاشة التلفزيون.

رُميَت مفرقعات نارية وتناثرت بعض الأشرطة. ورمى شخصٌ سهماً مضيئاً في السماء الباردة وتبعثر الجمهور صارِخاً، بينما كان السهم يُطلق ضوءه الأرجواني الساطع على حافة الطريق. كان هناك أشخاص بارزون أيضاً ضمن الحَشد. أحدهم رجلٌ يحمل بوقاً كهربائياً راح يبدِّل بين الهتاف لغارّاتي وبين الإعلان عن ترشّحه للانتخابات لتمثيل المقاطعة الثانية؛ وأحدهم امرأة تحتضن بقوة غراباً كبيراً في قفص صغير على صدرها العملاق؛ وهرم بشري مصنوع من طلاب يرتدون كنزات جامعة نيو هامبشاير؛ ورجل أجوف الخدّين من دون أسنان يرتدي زيّ العمّ سام ويحمل لافتة تقول: "تخلّينا عن قناة بنما للزنوج الشيوعيين". ما عدا ذلك، بدا الحَشد مملاً مثل الطريق الرئيسي نفسه.

راح غارّاتي يكبو بشكل متقطّع، وكانت الصور في ذهنه تدور حول الحب والرعب. في أحد أحلامه، بقي صوت منخفض ورتيب يسأله مراراً وتكراراً: هل أنت خبير؟ هل أنت خبير؟ هل أنت خبير؟ ولم يتمكّن من تحديد إن كان ذلك صوت ستابنز أو صوت الرائد.

الفصل 12

"سرتُ على الطريق، وكان الطريق وسخاً.

ارتطم إصبع قدمي، وأصبح إصبع قدمي دموياً.

هل كلكم هنا؟".

– أغنية لعبة الغمّيمة للأطفال

بطريقة أو بأخرى، أصبحت حوالي التاسعة صباحاً من جديد.

رفع غارّاتي القِربة فوق رأسه، ومال إلى الخلف إلى أن طقطق عنقه. كانت حرارة الجو قد ارتفعت بما يكفي لكي لا تعود قادراً على رؤية أنفاسك، وكان الماء فاتراً، مما يُبعِد النعاس الدائم قليلاً.

راح يتفقَّد رفاق سيره. كانت لحية ماكفريز قد أصبحت طويلة الآن، وسوداء كسواد شعره. وبدا كولي باركر مُنهَكاً لكن أقوى من السابق. وبدا بايكر أثيريّاً تقريباً. ولم يكن سكرام شديد الاحمرار كثيراً، لكنه كان يسعل باستمرار – سعال عميق مدوٍّ ذكَّر غارّاتي بنفسه، منذ مدة طويلة، عندما أُصيب بالتهاب رئوي في الخامسة من عمره.

مرَّ الليل في سلسلة أحلام ذات أسماء غريبة على اللافتات العاكسة للضوء فوقهم. فيزي. بانغور. هرمون. هامبدن. وينتربورت. قتل الجنود شخصين فقط، وبدأ غارّاتي يتقبّل تشبيه باركر لهم برقائق البسكويت الهشّ.

سطعَ ضوء النهار مرة أخرى الآن. أعادت المجموعة الوقائية الصغيرة تشكيل نفسها، وراح

السائرون يمزحون عن اللحى لكن ليس عن الأقدام... ليس عن الأقدام أبداً. شَعَر غارّاتي أن عدة بثور صغيرة انفقأت في كَعبه الأيمن خلال الليل، لكن الجورب الناعم الماصّ حمى الجروح غير المندملة قليلاً. مرّوا للتو الآن تحت لافتة تقول: "أوغستا 77 بورتلاند 188".

"إنها أبعد مما قلتَ"، قال له بيرسون موبِّخاً. كان مُنهَكاً بشكل رهيب، وشعره متدلٍ بلا حيوية على خدّيه.

"لستُ خريطة سير"، قال غارّاتي.

"ومع ذلك... إنها ولايتك".

"صعب".

"أجل، أظن ذلك". لم تكن هناك ضغينة في صوت بيرسون الـمُتعَب. "يا إلهي، لن أفعل هذا مرة أخرى ولو بعد مئة ألف سنة".

"يجب أن تعيش لهذه المدة".

"أجل". انخفض صوت بيرسون. "لكنني قررتُ أنه إذا أصبحتُ مُتعَباً جداً ولم يعد بإمكاني السير أكثر، سأركض إلى هناك وأتغلغل بين الحَشد. لن يجرأوا على إطلاق النار. ربما سأتمكن من الفرار".

"سيكون ذلك أشبه بالارتطام بترامبولين"، قال غارّاتي. "سيعيدون دفعك إلى الطريق فوراً لكي يمكنهم مشاهدتك تنزف. ألا تتذكر بيرسي؟".

"لم يكن بيرسي يفكِّر. فقط حاول السير نحو الغابة. هزَموا بيرسي شرّ هزيمة، صحيح". ونظرَ بفضول إلى غارّاتي. "ألستَ مُتعَباً يا راي؟".

"تباً، لا". ومدَّ غارّاتي ذراعيه النحيلتين مثل جناحَي طير بعظَمة زائفة. "أنا أطير انسيابياً، أليس هذا جلياً لك؟".

"أنا في حالة سيئة"، قال بيرسون، ولعَق شفتيه. "أجد صعوبة في مجرد التفكير بشكل سليم. وأشعر كما لو أن حَربتين أصابتا رجليَّ–".

ظَهَر ماكفريز خلفهما. "سكرام يُحتضَر"، قال بفظاظة.

فقال غارّاتي وبيرسون، "ماذا؟"، في آن واحد.

"لديه التهاب رئوي"، قال ماكفريز.

أومأ غارّاتي برأسه. "كنتُ خائفاً أن يكون ذلك".

"يمكنك سماع صوت تنفّسه عن بُعد مترين. ويبدو ذلك الصوت كما لو أن أحدهم ضخَّ فيه كل مياه تيار الخليج. إذا أصبح الجو حاراً مرة أخرى اليوم، سترتفع حرارته إلى حد لا يُطاق".

"الوغد المسكين"، قال بيرسون، وظهرت نبرة الارتياح في صوته بشكل جليّ وغير واعٍ في آن. "أظن أنه كان يمكنه أن يقضي علينا كلنا. وهو متزوج. ماذا ستفعل زوجته؟".

"ماذا يمكنها أن تفعل؟"، سأل غارّاتي.

كانوا يسيرون على مسافة قريبة نوعاً ما من الحَشد، ولم يعودوا يلاحظون الأيدي الممدودة التي تجهد لتلمسهم – ستصبح مُدركاً لمسافتك بعد أن تنتزع الأظافر بعض الجلد عن ذراعك مرة أو مرتين. كان فتى صغير ينتحب لأنه يريد العودة إلى المنزل.

"كنتُ أتكلّم مع الجميع"، قال ماكفريز. "حسناً، تقريباً الجميع. وأعتقد أن الفائز يجب أن يفعل شيئاً لها".

"مثل ماذا؟"، سأل غارّاتي.

"هذا يجب أن يكون بين الفائز وبين زوجة سكرام. وإذا نكَث الوغد وعده، يمكننا كلنا العودة وندع أشباحنا تطارده".

"موافق"، قال بيرسون. "ماذا لديَّ لأخسره؟".

"راي؟".

"حسناً. بالتأكيد. هل كلَّمت غاري باركوفيتش؟".

"ذلك الحقير؟ لن يُنعش أمه بطريقة التنفس الاصطناعي حتى ولو كانت تغرق".

"سأكلّمه"، قال غارّاتي.

"لن تصل إلى أي نتيجة".

"سيّان عندي. سأفعل ذلك الآن".

"راي، لماذا لا تكلِّم ستابنز أيضاً؟ تبدو الوحيد الذي يردّ عليه".

نخَر غارّاتي. "يمكنني أن أُخبرك ماذا سيقول لي مسبقاً".

"لا؟".

"سيقول لماذا. وعندما ينتهي من الكلام، لن تكون لديَّ أي فكرة".

"تجاهله إذاً".

"لا أستطيع". بدأ غارّاتي يتوجّه نحو شكل باركوفيتش الصغير المسترخي. "إنه الشاب الوحيد الذي لا يزال يظن أنه سيفوز".

كان باركوفيتش في كبوة. وبدا بعينيه الـمُغلقتين تقريباً وشعر لحيته الباهت الذي يغطي خدّيه الزيتونيين أشبَه بدبدوب مخدوع ومُستخدَم بشكل سيئ. كان إما أضاع قبعة مطره أو رماها بعيداً.

"باركوفيتش".

جفلَ باركوفيتش مستيقظاً. "ما المشكلة؟ مَن هناك؟ غارّاتي؟".

"نعم. اسمع. سكرام يُحتضَر".

"مَن؟ آه، صح. أصبح مخبولاً كلياً. أمر طيب له".

"لديه التهاب رئوي. لن يصمد حتى الظهر على الأرجح".

نظر باركوفيتش إلى غارّاتي ببطء بعينيه السوداوين الساطعتين. نعم، بدا مثل دبدوب يخصّ طفلاً مشاغباً هذا الصباح.

"انظر إلى شكلك يا غارّاتي بهذا الوجه الجدي الكبير. ماذا لديك لتقوله؟".

"حسناً، إذا لم تكن تعرف فهو متزوج، و–".

اتّسعت عينا باركوفيتش إلى أن بَدَتا على وشك السقوط. "متزوج؟ متزوج؟ هل تقول لي إن هذا المغفَّل–".

"اصمت، أيها الحقير! سيسمعك!".

"لا يهمّني أبداً! إنه مجنون!". نظر باركوفيتش إلى سكرام، غاضباً. "ماذا ظننتَ أنك ستفعل أيها المغفَّل، تلعب الورق؟"، صاح فيه بأعلى صوته. نظر سكرام نحو باركوفيتش بعينين غائمتين، ثم رفع يده في تحية فاترة. بدا أنه ظنَّ باركوفيتش واحداً من المتفرّجين. أبراهام، الذي كان يسير بالقرب من سكرام، مدَّ إصبعه لباركوفيتش. ومدَّ له باركوفيتش إصبعه بدوره، ثم استدار نحو غارّاتي. وابتسم فجأة.

"يا سلام"، قال. "هذا مطبوع على وجهك الريفي الأخرق. تجمع التبرّعات لزوجة الشاب المُحتضَر، أليس كذلك؟ كم هذا لطيف".

"هل أُسقِطك من حسابي؟"، قال غارّاتي بتثاقل. "حسناً". وبدأ يهمّ بالابتعاد.

تمايَلت ابتسامة باركوفيتش عند أطراف فمه. فأمسَك كُمّ غارّاتي. "انتظر، انتظر. هل قلتُ لك لا؟ هل سمعتني أقول لا؟".

"لا-".

"لا، بالطبع لم أقل لا". ظهرت ابتسامة باركوفيتش من جديد، لكن كان فيها بعض اليأس. وزال زهوه بنفسه. "اسمع، كانت بدايتي معكم سيئة. لم أتقصَّد ذلك. تباً، أنا شاب طيب القلب كفاية عندما تتعرَّف عليّ جيداً، بدايتي سيئة دائماً مع الأشخاص الجدد، وليس لديَّ الكثير من الأصدقاء في بلدتي. أقصد في المدرسة. يا إلهي، لا أعرف لماذا. أنا شاب طيب القلب كفاية عندما تتعرَّف عليّ جيداً، طيب القلب مثل أي شخص آخر، لكن بدايتي سيئة دائماً مع الناس. أقصد أنه يجب أن يكون لدى المرء بضع أصدقاء في شيء كهذا. ليس جيداً أن تكون وحيداً، أليس كذلك؟ يا إلهي، أنت تعرف هذا يا غارّاتي. ذلك الشاب رانك. هو الذي بدأ الشجار يا غارّاتي. أراد أن يتهجَّم عليَّ. الشباب دائماً يريدون التهجّم عليَّ. اعتدتُ أن أحمل مِطواة معي في المدرسة لأدافع عن نفسي من الشباب الذين يريدون التهجّم عليَّ. رانك ذاك. لم أتقصَّد أن يموت، لم تكن نيّتي ذلك أبداً. أقصد، لم يكن الذنب ذنبي. أنتم فقط رأيتم نهاية المسألة، وليس الطريقة التي كان... يضربني بها...". وانخفتَ صوت باركوفيتش.

"نعم، أظن ذلك"، قال غارّاتي، وهو يشعر أنه منافق. ربما باستطاعة باركوفيتش إعادة كتابة التاريخ لنفسه، لكن غارّاتي يتذكَّر حادث رانك بوضوح تام. "حسناً، ماذا تريد أن تفعل الآن؟ هل تريد

الاشتراك في هذا الاتفاق؟".

"بالتأكيد، بالتأكيد". وشدَّت يد باركوفيتش على كُمّ غارّاتي بتشنّج، وسحبته كما لو أنه حبل التوقف في حالات الطوارئ في حافلة. "سأرسل لها ما يكفي من مال لكي لا تحتاج إلى أحد طوال حياتها. أردتُ فقط إخبارك... إفهامك... أن المرء يحتاج إلى بعض الأصدقاء... يحتاج المرء إلى جمهور، أتعلَمْ؟ مَن يريد أن يموت مكروهاً؟ إذا مات. هذه نظرتي إلى المسألة. أنا... أنا...".

"بالتأكيد، معك حق". بدأ غارّاتي يتراجع إلى الخلف، وشَعَر أنه جبان، ولا يزال يكره باركوفيتش، لكنه يحزن عليه في الوقت نفسه. "شكراً جزيلاً". كانت لمسة الإنسانية في باركوفيتش التي أخافته. أخافته لسبب مجهول. لم يعرف لماذا.

تراجع إلى الخلف بسرعة كبيرة، فنال تحذيراً، وأمضى الدقائق العشرة التالية وهو يعمل ليعود إلى حيث كان ستابنز يمشي متمهلاً.

"راي غارّاتي"، قال ستابنز. "أتمنى لك ثالثاً من مايو سعيداً".

أومأ غارّاتي برأسه بحذر. "ولك أيضاً".

"كنتُ أعدُّ أصابع قدميَّ"، قال ستابنز بنبرة أنيسة. "إنها صُحبة طيبة جداً لأنها تتعاون معاً بنفس الطريقة دائماً. بماذا تفكّر؟".

فأخبر غارّاتي قصة سكرام وزوجته للمرة الثانية، وخلال تكلّمه نال فتى آخر بطاقته (كانت عبارة "حرّاس الجحيم على عجلات" منقوشة على ظهر سترته الجينز الرثّة) وكل ذلك جَعَل المسألة تبدو مبتذَلة وبلا معنى. عندما انتهى من الكلام، انتظَر بتوتّر أن يبدأ ستابنز بتشريح الفكرة.

"لما لا؟"، قال ستابنز بلطف. ثم نظر إلى غارّاتي وابتسم. استطاع غارّاتي رؤية أن التعب حلَّ أخيراً حتى على ستابنز.

"تبدو كما لو أنه ليس لديك شيء لتخسره"، قال.

"هذا صحيح"، قال ستابنز بمرح. "كلنا في الواقع ليس لدينا شيء لنخسره. هذا يسهّل الإحسان".

نَظَر غارّاتي إلى ستابنز، مكتئباً. كان هناك مقدار كبير من الحقيقة في ما قاله. وهذا جَعَل مبادرتهم تجاه سكرام تبدو صغيرة.

"لا تُسئ فهمي يا عزيزي غارّاتي. أنا غريب قليلاً، لكنني لستُ خسيساً. إذا كان يمكنني تسريع موت سكرام ولو قليلاً عبر الامتناع عن تقديمي هذا الوعد، سأفعل ذلك. لكن لا يمكنني. لستُ أكيداً، لكنني أظن أن كل مسيرة طويلة تضم مسكيناً مثل سكرام وتحصل مبادرة مثل هذه تجاهه يا غارّاتي، وأظن أيضاً أن ذلك يحصل دائماً في نفس هذا التوقيت تقريباً في المسيرة، عندما تبدأ الوقائع القديمة ومعدل الوفيات بالتوضّح أكثر. في الأيام الخوالي، قبل التغيير والفِرق، عندما كان لا يزال هناك مليونيرات، كانوا يقيمون مؤسسات ويبنون مكتبات وكل ذلك الهراء الجيد. فالجميع يريد أن يحصِّن نفسه ضد الموت يا غارّاتي. يستطيع البعض أن يضحك على نفسه بأن أولاده هم الضمانة لذلك. لكن كل أولئك الأبناء المساكين التائهين" – لوَّح ستابنز بذراعه النحيلة ليشير إلى بقية السائرين وضحِك، لكن غارّاتي اعتقَد أنه بدا حزيناً – "لن يتركوا وراءهم أي وغد من الأصل". غمزَ غارّاتي وقال، "هل صدمتُك؟".

"لا... لا أظن".

"أنت وصديقك ماكفريز متميّزان في هذا الطاقم المتنافر يا غارّاتي. لا أفهم كيف وصلتما إلى هنا. لكنني مستعد أن أؤكد لك أن الأمور أعمق مما تظن. لقد أخذتني على محمل الجدّ ليلة أمس، أليس كذلك؟ بشأن أولسون".

"أظن ذلك"، قال غارّاتي ببطء.

ضحِك ستابنز بابتهاج. "أنت رائع يا راي. لم يكن لدى أولسون أي أسرار".

"لا أعتقد أنك كنتَ تتكلم بسخرية ليلة أمس".

"آه، نعم. كنتُ كذلك".

ابتسم غارّاتي بحزم. "هل تعرف ماذا أعتقد؟ أعتقد أن بصيرتك كانت ثاقبة والآن تريد إنكارها. ربما أخافتك".

أصبحت عينا ستابنز رماديتين. "فسّرها كما تشاء يا غارّاتي. إنها جنازتك. ما رأيك الآن بالانصراف؟ لقد حصلتَ على وعدك".

"تريد أن تغشّها. ربما هذه هي مشكلتك. تحبّ أن تعتبر أن اللعبة مزوَّرة. لكنها ربما تكون لعبة نزيهة. هذا يخيفك يا ستابنز؟".

"انصرف".

"هيا، اِعترِف".

"لا أعترفُ بشيء، ما عدا بحماقتك الجوهرية. اذهب وقل لنفسك إنها لعبة نزيهة". عاد بعض اللون إلى خدَّي ستابنز. "كل لعبة تبدو نزيهة إذا كان يتم خداع الجميع دفعة واحدة".

"أنت مُخطئ كلياً"، قال غارّاتي، لكن صوته افتقر الاقتناع الآن. ابتسم ستابنز قليلاً وأعاد خفض نظره نحو قدميه.

كانوا يتسلَّقون وصولاً إلى قمة منحدر حاد، وشعَر غارّاتي بالعرق يكدّه وهو يُسرِع الخطى إلى حيث كان ماكفريز وبيرسون وأبراهام وبايكر وسكرام متحلّقين معاً – أو، أكثر تحديداً، حيث كانوا متحلّقين حول سكرام. بدوا مثل ثواني قلقة حول مقاتِل مترنّح.

"كيف حاله؟"، سأل غارّاتي.

"لماذا تسألهم؟"، طالَب سكرام. كان صوته الأجش السابق قد انخفض إلى مجرد همس. زالت الحمى، تاركةً وجهه شاحباً وشمعياً.

"حسناً، سأسألك".

"لا بأس"، قال سكرام. وسَعَل. كان صوتاً خشناً فوّاراً بدا كما لو أنه صادر من تحت الماء. "ليست حالتي بهذا السوء. لطيف ما تفعلونه لكاثي. يحبّ الرجل أن يهتمّ بعائلته، لكنني أظن أنه لن يكون من الصواب أن أُكابر. ليس بطريقة سير الأمور الآن".

"لا تتكلم كثيراً"، قال بيرسون، "ستُرهق نفسك".

"ما الفرق؟ الآن أو لاحقاً، ما الفرق؟". نَظَر إليهم سكرام بصمت، ثم هزّ رأسه ببطء من جانب إلى آخر. "لماذا كان عليَّ أن أمرض؟ كان كل شيء على ما يرام، حقاً. والترجيحات لصالحي. حتى عندما أكون مُتعَباً، أحبّ السير. أَنظر إلى الناس، أَشمّ الهواء... لماذا؟ لماذا حصل هذا معي يا ربّ؟".

"لا أعرف"، قال أبراهام.

شَعَر غارّاتي بالافتتان بالموت يغمره من جديد، ونَفَر منه. حاوَل أن يطرده بعيداً. لم يكن هذا

عدلاً. ليس عندما يكون المرء صديقاً.

"كم الساعة الآن؟"، سأل سكرام فجأة، وهذا ذكَّر غارّاتي بأولسون بشكل مُوحِش.

"العاشرة وعشر دقائق"، قال بايكر.

"مجرد ثلاثمئة وعشرين كيلومتراً على الطريق"، أضاف ماكفريز.

"قدماي غير مُتعَبتين"، قال سكرام. "هذا شيء ملفت للانتباه".

كان هناك فتى صغير يصرخ بحماسة على الخطوط الجانبية. وطغى صوته على تمتمات الحَشد المنخفضة بفضل صخبه. "انظري يا ماما إلى الشاب الكبير! انظري إلى هذا الموظ! انظري يا ماما!".

مسحت عينا غارّاتي الحَشد سريعاً ووقعتا على الفتى في الصف الأول. كان يرتدي قميصاً تائياً عليه صورة راندي الروبوت ويحملق بشطيرة مربى نصف مأكولة. لوَّح له سكرام.

"الأطفال لطفاء"، قال. "أتمنى أن تكون كاثي حاملاً بصبي. كلانا نريد صبياً. ستكون الفتاة جيدة، لكنكم تعرفون قصدي... الصبي... يحافظ على اسمك واسم العائلة. لا أقصد أن سكرام إسم عظيم". ضحِك، وتذكّر غارّاتي ما قاله ستابنز، عن تحصين النفس ضد الموت.

اقترب منهم سائرٌ وردي الخدّين يرتدي كنزة زرقاء متهدّلِة، وأطلعهم على آخر الأخبار. مايك، من ثنائي مايك وجو، فتيا الجلد، أُصيب فجأة بتشنّج في المعدة.

مرَّر سكرام يده على جبهته. ارتفع صدره وانخفض في تشنّج سعال حاد نجا منه بطريقة ما. "هذان الفتَيان من حيّي"، قال. "كان يمكننا أن نأتي معاً لو كنتُ أعرف. إنهم من قبيلة الهوبي".

"نعم"، قال بيرسون. "أخبرتنا هذا".

بدا سكرام مُحتاراً. "حقاً؟ حسناً، لا يهمّ. يبدو أنني لن أقوم بالرحلة لوحدي، على أي حال. أتساءل–".

ارتسم تعبير إصرار على وجه سكرام. بدأ يزيد سرعته. ثم عاد وأبطأ للحظة واستدار ليواجههم. بدا هادئاً الآن، مستقراً. نَظَر إليه غارّاتي، منبهراً رغماً عنه.

"لا أظن أنني سأراكم مرة أخرى". لم يكن هناك شيء في صوت سكرام سوى وقار بسيط.

"وداعاً".

كان ماكفريز أول من أجابه. "وداعاً يا رجل"، قال بصوت أجش. "رحلة موفّقة".

"نعم، حظاً سعيداً"، قال بيرسون، ثم أشاح بنظره.

حاوَل أبراهام أن يتكلم لكنه لم يتمكن من ذلك. أدار وجهه الشاحب وشفتيه المتلويّتين.

"هوِّن عليك"، قال بايكر. كان وجهه وقوراً.

"وداعاً"، قال غارّاتي بشفتين مجمَّدتين. "وداعاً يا سكرام، رحلة موفّقة، راحة موفّقة".

"راحة موفّقة؟"، ابتسم سكرام قليلاً. "المسيرة الحقيقية قد لا تزال أمامنا".

سرَّع خطواته إلى أن لحِق بمايك وجو، بوجهيهما الفاترَي الإحساس وسترتيهما الجلديتين الرثّتين. لم يسمح مايك لنفسه أن يذعن للتشنّجات. كان يسير ضاغطاً يديه على أسفل بطنه. كانت سرعته ثابتة.

تكلَّم سكرام معهما.

كان الجميع يراقبهم. بدا أن ثلاثتهم تشاوَروا لفترة طويلة جداً.

"تباً، ما الذي يدبِّرونه الآن؟"، همَس بيرسون بخوف لنفسه.

انفضّ الاجتماع فجأة. سار سكرام مبتعداً عن مايك وجو. حتى من الخلف، كان غارّاتي قادراً على الشعور بالألم الشديد لسعاله. راح الجنود يراقبون ثلاثتهم بدقة. وَضَع جو يداً على كتف أخيه وضغط عليه بقوة. نَظَرا إلى بعضهما البعض. لم يستطع غارّاتي رؤية أي تعبير على وجهيهما البرونزيين. ثم أسرعَ مايك قليلاً ولحِق بسكرام.

بعد لحظة، استدار مايك وسكرام إلى الخلف فجأة وبدأا يسيران نحو الحَشد، الذي أحسَّ بالنكهة الحادة المميّزة لفاجعتهما، فراحوا يزعَقون بينما تفرّقوا وابتعدوا عنهما كما لو أنهما مصابان بالطاعون.

نَظَر غارّاتي إلى بيرسون ورآه يعض على شفتيه.

حُذِّر الفتَيان، وعندما وصلا إلى الدرابزين الذي يسوِّر الطريق، استدارا بذكاء وواجَها العربة

نصف المجنزَرة المقترِبة منهما. امتدّ إصبعان وسطيان في الهواء في اللحظة نفسها.

"ضاجعتُ أمك وكانت مسرورة جداً"، صاح سكرام.

قال مايك شيئاً بلغته.

علت صيحات ابتهاج صاخبة من السائرين، وشعَر غارّاتي بدموع خفيفة تحت جفنيه. كان الحَشد صامتاً. وكانت البقعة خلف مايك وسكرام خالية تماماً. حصلا على تحذيرهما الثاني، ثم جلسا القرفصاء معاً، وبدأا يتكلمان بهدوء. شَعَر غارّاتي أن ذلك غريب جداً بينما كانوا يمرّون بجانبهما، لأن سكرام ومايك لم يبدوا يتكلمان نفس اللغة.

لم يلتفت إلى الوراء. لا أحد منهم اِلتفَت إلى الوراء، ولا حتى بعد أن انتهى كل شيء.

"أياً يكن مَن يفوز، من الأفضل له أن يفي بوعده"، قال ماكفريز فجأة. "هذا أفضل له".

لم يقل أحد شيئاً.

الفصل 13

"جواني غرينبلوم، انزلي!".

– جوني أولسون
البرنامج التلفزيوني The New Price is Right

الثانية بعد الظهر.

"أنت تغشّ أيها اللعين!"، صرَخ أبراهام.

"أنا لا أغشّ"، قال بايكر بهدوء. "أنت تَدين لي بدولار وأربعين سنتاً".

"أنا لا أدفع للغشّاشين". أمسَك أبراهام بقطعة السنتات العشرة التي كان ينقفها بإحكام في يده.

"ولا أُطابق مالي عادة مع الشباب الذين ينعتونني هكذا"، قال بايكر بتجهّم، ثم ابتسم. "لكن في حالتك يا آبي، سأقوم باستثناء. لديك طرق عديدة للفوز بحيث لا يسعني أن أرفض".

"اصمت وانقف"، قال أبراهام.

"آه، أرجوك لا تخاطبني بهذه النبرة"، قال بايكر بشكل خسيس، وهو يقلب عينيه. "قد يُغمى عليَّ وأموت!". ضحِك غارّاتي.

نخَر أبراهام ونَقَفَ قطعة السنتات العشرة خاصته، والتقطها، وخبطَها على معصمه. "طابقني".

"حسناً". نَقَفَ بايكر قطعة السنتات العشرة خاصته إلى أعلى، والتقطها برشاقة أكبر و، كان غارّاتي متأكداً، خبطَها على حافة يده.

"أَظهِر قطعتك أولاً هذه المرة"، قال بايكر.

"لا-لا. لقد أَظهرتُ قطعتي في المرة السابقة".

"تباً لك يا آبي. لقد أَظهرتُ قطعتي أولاً لثلاث مرات متتالية قبل هذه المرة. ربما أنت الذي يغشّ".

تمتم أبراهام، وفكَّر قليلاً، ثم كشفَ قطعة السنتات العشرة خاصته. كانت تُظهِر كتابةً، فتُبيِّن نهر بوتوماك مسيَّجاً بأوراق غار.

رفع بايكر يده، واختلس النظر تحتها، وابتسم. قطعة السنتات العشرة خاصته تبيِّن كتابةً أيضاً. "تَدين لي بدولار ونصف".

"يا إلهي، لا شك أنك تعتقد أنني مغفّل!"، صاح أبراهام. "أنت تظن أنني أحمق، أليس كذلك؟ هيا اعترف بذلك! لما لا نحتال على الريفي الأحمق، أليس كذلك؟".

ظهر بايكر وكأنه يفكّر.

"هيا، هيا!"، صاح أبراهام. "يمكنني تقبُّل ذلك!".

"الآن وقد ذكرتَ ذلك أمامي"، قال بايكر، "لم يخطر على بالي أبداً أن أعتبرك ريفياً أحمق. أما بالنسبة للاحتيال عليك" - وضَعَ يداً على كتف أبراهام - "فهذا مُحال يا صديقي".

"هيا"، قال أبراهام ببراعة. "ضعف المكسب الإجمالي أو لا شيء. وهذه المرة أنت تُظهِر قطعتك أولاً".

فكَّر بايكر. ونَظَر إلى غارّاتي. "هل ستقبل يا راي؟".

"أقبل ماذا؟". كان غارّاتي قد شرد عن متابعة كل تفاصيل الحديث. فقد بدأ يشعر بشعور غريب في رِجله اليسرى.

"هل ستقبل أن تضاعف المكسب أو لا شيء مع زميلنا هذا؟".

"لما لا؟ ففي النهاية، هو مغفّل جداً لكي يغشّك أنت".

"غارّاتي، اعتقَدتُ أنك صديقي"، قال أبراهام ببرودة.

"حسناً، دولار ونصف، ضعف المكسب أو لا شيء"، قال بايكر، وكان ذلك عندما امتدّ الألم المُبرِح صعوداً في رِجل غارّاتي اليسرى، جاعلاً كل الألم السابق خلال الثلاثين ساعة الماضية يبدو مجرد همس بالمقارنة.

"رِجلي، رِجلي، رِجلي!"، صَرَخ، غير قادر على منع نفسه من فعل ذلك.

"آه، يا إلهي، غارّاتي". كان لدى بايكر الوقت الكافي ليقول ذلك – ولم يكن هناك شيء في صوته سوى تفاجؤ طفيف، ثم تجاوزاه، وبدا له أن الجميع يتجاوزونه بينما يقف هناك برِجله اليسرى المشدودة والمتألمة، يتجاوزونه، يتركونه خلفهم.

"تحذير! تحذير ل. 47!".

لا تهلع. جلَس على الرصيف، مادّاً رِجله اليسرى المتخشِّبة أمامه. بدأ يدلِّك العضلات الكبيرة. حاوَل أن يدعَكَها. كان ذلك أشبه بمحاولة دَعْك العاج.

"غارّاتي؟". كان ماكفريز. بدا خائفاً... بالتأكيد كان ذلك مجرد وهم؟ "ما الأمر؟ تشنّج؟".

"أجل، أظن ذلك. واصِل طريقك. سأكون بخير".

الوقت. كان الوقت يمرّ بسرعة له، لكن يبدو أنه تباطأ جداً لكل الآخرين. كان ماكفريز يزيد سرعته ببطء، فظهر أحد كَعبيه، ثم الآخر، ثم وميضٌ من الأظافر البالية، ولمحةٌ خاطفةٌ لجلد حذائه المشقَّق والرقيق جداً. كان باركوفيتش يمرّ ببطء، وقد ارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهه، وغمرت موجة هدوء متوتّر الحَشد ببطء، منتقلةً في الاتجاهين من مكان جلوسه، مثل موجات زجاجية رائعة متوجِّهة نحو الشاطئ. تحذيري الثاني، فكّر غارّاتي في سرّه، تحذيري الثاني قادم، هيا أيتها الرِجل، هيا أيتها الرِجل اللعينة. لا أريد أن أحصل على بطاقة، ما رأيك، هيا، لا تخذليني.

"تحذير! التحذير الثاني يا 47!".

نعم، أعرف، هل تعتقدون أنه لا يمكنني أن أعدّ، هل تعتقدون أنني أجلس هنا محاولاً الحصول على بعض الإسمرار؟

كانت معرفة الموت، الحقيقية وغير القابلة للجدل مثل صورة فوتوغرافية، تحاول التوغّل فيه وغمره كلياً. تحاول أن تشُلّه. أوصَدَ الباب بوجهها ببرودة يائسة. كان فخذه يؤلمه كثيراً، لكنه بالكاد شعر بذلك في تركيزه الكبير. لم يبقَ لديه سوى دقيقة. لا، خمسون ثانية الآن، لا، خمس وأربعون.

الوقت يتبدَّد بسرعة.

بتعبير صارم تقريباً على وجهه، دفَع غارّاتي أصابعه في عضلاته المشدودة والمجمَّدة. وراح يدلِّك. ويدعَكْ. تكلَّم مع رِجله في سرّه. هيا، هيا، هيا، أيها الشيء اللعين. بدأت أصابعه تؤلمه ولم يلاحظ ذلك كثيراً أيضاً. مرَّ ستابنز بجانبه وهمس شيئاً. لم يسمع غارّاتي ما قاله. ربما كان يتمنّى له حظاً سعيداً. ثم أصبح لوحده، جالساً على الخط الأبيض المتقطِّع الذي يفصل بين ممر السيارات وممر المشاة.

ذهب الجميع. السيرك غادر البلدة للتو، سحَب الأوتاد من وسط كل شيء وغادر البلدة، لم يبقَ أحد سوى هذا الولد غارّاتي ليواجه فراغ غلافات السكاكر المسطَّحة وأعقاب السجائر المهروسة والجوائز الخردة المرمية.

ذهب كل شيء ما عدا جندي واحد، يافع وأشقر ووسيم بطريقة بعيدة من الطرق. كانت ساعة توقيته الفضية في يد، وبندقيته في الأخرى. لا رحمة على وجهه.

"تحذير! تحذير لـ 47! التحذير الثالث يا 47!".

لم تكن العضلة ترتخي أبداً. كان سيموت. بعد كل هذا، بعد تمزيقه أحشاءه، هذه كانت الحقيقة، في النهاية.

أفلتَ رِجله وحدَّق بهدوء في الجندي. تساءل مَن كان سيفوز. تساءل إن كان ماكفريز سيصمد أطول من باركوفيتش. تساءل كيف يشعر المرء عند دخول رصاصة في رأسه، إن كانت الظلمة ستحلّ عليه فجأة أو أنه سيشعر في الواقع بأفكاره تتمزَّق.

بدت الثواني القليلة الأخيرة تنقضي بسرعة.

ارتخى التشنّج. وعاد الدم يتدفّق في العضلة، مما جعله يشعر بوخز إبر ودبابيس فيها، وجعلها دافئة. وضع الجندي الأشقر ذو الوجه الوسيم عن بُعد ساعة توقيته في جيبه. وتحرَّكت شفتاه بصمت بينما كان يعدّ الثواني القليلة الأخيرة.

لكن لا يمكنني النهوض، فكّر غارّاتي في سرّه. فالجلوس مريح جداً. فقط اجلس ودع الهاتف يرنّ، اللعنة على هذا، لماذا لم أنزع سلك الهاتف من المقبس الجداريّ؟

تركَ غارّاتي رأسه يرجع إلى الوراء. بدا أن الجندي ينظر إليه من مكان شاهق، كما لو أنه

يقف عند فم نفق أو حافة بئر عميق. نقَل البندقية إلى يديه بحركة بطيئة وقبَّلَت سبابته اليمنى الزناد، ثم لوى رأسه حولها وبدأت الفوهة تتوجَّه نحوه. كانت يد الجندي اليسرى تقبض على مخزن الرصاصات. انعكس نور الشمس على خاتم زواج. كان كل شيء بطيئاً. بطيئاً جداً. فقط... أوقفوا الهاتف.

هذا، فكّر غارّاتي في سرّه.

هذا هو شعور. أن تموت.

كان إبهام الجندي الأيمن يبرم مقبض الأمان إلى موضع الفتح ببطء مُتقَن. وكانت ثلاث نساء هزيلات يقفن خلفه مباشرة، ثلاث أَخوات غريبات، أوقفوا الهاتف. فقط أوقفوا الهاتف لدقيقة أخرى، لديَّ شيء يستحق الموت هنا. أشعة الشمس، الظل، السماء الزرقاء. السُحُب المندفعة على الطريق العام. كان ستابنز مجرد ظهر الآن، مجرد قميص أزرق عليه لطخة عرق بين لوحَي الكتفين، وداعاً يا ستابنز.

دوَّت الأصوات عليه. لم تكن لديه أي فكرة إن كان ذلك من خياله، أو إدراك مشتدّ، أو مجرد حقيقة مدّ الموت يده نحوه. قفز مقبض الأمان إلى مكانه الجديد بصوت يشبه انكسار غصن شجرة. وكان صوت اندفاع الهواء بين أسنانه يشبه صوت نفق رياح. وصوت نبضات قلبه مثل صوت طبل. كان هناك غناء مرتفع، ليس في أذنيه بل بينهما، يتصاعد ويتصاعد، وكان متأكداً بجنون أنه الصوت الفعلي للموجات الدماغية–

قفز إلى قدميه في اندفاعة متشنّجة، صارِخاً. ورمى نفسه في ركض منزلق متسارع. كانت قدماه مصنوعتين من ريش. واشتدّ ضغط إصبع الجندي على الزناد وابيَضَّ. ألقى نظرة سريعة على الكمبيوتر المربوط على خصره، وهو عبارة عن أداة تتضمن جهاز سونار صغيراً لكن متطوّراً. قرأ غارّاتي مقالاً عنها في أحد الأيام في مجلة علم الميكانيكا الشعبية. يمكنها أن تعرض سرعة سائر واحد إلى أدقّ قيمة تريدها، حتى حدود أربعة أعداد بعد النقطة العشرية.

ارتخى إصبع الجندي.

أبطأ غارّاتي سيره إلى سرعة سريعة جداً، بفمه القطني الجاف، وقلبه الذي يخفق بسرعة مطرقة سقّاطة. ولمعت ومضات بيضاء غير نظامية أمام عينيه، وللحظة مُرعبة كان متأكداً أنه سيُغمى عليه. زال ذلك الشعور. وراحت قدماه الغاضبتان على ما يبدو من حرمانها من راحتها

الشرعية، تصرخان عليه بقوة. كزَّ على أسنانه وتحمَّل الألم. كانت العضلة الكبيرة في رِجله اليسرى لا تزال ترتعش بشكل مخيف، لكنه لم يكن يعرج. حتى الآن.

نَظَر إلى ساعته. كانت 2:17 بعد الظهر. سيبقى طوال الساعة القادمة على بُعد أقل من ثانيتين من الموت.

"عدتَ إلى أرض الأحياء"، قال ستابنز بعد أن لحِق به.

"بالتأكيد"، قال غارّاتي بشكل خَدِر. شعَر بموجة امتعاض فجأة. كانوا ليُكملون سيرهم حتى ولو اشترى بطاقته. لا دموع تُذرَف عليه. مجرد إسم ورقم سيُكتبان في السجلات الرسمية – غارّاتي، ريموند، رقم 47، أُقصيَ عند الكيلومتر ال350. وقصة تثير المشاعر الإنسانية في صحف الولاية ليومين من الزمن. مات غارّاتي؛ أصبح "ممثل ماين" المشارك الحادي والستين الذي يسقط!

"آمل أن أفوز"، تمتم غارّاتي.

"هل تظن أنك ستفوز؟".

تذكّر غارّاتي وجه الجندي الأشقر. لقد أظهرَ وجهه مقداراً من الإحساس مماثلاً لمقدار الإحساس الذي يُظهره طبق بطاطا.

"أشك في ذلك"، قال. "لقد قمتُ بثلاث ضربات فاشلة. وهذا يعني في البيسبول أنني سأُطرَد، أليس كذلك؟".

"اعتبر الضربة الأخيرة كأنها كُرة توجَّهت إلى اللاعب الماسك مباشرةً"، قال ستابنز. كان ينظر إلى قدميه من جديد.

راح غارّاتي يرفع قدميه، حافراً هامش الثانيتين في ذهنه مثل الحفر في الصخر. لن يكون هناك تحذيرٌ هذه المرة. ولا حتى وقت لكي يقول له أحدهم إن عليه أن يُسرِع قليلاً وإلا سينال بطاقته.

لحِق بماكفريز، الذي ألقى نظرة سريعة حوله. "اعتقَدتُ أنك أصبحتَ في خبر كان"، قال ماكفريز.

"وأنا أيضاً".

"كان وشيكاً إلى هذا الحد؟".

"حوالي ثانيتين، أظن".

زمّ ماكفريز شفتيه في تصفير صامت. "لا أعتقد أنني أريد أن أكون مكانك الآن. كيف حال رِجلك؟".

"أفضل. اسمع، لا يمكنني التكلم. سأتقدَّم إلى الطليعة لبعض الوقت".

"هذا لم ينفع هاركْنس".

هزّ غارّاتي رأسه. "عليَّ التأكد أنني أسير بالسرعة القصوى".

"حسناً. أتريد مَن يرافقك؟".

"إذا كانت لديك الطاقة".

ضحِك ماكفريز. "لديَّ الوقت إذا كان لديك المال يا عسل".

"هيا إذاً. دعنا نزيد سرعتنا بينما لا تزال لديَّ العزيمة لذلك".

زاد غارّاتي سرعته إلى أن أصبحت رِجلاه على وشك التمرّد، واخترق وماكفريز بسرعة صفوف السائرين في الطليعة. كانت هناك مسافة بين الفتى الذي يسير في المرتبة الثانية، وهو فتى فارع الطول ذو وجه شرير يدعى هارولد كوينس، وبين الناجي من فتيَي الجلد. جو. كانت بشرته عن قُرب برونزية بشكل مُذهِل. وعيناه تحدَّقان بثبات في الأفق، وملامحه غير معبِّرة. وراحت السحّابات العديدة في سترته تجلجِل، مثل صوت موسيقى بعيدة.

"مرحبا يا جو"، قال ماكفريز، وأحسَّ غارّاتي برغبة عارمة بأن يضيف، ماذا تعرف؟

"مراحب"، قال جو باقتضاب.

تجاوزوه ثم أصبح الطريق لهم، شريطٌ عريضٌ ذو اتجاهين ملطَّخ بالزيت ويفصل بينهما فاصل عشبي وسطي، يحدّه جدار هادئ من الأشخاص على الجانبين.

"إلى الأمام، إلى الأمام دائماً"، قال ماكفريز. "جنود بواسل، يزحفون إلى الحرب. هل سمعتَ هذا من قبل يا راي؟".

"كم الساعة الآن؟".

ألقى ماكفريز نظرة سريعة على ساعته. "2:20، اسمع يا راي، إذا كنتَ س –".

"يا إلهي، هل هذا كل شيء؟ ظننتُ–". وشعَر بالذعر يزداد في حنجرته، دهني وسميك. لم يكن سيتمكن من القيام بذلك. كان الهامش ضيقاً جداً.

"اسمع، إذا كنتَ ستواصل التفكير بالوقت، ستُصاب بالجنون وتحاول الركض نحو الحَشد فيقتلونك مثل كلب. ستموت مادّاً لسانك واللعاب يسيل على ذقنك. حاول نسيان الأمر".

"لا أستطيع". كان كل شيء يتراكم داخله، مما جعله يشعر بالتشنّج والسقم. "أولسون... سكرام... ماتا. ودايفدسون مات. يمكنني أن أموت أيضاً يا بيت. أصبحتُ أصدِّق هذا الآن. إنه يلهث على ظهري اللعين!".

"فكِّر بحبيبتك جانيس. أو بأمك. أو بقطتك اللعينة. أو لا تفكِّر بأي شيء. فقط ارفعها واطرحها أرضاً. فقط واصل السير على الطريق. ركِّز على ذلك".

حارَب غارّاتي ليسيطر على نفسه. ربما تمكَّن من ذلك قليلاً. لكنه كان يتفكَّك بنفس المقدار أيضاً. لم تعد رِجلاه ترغبان بإطاعة أوامر ذهنه، وبَدَتا عجوزتين ومضطربتين مثل لمبات قديمة.

"لن يصمد طويلاً"، قالت امرأة في الصف الأمامي بصوت مسموع جداً.

"لن يصمد ثدياكِ طويلاً أيضاً!"، ردَّ عليها غارّاتي بحدّة، وهتف له الحَشد.

"إنهم مضطربون عاطفياً"، تمتم غارّاتي. "إنهم مضطربون عاطفياً حقاً. منحرِفون. كم الساعة الآن يا ماكفريز؟".

"ماذا كان أول شيء فعلتَه عندما استلمتَ رسالة تأكيدك؟"، سأله ماكفريز بلطف. "ماذا فعلتَ عندما عرفت أنك ستشارك حقاً؟".

عبس غارّاتي، ومسَح ساعده بسرعة على جبهته، ثم حرَّر ذهنه من الحاضر المروِّع المبلَّل بالعرق إلى تلك اللحظة الوامضة المفاجئة.

"كنتُ لوحدي. وأمي في عملها. كان بعد ظهر جمعة. الرسالة موجودة في صندوق البريد وعليها ختم بريد ويلمنغتون، ديلاوير، لذا عرفتُ محتوياتها. لكنني كنتُ متأكداً أنها تُخبرني أنني رسَبتُ في الاختبار البدني أو الذهني أو الاثنين معاً. قرأتُها مرتين. لم أُقم أي احتفالات، لكنني كنتُ مسروراً. مسروراً حقاً. وواثقاً. لم تكن قدماي تؤلمانني وقتها ولم أكن أشعر كما لو أن أحدهم ضرب

ظهري بمدمّة. كنتُ واحداً في مليون. لم أكن ذكياً كفاية لأُدرك أن سيدة السيرك السمينة لم تكن ذكية هي أيضاً".

صمتَ للحظة، وراح يفكِّر، ويتذكّر رائحة أوائل إبريل.

"لم أتمكن من التراجع. كان هناك عدد كبير من الأشخاص يراقبونني. أعتقد أن الأمر لا بد أن يكون مماثلاً مع الجميع. أظن أنها إحدى الطرق التي يقلبون بها موازين اللعبة. تركتُ آخر مهلة للانسحاب في الخامس عشر من أبريل تمرّ وأقاموا لي في اليوم التالي عشاء تكريمياً كبيراً في دار البلدية – كان كل أصدقائي هناك وبعد تناول الحلوى بدأ الجميع يطالبونني بإلقاء كلمة! فخرَجتُ وتمتمتُ شيئاً عن كيف أنني سأبذل قصارى جهدي لكي أفوز، وراح الجميع يصفِّقون بجنون. كان ذلك كما لو أنني طبعتُ عنوان غيتيسبرغ اللعين على رؤوسهم. تعرف ما أقصده؟".

"نعم، أعرف"، قال ماكفريز، وضحِك – لكن عينيه كانتا داكنتين.

دوّت البنادق خلفهما فجأة. جفلَ غارّاتي متشنّجاً وكاد يجمد في مكانه. لكنه تمكَّن من مواصلة السير بطريقة ما. الغريزة العمياء هذه المرة، فكّر في سرّه. ماذا بشأن المرة القادمة؟

"الحقير"، قال ماكفريز بلطف. "إنه جو".

"كم الساعة الآن؟"، سأل غارّاتي، وقبل أن يستطيع ماكفريز الردّ، تذكَّر أنه يرتدي ساعة. كانت 2:38. يا إلهي. كان هامش الثانيتين أشبه بثقّالة حديدية على ظهره.

"ألم يحاول أحدٌ أن يُقنعك بالعدول عن ذلك؟"، سأل ماكفريز. كانوا قد ابتعدوا كثيراً عن الباقين الآن، أمام هارولد كوينس بحوالي مئة متر. كان قد أُرسِل جنديٌّ ليرافقهما ويراقبهما. كان غارّاتي مسروراً أنه لم يكن الشاب الأشقر. "ألم يحاول أحدٌ أن يُقنعك أن تستخدم فرصة 31 أبريل للانسحاب؟".

"ليس في البدء. أمي وجانيس والدكتور باترسون – إنه صديق خاص لأمي، فقد بقيا يلازمان بعضهما طوال السنوات الخمسة الأخيرة – كانت الأمور تتطوَّر بهدوء بينهما في البدء. كانا مسرورَين وفخورَين لأن معظم الأولاد في البلد الذين تفوق أعمارهم الثانية عشرة خضعوا للاختبارات لكن نجح اثنان بالمئة منهم فقط. وهذا لا يزال يعطي آلاف الأولاد ويمكنهم استخدام مئتين – مئة سائر ومئة احتياطي. ولا توجد مهارة مميزة لكي يتم اختيارك، أنت تعرف هذا".

"بالتأكيد، لأنهم يسحبون الأسماء من ذلك الوعاء اللعين. حدث تلفزيوني مذهل". تصدَّع صوت ماكفريز قليلاً.

"أجل. سحَب الرائد الأسماء المئتين، لكنهم لا يُعلنون سوى الأسماء. فلا تعرف إن كنتَ سائراً أو مجرد احتياطي".

"ولا يُبلغونك ماذا ستكون صفتك حتى تاريخ الانسحاب الأخير نفسه"، وافَق ماكفريز، وكان يتكلَّم عن المسألة كما لو أن موعد الانسحاب الأخير كان منذ سنوات وليس منذ أربعة أيام فقط. "أجل، يفضّلون تكديس الفتيان بطريقتهم الخاصة".

شخصٌ في الحَشد أطلقَ للتو مجموعة صغيرة من البالونات. فارتفعت إلى السماء في أقواس من الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر. ونقلتها الرياح الجنوبية الهادئة بعيداً بسلاسة تامة.

"أظن ذلك"، قال غارّاتي. "كنا نشاهد التلفزيون عندما سحَب الرائد الأسماء. كنتُ الرقم الثالث والسبعين من الوعاء. سقطتُ عن كرسيي فوراً. لم أتمكن من تصديق ما أراه".

"لا، لا يُعقَل أن تكون أنت"، وافَق ماكفريز. "فهذا النوع من الأمور يحصل دائماً للشاب الآخر".

"نعم، هذا هو الشعور. عندها بدأ الجميع يوبّخني. لم يكن مثل تاريخ الانسحاب الأول عندما كان مليئاً بالخُطب والعزائم. جانيس...".

صمتَ. لما لا؟ فقد أخبره كل شيء آخر. لا يهمّ. إما هو أو ماكفريز سيموت قبل أن ينتهي كل هذا. كلاهما على الأرجح. "قالت جانيس إنها ستدعمني كلياً، في أي الوقت، بأي طريقة، بقدر ما أشاء من مرات إذا استخدمتُ موعد الانسحاب في 31 أبريل. أخبرتُها أن ذلك سيجعلي أشعر أنني إنتهازي، وهذا أغضبها مني كثيراً وقالت إن ذلك أفضل من أن أشعر أنني ميت، ثم بكت كثيراً. وتوسَّلتني". نظرَ غارّاتي إلى ماكفريز. "لا أعرف. لو طلبَت مني أي شيء آخر، لكنتُ حاوَلتُ تنفيذه لها. لكن هذا الشيء بالذات... لم أستطع. كان الأمر أشبه بوجود حجر عالق في حنجرتي. عرفَت بعد حين أنه لا يمكنني قبول الاتصال بالرقم 800. أعتقد أنها بدأت تفهم. ربما في الوقت نفسه الذي بدأتُ فيه أنا أفهم، والله يعلم أنه لم يكن قراراً سهلاً".

"ثم جاء دور الدكتور باترسون. إنه خبير بتشخيص الأمراض، ولديه حسّ منطقي هائل. قال، 'اسمع يا راي. بحسب المجموعة الأولية والاحتياطية، فرصتك بالصمود هي خمسين لواحد. لا تفعل

هذا من أجل أمك يا راي'. بقيتُ مهذّباً معه قدر ما استطعتُ، لكنني قلتُ له في النهاية أن ينسى الموضوع. قلتُ إنني أعلم أن احتمال أن يتزوَّج أمي مرتفع جداً، لكنني لم ألاحظه يتراجع أبداً بسبب ذلك".

مرَّر غارّاتي يديه في شعره. لقد نسي موضوع هامش الثانيتين.

"يا إلهي كم غضِب عندها. فراح يصرخ محتدّاً وأخبرني أنه لا يكترث إن كنتُ أريد أن أكسر قلب أمي. قال إنني عديم الإحساس مثل... قُرادة الخشب، أعتقد أن هذا ما قاله، عديم الإحساس مثل قُرادة الخشب، ربما هذا قول مأثور في عائلته أو شيء من هذا القبيل، لا أعرف. سألني عن شعوري بإلحاقي الأذى بأمي وبفتاة لطيفة مثل جانيس. لذا واجهته بمنطق غير قابل للجدل خاص بي".

"حقاً؟"، قال ماكفريز مبتسماً. "وماذا كان ذلك؟".

"أخبرتُه أنني سأضربه إن لم يخرج".

"وماذا بشأن أمك؟".

"لم تقل الكثير أبداً. لا أعتقد أنها كانت قادرة على التصديق. وفكرة ما سأحصل عليه إذا فزتُ. الجائزة - كل شيء تريده لبقية حياتك - هذا أعمى بصيرتها نوعاً ما. كان لديَّ أخ، جف. توفى من التهاب رئوي عندما كان في السادسة من عمره، و - هذا أمر قاسٍ - لكن لا أعرف كيف كان حالنا لو أنه عاش. و... أظن أنها بقيت تظن أنني سأكون قادراً على الانسحاب إذا تبيَّن أنني من السائرين. الرائد رجل لطيف. هذا ما قالته. أنا متأكدة أنه سيدعك تنسحب إذا فهِم الظروف. لكن الفِرق تأخذك عندما تحاول الانسحاب من المسيرة الطويلة بنفس السرعة تماماً التي تأخذك بها عندما تتكلم ضدها. ثم تلقيتُ المكالمة وعرِفتُ أنني من السائرين".

"على عكسي".

"ماذا؟".

"نعم. اثنا عشر من السائرين الأصليين استخدموا 31 أبريل للانسحاب. كنتُ الاحتياطي الثاني عشر. تلقيتُ المكالمة بعد الحادية عشر ليلاً منذ أربعة أيام".

"يا إلهي! حقاً؟".

"أجل. كان وشيكاً إلى هذا الحد".

"ألا يجعلك هذا تشعر... بالمرارة؟".

اكتفى ماكفريز بهزّ كتفيه.

نَظَر غارّاتي إلى ساعته. كانت 3:02. ستصبح الأمور على ما يرام. فقد بدا ظله، الذي بدأ يطول في شمس بعد الظهر، يتحرّك بثقة أكبر قليلاً. كان يوماً لطيفاً من أيام الربيع. شَعَر أن رِجله بخير الآن.

"هل لا تزال تفكِّر بأنك قد... تجلس بكل بساطة؟"، سأل ماكفريز. "لقد صمدتَ أطول من معظم الفتيان. واحد وستّون منهم".

"أظن أن عدد الذين صمدنا أكثر منهم لا يهمّ. سيأتي وقت تنفد منا العزيمة ببساطة. لا يهمّ ماذا أظن، أتعلَمْ؟ مرَّ عليَّ وقت أحببتُ فيه الرسم بالزيت. لم أكن سيئاً جداً أيضاً. ثم اختفى كل شيء في أحد الأيام. لم أسأم تدريجياً، بل توقفتُ فجأة. لم تعد لديَّ الرغبة بمواصلة ذلك حتى ولو لدقيقة أخرى. خلدتُ إلى النوم في أحد الأيام وأنا أحبّ الرسم، وعندما استيقَظتُ كان كل شيء قد زال".

"بالكاد يمكننا اعتبار البقاء على قيد الحياة هوايةً".

"لا أعرف. ماذا بشأن الغطّاسين بدون أجهزة تنفّس؟ صيّادو الطرائد الكبيرة؟ متسلِّقو الجبال؟ أو حتى عامل المصنع الأبله الذي تكون فكرته عن تمضية وقت جيد ليالي السبت هو التشاجر مع الآخرين؟ كل هذه الأشياء تقلِّل البقاء على قيد الحياة إلى هواية. جزءٌ من اللعبة".

لم يقل غارّاتي شيئاً.

"من الأفضل أن نزيد سرعتنا قليلاً"، قال ماكفريز بلطف. "إننا نُبطئ. لا يمكننا فعل هذا".

زاد غارّاتي سرعته.

"أبي شريك في صالة سينما في الهواء الطلق"، قال ماكفريز. "كان سيقيّدني ويكمّم فمي ويرميني في القبو تحت مطعم الوجبات السريعة لكي يمنعني من المشاركة، سواء أتت الفِرق لتبحث عني أو لم تأت".

"وماذا فعلتَ؟ أرهقتَه بكل بساطة؟".

"لم يكن هناك وقت لذلك. عندما أتت المكالمة، كانت لديَّ عشر ساعات فقط. فقد خصّصوا

طائرة وسيارة مستأجرة في مطار بريسكيو آيل. راح يرغي ويزبد وبقيتُ أجلس هناك صامتاً وأومئ برأسي موافقاً وسرعان ما كان هناك قرع على الباب وعندما فتحت أمي، كان هناك جنديان ضخمان خسيسان يقفان عند المدخل. يا إلهي كم كانا بشعين. ألقى أبي نظرة واحدة عليهما وقال، 'پيتي، من الأفضل أن تصعد إلى الطابق العلوي وتُحضِر حقيبتك'". حرَّك ماكفريز الحقيبة إلى الأعلى والأسفل على كتفَيه وضحِك من هذه الذكرى. "وسرعان ما كنا على متن تلك الطائرة، حتى أختي الصغيرة كاترينا. إنها فقط في الرابعة من عمرها. حطَّت الطائرة عند الثالثة فجراً، وقادتنا السيارة إلى العلامة. وأعتقد أن كاترينا كانت الوحيدة التي فهمت ما الذي يجري حقاً. استمرت تقول 'پيتي ذاهب في مغامرة'". رفرف ماكفريز يديه بطريقة غير مكتملة وغريبة. "إنهم يقيمون في فندق رخيص في بريسكيو آيل. لم يريدوا العودة إلى المنزل إلى أن ينتهي كل هذا. بطريقة أو بأخرى".

نَظَر غارّاتي إلى ساعته. كانت 3:20.

"شكراً"، قال.

"لإنقاذ حياتك مرة أخرى؟"، ضحِك ماكفريز بمرح.

"نعم، لهذا بالضبط".

"هل أنت متأكد أن هذا سيكون معروفاً من أي نوع؟".

"لا أعرف". وصمتَ غارّاتي لبرهة. "لكنني سأخبرك شيئاً. بالنسبة لي، لن تعود الأمور مثلما كانت في السابق أبداً. حدود الوقت. حتى عندما تسير من دون تحذيرات، فلا توجد سوى دقيقتين تفصلان بينك وبين القبر. وهذا ليس بالوقت الطويل".

كما لو أن ذلك كان إشارة لهما، زأرت البنادق. أصدرَ السائر المثقوب صوت كركرة حاد، مثل ديك رومي أمسَكه فجأة مُزارع يسير بخطوات مكتومة الوقع. وأصدرَ الحَشد صوتاً منخفضاً قد يكون تنهيدة أو تأوهاً، أو حتى تعبيراً ضمنياً عن الاستمتاع.

"ليس طويلاً أبداً"، وافَق ماكفريز.

سارا. وأصبحت الظلال أطول. وظهرت سترات في الحَشد كما لو أن مشعوذاً استحضَرها من داخل قبعة حريرية. وشمَّ غارّاتي الرائحة الدافئة لدخان غليون مما أعاد له ذكرى خفية حلوة ومرّة عن أبيه. فرَّ كلب أليف من قبضة شخص وركَض نحو الطريق وهو يجرّ رَسَناً بلاستيكياً أحمر وراءه،

ولسانه الزهريّ متدلٍ من فمه، والرغوة على فكّيه. راح ينبَح ويطارد ذيله، وتلقى طلقة نارية عندما هجم بترنّح على بيرسون، الذي شتمَ بمرارة الجندي الذي أطلق عليه النار. دفعته قوة الرصاصة ذات العيار الثقيل إلى حافة الحَشد حيث تمدَّد بعينين غائمتين، وراح يلهث ويرتعش. لا أحد بدا قلقاً للمطالبة به. تخطى فتى صغير رجال الشرطة، ومشى في الممر الأيسر للطريق، ووَقَف هناك يبكي. تقدَّم جندي نحوه. فصَرَخت أمٌ بصوت حاد من داخل الحَشد. للحظة ذعر واحدة، ظنَّ غارّاتي أن الجندي سيطلق النار على الولد مثلما حصل مع الكلب، لكن الجندي اكتفى بإرجاع الفتى الصغير إلى الخلف إلى داخل الحَشد.

عند السادسة مساءً، لمست الشمس الأفق وحوَّلت السماء الغربية إلى اللون البرتقالي. وأصبح الهواء بارداً. رُفعَت الياقات. وراح المتفرِّجون يضربون الأرض بأقدامهم ويفركون أيديهم.

عبَّر كولي باركر عن شكواه الاعتيادية حول طقس ماين اللعين.

عند التاسعة والربع سنكون في أوغستا، فكّر غارّاتي في سرّه. مجرد وثبة من هناك إلى فريبورت. أصابته كآبة. ماذا بعد ذلك؟ ستتمكن من رؤيتها لدقيقتين، إلا إذا لم تلمحها بين الجماهير – لا سمح الله. ثم ماذا؟ تنطوي على نفسك؟

كان متأكداً فجأة أن جانيس وأمه لن تكونا هناك على أي حال. فقط الأولاد الذين يذهبون إلى نفس مدرسته، متلهّفين لرؤية المعتوه الانتحاري الذي ترعرع بينهم بالسر. وسيدات الإغاثة. سيكنَّ هناك. لقد أعطته سيدات الإغاثة كوب شاي قبل ليلتين من بدء المسيرة. في ذلك الوقت التقليدي القديم.

"هيا نرجع إلى الوراء"، قال ماكفريز. "سنفعل ذلك ببطء. نسير بجانب بايكر. سندخل أوغستا معاً. الفرسان الثلاثة الأصليون. ما رأيك يا غارّاتي؟".

"موافق"، قال غارّاتي. بدت فكرة جيدة.

راحوا يرجعون إلى الوراء قليلاً كل مرة، وتركوا في نهاية المطاف هارولد كوينس ذي الوجه الشرير يقود الاستعراض. عرِفوا أنهم عادوا إلى قومهم عندما سأل أبراهام، من داخل تجمُّع الظُلمة: "قرَّرتما أخيراً العودة وزيارة عامة الشعب؟".

"يا إلهي، إنه يشبهه حقاً"، قال ماكفريز وهو يحدِّق في وجه أبراهام المرهَق ذو اللحية التي عمرها ثلاثة أيام. "خاصة في هذا الضوء".

"منذ سبع وثمانين سنة"، دندَن أبراهام ذو السبعة عشر ربيعاً، وبدا للحظة مُوحِشة كما لو أن جنوناً مسَّه. "حطَّ أجدادنا على هذه القارة... آه، كلام فارغ. نسيتُ البقية. كان علينا تعلّمه في حصّة التاريخ في الصف الثامن إذا أردنا الحصول على علامة متفوقة".

"وجه أب مؤسِّس وذهنية حمار مُصاب بمرض الزُهري"، قال ماكفريز بحزن. "أبراهام، كيف أوقَعت نفسك في ورطة كهذه؟".

"تفاخَرتُ بنفسي للدخول"، قال أبراهام بحزم. بدأ يُكمل حديثه لكن البنادق قاطعته. كانت هناك اللطمة المألوفة لكيس البريد.

"هذا كان غالانت"، قال بايكر وهو يلتفت إلى الوراء. "كان يسير كالموتى طوال اليوم".

"تفاخَر بنفسه للخروج"، قال غارّاتي متأملاً، ثم ضحِك.

"بالتأكيد". مرَّر أبراهام يده على خدّه وحكَّ التجويف الكهفيّ تحت عينه. "هل تعرفون اختبار المقال؟".

أومأوا كلهم برؤوسهم. كان المقال، لماذا تشعر أنك مؤهَّل للمشاركة في المسيرة الطويلة؟، جزءاً قياسياً من القسم الذهني في الامتحان. شعَر غارّاتي بتقاطر دافئ على كَعبه الأيمن وتساءل إن كان ذلك من الدم أو القيح أو العرق، أو كل الخيارات أعلاه. لم يشعر بأي ألم، رغم أنه أحسَّ أن جوربه متعرّج هناك.

"حسناً، القصة وما فيها"، قال أبراهام، "لم أشعر أنني مؤهَّل بشكل خاص للمشاركة في أي شيء. خضعتُ للامتحان ارتجالاً. كنتُ في طريقي إلى السينما ومررتُ بجانب النادي الرياضي حيث كانوا يُجرون الاختبار. عليك إظهار بطاقة عملك لكي يسمحوا لك بالدخول، تعرفون هذا. وصدف أنني أحمل بطاقتي في ذلك اليوم. لو لم أكن أحملها، لما كنتُ تكبّدتُ عناء الذهاب إلى المنزل لإحضارها. بل كنتُ تابعتُ طريقي إلى السينما ولم أكن هنا الآن، أُحتضَر مع هكذا صُحبة مرِحة".

فكَّروا بما قاله بصمت.

"خضعتُ للاختبار البدني ثم مررتُ بسرعة على أمور الهدف ثم رأيتُ ذلك الفراغ الممتد على ثلاث صفحات في نهاية المجلد. 'الرجاء الإجابة على هذا السؤال بقدر ما تستطيع من موضوعية وصراحة، مع عدم استخدام أكثر من 1500 كلمة'، آه تباً، قلتُ لنفسي. الباقي كان مسلياً نوعاً ما. يا لها من مجموعة أسئلة لعينة".

"نعم، كم مرة تتغوَّط؟"، قال بايكر بجفاء. "هل سبق لك أن استخدمتَ النَّشوق؟".

"نعم، نعم، أمور كهذه"، وافَق أبراهام. "لقد نسيتُ كلياً ذلك السؤال الغبي عن النَّشوق. مررتُ عليها بسرعة، مكذِّباً قدر الإمكان، تعرفون قصدي، ووصلتُ إلى المقال عن سبب شعوري بأنني مؤهَّل للمشاركة. لم أكن قادراً على التفكير بأي شيء. ثم أخيراً مرَّ بجانبي وغدٌ يرتدي لباس جيش وقال، 'خمس دقائق. الرجاء من الجميع إنهاء الاختبار'. لذا دوَّنت بكل بساطة، 'أشعر أنني مؤهَّل للمشاركة في المسيرة الطويلة لأنني وغد عديم الجدوى، والعالم سيكون أفضل حالاً من دوني، إلا إذا صدف وفزتُ وأصبحتُ غنياً، وفي تلك الحالة سأشتري لوحة لفان غوخ لكل غرفة في قصري وأشتري ستين بائعة هوى من الصنف الفاخر ولا أُزعج أحداً'. فكَّرتُ بذلك لحوالي دقيقة، ثم كتبتُ بين قوسين: '(سأعطي كل بائعات الهوى الستين ذات الصنف الفاخر معاشات تقاعد أيضاً)'. قلتُ لنفسي إن هذا سيُفقدهم صوابهم حقاً. لذا بعد شهر – كنتُ قد نسيتُ المسألة بأكملها كلياً – تلقيتُ رسالة تقول إنني تأهَّلتُ. كدتُ أبلِّل سروالي".

"وأكملتَ حتى النهاية؟"، سأل كولي باركر.

"نعم، من الصعب شرح الأمر. القصة وما فيها أن الكل ظنّوا أنها نكتة كبيرة. وأرادت حبيبتي أن تصوِّر الرسالة وتطبعها على قميص تائي في متجر متخصِّص بذلك، بما أنها ظنَّت أنني نفّذتُ أكبر مقلب في القرن. كان الأمر هكذا مع كل شخص. فبقيتُ أتلقى التهاني، وكان هناك دائماً شخصٌ يقول شيئاً مثل، 'يا آبي، لقد نجحتَ في فرك أنف الرائد حقاً، أليس كذلك؟'. كان الأمر مضحكاً لدرجة أنني واصلتُ التصرّف على هذا الأساس. بصراحة"، قال أبراهام، مبتسماً بكآبة، "كان ذلك فرصةً حقيقيةً للمزاح والضحك. وظنَّ الجميع أنني سأواصل فرك أنف الرائد حتى النهاية. وهذا ما كنتُ أفعله. ثم استيقَظتُ في صباح أحد الأيام ووجدتُ نفسي مشاركاً. كنتُ سائراً رئيسياً، السادس عشر الذي يُسحَب إسمه من الوعاء، في الواقع. لذا أظن أن الرائد هو الذي كان يفرك لي أنفي".

انتشر هتاف صغير متقطّع بين السائرين، ورفع غارّاتي نظره ليرى لافتة ضخمة عاكسة للضوء تقول: أوغستا 16.

"يمكنك أن تموت من الضحك، أليس كذلك؟"، قال كولي.

نَظَر أبراهام إلى باركر لفترة طويلة. "الأب المؤسِّس ليس مسروراً"، قال بصوت أجوف.

الفصل 14

"وتذكّر أنك إذا استخدمتَ يديك، أو أومأتَ بأي عضو في جسمك، أو استخدمتَ أي جزء من الكلمة، ستخسر فرصتك للفوز بعشرة آلاف دولار. فقط اعطني لائحة. حظاً سعيداً".

– ديك كلارك
البرنامج التلفزيوني The Ten Thousand Dollar Pyramid

توافَقَ الجميع تقريباً أنه لم يعد هناك الكثير من المدى أو التأثّر العاطفي فيهم. لكن يبدو، حسبما شَعَر غارّاتي بضجر بينما كانوا يسيرون في العتمة الهادرة على الطريق العام رقم 202 بعد قطعهم أوغستا بكيلومتر تقريباً، أن الوضع لم يكن كذلك. مثل غيتار تعرَّض لمعاملة سيئة من قِبل موسيقي قاسي القلب، لم تكن الأوتار مقطوعة بل فقط غير مدوزَنة، ومتنافرة، وفوضوية.

لم تكن أوغستا مثل أولدتاون. فقد كانت أولدتاون أشبه بنيويورك ريفية خرقاء زائفة. بينما كانت أوغستا مدينة جديدة، مدينة مُحتفِلين مجانين من النوع الذي تزوره مرة واحدة في السنة، مدينة حفلات صاخبة مليئة بمليون ثمل وعصفور وقواق ومهووس بكل معنى الكلمة.

لقد سمعوا أوغستا وشاهدوا أوغستا قبل فترة طويلة من وصولهم إلى أوغستا. عادت صورة الموجات التي تلطم الساحل البعيد إلى ذهن غارّاتي مراراً وتكراراً. سمِعوا الحَشد عن بُعد ثمانية كيلومترات. وملأت الأضواء السماء بتوهّج مخيف ورؤيوي يشبه الفقاعات، وتذكّر غارّاتي الصور التي رآها في كتب التاريخ عن الغارات الجوية الألمانية على الساحل الشرقي الأميركي خلال الأيام الأخيرة للحرب العالمية الثانية.

حدَّقوا في بعضهم البعض بانزعاج وتقاربوا من بعضهم البعض مثل فتيان صغار في عاصفة

رعدية أو مثل أبقار في عاصفة ثلجية. كان هناك انفعالٌ تامٌ في صوت الحَشد المتزايد. جوعٌ مُخدِرٌ. تخيَّل غارّاتي صورة مخيفة للحَشد يشقّ طريقه عبر حوض أوغستا بأرجل عناكب قرمزية ويفترسهم كلهم أحياء.

البلدة نفسها كانت مبتلَعَة، ومخنوقة، ومدفونة. بأحد المعاني الحقيقية، لم تكن هناك أوغستا، ولم تكن هناك سيدات سمينات، أو فتيات جميلات، أو رجال متفاخِرون، أو أولاد مستثارون يلوّحون بسُحُب منتفخة من غزل البنات. لم يكن هناك رجل إيطالي صاخب لكي يرمي لهم شرحات بطيخ أحمر. فقط الحَشد، وكان أشبه بمخلوق من دون جسد، ومن دون رأس، ومن دون ذهن. شعَر غارّاتي أن الحَشد لم يكن سوى صوت وعين. وعرِف أن الآخرين شعروا بذلك أيضاً. كان ذلك أشبه بالسير بين أبراج كهربائية عملاقة، مع شعورهم بالوخز والصدمات توقف كل شعرة من أطرافها، وتجعل اللسان يتوتّر في الفم، وتجعل العينين تتشقّقان وتُطلقان شرارات بينما تتدحرَجان في سريرهما الرطبَين. يجب إسعاد الحَشد. يجب عِشق الحَشد والخوف منه. في نهاية المطاف، كان الحَشد يريد أضحية.

شقّوا طريقهم في بحر قصاصات ورقية ملوَّنة ذي عمق يبلغ الكاحل. أضاعوا بعضهم البعض وعثروا على بعضهم البعض في عاصفة أوراق مجلات ملوَّنة. انتزَع غارّاتي ورقة عشوائية من الهواء الداكن والمجنون ووجد نفسه ينظر إلى إعلان لتشارلز أطلس عن رياضة كمال الأجسام. أمسَك ورقة أخرى ووجد نفسه وجهاً لوجه مع جون ترافولتا.

وفي ذروة الإثارة، عند قمة التلة الأولى على الطريق رقم 202، وفي نقطة تطلّ على الطريق الرئيسي المليء بالحشود خلفهم والبلدة المُتخَمة عند أقدامهم، كان هناك ضوءان كشّافان ضخمان أرجوانيان وأبيضان يقسمان الهواء أمامهم وكان الرائد هناك، يبتعد عنهم في جيبه مثل هلوسةٍ، مؤدّياً تحيته الصارمة بشكل غافل إلى حد لا يُصدَّق عن الحَشد المتجمهر حوله.

والسائرون – لم تكن الأوتار مقطوعة في أحاسيسهم، فقط مُدَوزَنة بشكل سيئ. كانوا يهتفون بقوة بأصواتهم الصاخبة وغير المسموعة كلياً، السبعة والثلاثون الذين بقوا منهم. لم يكن يستطيع المتفرّجون معرفة أنهم يهتفون، لكنهم عرفوا ذلك بطريقة ما، فهِموا بطريقة ما أن الدائرة بين حب الموت والرغبة بالموت اكتملت لسنة أخرى، وأُصيبوا بجنون تام، ورموا أنفسهم في نوبات أكبر وأكبر. شعَر غارّاتي بألم مُبرِح في الجانب الأيسر لصدره وكان لا يزال غير قادر على التوقف عن الهتاف، رغم أنه فهِم أنه يقود عند شفير الكارثة.

أنقذهم كلهم سائرٌ ذو عينين ماكرتين يدعى ميليغان بسقوطه على رُكبتيه، مُغلقاً عينيه

وضاغطاً يديه على صدغيه، كما لو أنه يحاول إبقاء دماغه في الداخل. انزلق إلى الأمام كاشطاً طرف أنفه على الطريق مثل طبشورة ناعمة على سبّورةِ خشنة – كم هذا مدهش، فكّر غارّاتي في سرّه، أن يهشِّم هذا الولد أنفه على الطريق – ثم نُسِف ميليغان بشكل رحوم. توقف هتاف السائرين بعد ذلك. شَعَر غارّاتي بخوف كبير من الألم في صدرهِ الذي كان يهدأ جزئياً فقط. وَعَد نفسه أن تكون هذه نهاية الجنون.

"هل نقترب من حبيبتك؟"، سأل باركر. لم يضعُف، بل أصبح ليّناً. كان يروق لغارّاتي أكثر الآن.

"حوالي ثمانين كيلومتراً. وربما مئة".

"أنت محظوظ لعين يا غارّاتي"، قال باركر بحزن.

"أنا؟"، ردَّ متفاجئاً. استدار ليرى إن كان باركر يسخر منه. لم يكن باركر.

"سترى حبيبتك وأمك. وأنا مَن سأرى بين الآن والنهاية؟ لا أحد سوى هؤلاء القذرين". وأومأ بإصبعه الوسطي نحو الحَشد، الذي بدا أنه اعتبر الإيماءة كتحية وهتف لها بانفعال شديد. "أنا مشتاق للمنزل"، قال. "وخائف". وصاح فجأة في الحَشد: "قذرون! أنتم قذرون!". هتفوا له بصوتٍ عالٍ أكثر من السابق.

"أنا خائف أيضاً. ومشتاق للمنزل. أقصد... نحن...". تلعثم. "كلنا بعيدون جداً عن منازلنا. الطريق يُبعدنا. قد أراهما، لكنني لن أكون قادراً على لمسهما".

"القوانين تقول–".

"أعرف ما الذي تقوله القوانين. التواصل الجسدي مسموح مع أي شخص، طالما أنني لا أغادر الطريق. لكن الحالة ليست مشابهة. هناك جدار".

"سهل عليك أن تقول ذلك. ستراهما على الأقل".

"ربما ذلك سيزيد الوضع سوءاً"، قال ماكفريز وقد اقترب منهما بهدوء من الخلف. مرّوا للتو تحت إشارة تحذيرية صفراء وامضة عند تقاطع وينثروب. وكان باستطاعة غارّاتي رؤيتها تتناوب على الرصيف بعد أن مرَّوا تحتها، عين صفراء مخيفة، تُفتَح وتُغلَق.

"أنت مجنون"، قال باركر بلطف. "سأبتعد عن هذا". زاد سرعته قليلاً وسرعان ما اختفى في

الظلال الوامضة.

"يعتقد أننا نستلطف بعضنا البعض"، قال ماكفريز، مستمتعاً.

"يعتقد ماذا؟"، قفز رأس غارّاتي إلى الأعلى.

"ليس شريراً إلى هذا الحد"، قال ماكفريز بتبصّر. ألقى نظرة هزلية نحو غارّاتي. "ربما هو على حق إلى حد ما. ربما لهذا السبب أنقذتُ لك حياتك. ربما أنا أستلطفك".

"بوجه مثل وجهي؟ اعتقَدتُ أن المنحرفين يفضّلون النوع الممشوق القوام". ومع ذلك، فقد شعر ببعض الانزعاج فجأة.

قال ماكفريز بشكل فجائي وصادم: "هل ستدعني أداعبك؟".

قال غارّاتي مستهجناً، "أيها اللعين–".

"آه، اصمت"، قال ماكفريز بفظاظة. "من أين تأتي بكل هذا الاعتداد بالنفس اللعين؟ لن أُسهِّل عليك المسألة أبداً بالسماح لك أن تعرف إن كنتُ أمزح أم لا. ماذا تقول؟".

شعَر غارّاتي بجفاف بغيض في حلقه. القصة وما فيها أنه أراد أن يُلمَس. ولم يعد يهمّه أن كان هذا غريباً أم لا، فالكل مشغول الآن في الاحتضار. كل ما يهمّه هو ماكفريز. لم يكن يريد أن يلمسه ماكفريز، ليس بهذه الطريقة.

"حسناً، أظن أنك أنقذتَ لي حياتي–"، وترك غارّاتي جملته غير مكتملة.

ضحِك ماكفريز. "هل يُفترَض بي أن أشعر بالحقارة لأنك تَدين لي بشيء وأنا أستغل الظرف؟".

"افعل ما تريده"، قال غارّاتي بعد قليل. "لكن توقف عن الاستهزاء بي".

"هل هذا يعني أنك موافق؟".

"أي شيء تريده!"، صاح غارّاتي. بيرسون، الذي كان يحدِّق في قدميه وكأنه منوَّم مغنطيسياً تقريباً، رفع نظره جافلاً. "أي شيء لعين تريده!"، صاح غارّاتي.

ضحِك ماكفريز مرة أخرى. "لا بأس بك يا راي. لم أشكّ بذلك أبداً". ربَّت على كتف غارّاتي

وتراجع إلى الخلف.

حدَّق فيه غارّاتي، مُحتاراً.

"لا يمكنه أن يكتفي أبداً"، قال بيرسون بضجر.

"ماذا؟".

"حوالي أربعمئة كيلومتر"، تأوه بيرسون. "قدماي ثقيلتان كالرصاص مع وجود سم في داخلهما. وظهري يحترق. وهذا الماكفريز المضطرب عاطفياً لم يكتفِ بعد. إنه مثل رجل متضوِّر جوعاً يبلع مُليّنات أمعاء".

"هل تظن أنه يريد أن يؤذيه أحد؟".

"يا إلهي، ما رأيك أنت؟ يجب أن يحمل لافتةً تقول اضربني بقوة. أتساءل ما الذي يحاول التعويض عنه.

"لا أعرف"، قال غارّاتي. كان سيضيف شيئاً آخر، لكنه رأى أن بيرسون لم يعد يستمع إليه. كان يراقب قدميه من جديد، وملامحه المرهَقة مرسومة في خطوط رعب. لقد فَقَدَ حذاءه. والجوربان الرياضيان الأبيضان القذران في قدميه يخلّفان أقواساً بيضاء رمادية في الظلمة.

مرّوا بلافتة تقول "لويستون 52"، وبعد كيلومتر منها كانت هناك لافتة كهربائية مقنطَرة تقول "غارّاتي 47" بأحرف مضاءة.

أراد غارّاتي أن يكبو قليلاً لكنه لم يكن قادراً. كان يعرف ما قصده بيرسون بشأن ظهره. فقد شَعَر أن عموده الفقري مثل قضيب نار أزرق. وكانت العضلات في الجهة الخلفية لرِجليه عبارة عن تقرّحات ملتهبة. والخَدر في قدميه يُستبدَل بعذاب حاد أكثر بكثير من أي شيء شعر به من قبل. لم يعد جائعاً، لكنه أكَل بضعة أنابيب معجون مركَّز على أي حال. كان العديد من السائرين مجرد هياكل عظمية مكسوة باللحم – أهوال معسكر الاعتقال. لم يرغب غارّاتي أن يصبح مثلهم... لكن ذلك كان يحصل على أي حال. مرَّر يده على خصره وعزف على أضلاعه كما لو أنها آلة الكسيلوفون.

"لم أسمع من باركوفيتش مؤخراً"، قال محاولاً إخراج بيرسون من تركيزه المُرعِب – كانت حالته تشبه حالة أولسون كثيراً.

"لا. قال أحدهم إن إحدى رِجليه تيبَّست أثناء عبور أوغستا".

"حقاً؟".

"هذا ما قالوه".

شعَر غارّاتي برغبة مفاجئة لكي يرجع إلى الخلف وينظر إلى باركوفيتش. كان من الصعب إيجاده في الظلمة، ونال غارّاتي تحذيراً، لكنه رأى باركوفيتش أخيراً، الذي أصبح الآن في مؤخرة القافلة. كان باركوفيتش يهرول وهو يعرج، ووجهه متجهِّم في خطوط متوترة من التركيز. وقد ضاقت عيناه إلى درجة أنهما بدتا أشبه بطرفَي قطعتين معدنيتين. واختفت سترته. كان يكلِّم نفسه بنبرة منخفضة رتيبة.

"مرحبا يا باركوفيتش"، قال غارّاتي.

ارتعَش باركوفيتش، وتعثَّر، وحُذِّر... تحذيره الثالث. "مسرور!"، صَرَخ باركوفيتش بشكل شَكِس. "انظر ماذا فعلتَ؟ هل سُرِرتَ الآن أنت وأصدقاؤك السفلة؟".

"لا تبدو بحالة جيدة"، قال غارّاتي.

ابتسم باركوفيتش بمكر. "كل هذا جزء من الخطة. هل تتذكر عندما أخبرتُك عن الخطة؟ لم تصدِّقني. وأولسون لم يصدِّقني. وكذلك دايفدسون وغريبل". انخفض صوت باركوفيتش إلى همس كثير العصارة، محمَّل بالبصاق. "غارّاتي، لقد رقصصصصتُ على قبورهم!".

"هل تؤلمك رِجلك؟"، سأل غارّاتي بلطف. "هذا مريع".

"لم يبق سوى خمسة وثلاثين سائراً. سينهارون كلهم هذه الليلة. سترى. لن يبقى أكثر من عشرة سائرين عندما تظهر الشمس. سترى. أنت وأصدقاؤك الحمقى يا غارّاتي. سيموت الكل عند الصباح. سيموتون عند منتصف الليل".

شعَر غارّاتي بقوة كبيرة فجأة. عرِف أن باركوفيتش سيزول قريباً الآن. أراد أن يركض، بكُليتيه المرضوضتين وعموده الفقري الذي يؤلمه وقدميه الصارِختين وكل شيء، يركض ويُخبر ماكفريز أنه سيتمكن من الإيفاء بوعده.

"ماذا ستطلب؟"، قال غارّاتي بصوتٍ عالٍ. "عندما تفوز؟".

ابتسم باركوفيتش بمرح كما لو أنه كان ينتظر السؤال. وبدا وجهه في الضوء غير الأكيد قد تجعَّد وانحشر كما لو أن يدين عملاقتين دفعَته وضربته ضربات متكرّرة. "قدمان بلاستيكيتان"، همَس.

"قدمان بلاستيكيتان يا غارّاتي. سأقطع هاتين القدمين بكل بساطة، اللعنة عليهما إن كانتا لا تستطيعان تحمّل نكتة. سأضع قدمين بلاستيكيتين جديدتين وأرمي هاتين القدمين في الغسّالة وأراقبهما تدوران وتدوران–".

"اعتقَدتُ أنك ربما سترغب ببعض الأصدقاء"، قال غارّاتي بحزن. واعتراه إحساس قوي بالانتصار، خانقٌ وآسرٌ.

"أصدقاء؟".

"لأن ليس لديك أي صديق"، قال غارّاتي بشفقة. "سنُسَرّ كلنا برؤيتك تموت. لن يفتقدك أحد يا غاري. ربما سأسير خلفك وأبصق على دماغك بعد أن يفجّروه وينثروه على الطريق. ربما سأفعل هذا. ربما سنفعل كلنا هذا". كان هذا جنوناً، جنوناً، كما لو أن رأسه بأكمله كان يحلِّق بعيداً عنه، كان يشبه المرة التي لوَّح بها فوهة البندقية الهوائية على وجه جيمي، والدم... وصراخ جيمي... وتملَّكت كل ذهنه فكرة الانتقام الهمجية، فكرة تحقيق العدالة البدائية.

"لا تكرهني"، كان باركوفيتش يقول وهو ينحب، "لماذا تريد أن تكرهني؟ لا أريد أن أموت مثلك تماماً. ماذا تريد؟ هل تريدني أن أعتذر؟ سأعتذر! آ... آ...".

"سنبصق كلنا على دماغك"، قال غارّاتي بجنون. "هل تريد أن تلمسني أنت أيضاً؟".

نَظَر إليه باركوفيتش بشحوب، وكانت عيناه مرتبكتين وتحدّقان في الفراغ.

"آ... آسف"، همَس غارّاتي. شعَر أنه منحطّ وقذر. أسرعَ مبتعداً عن باركوفيتش. اللعنة عليك يا ماكفريز، فكَّر في سرّه، لماذا؟ لماذا؟

زأرت البنادق فجأة، وتوفى فتَيان دفعة واحدة، ولا بدّ أن باركوفيتش أحدهما. وهذه المرة كان الخطأ خطؤه، فهو كان القاتل.

ثم كان باركوفيتش يضحك. كان باركوفيتش يقوقئ، بصوتٍ أعلى وأكثر جنوناً وحتى بصوتٍ مسموعٍ أكثر من جنون الحَشد. "غارّاتي! غاااارّااااتي! سأرقص على قبرك يا غارّاتي! سأرقصصص–".

"اصمت!"، صاح أبراهام. "اصمت أيها الوغد الحقير!".

توقَّف باركوفيتش، ثم بدأ يشهق.

"اذهب إلى الجحيم"، تمتم أبراهام.

"نجحتَ الآن"، قال كولي باركر موبِّخاً. "جعلتَه يبكي يا آبي، أيها الفتى الشقي. سيذهب إلى المنزل ويُخبر أمه".

استمرّ باركوفيتش يشهق. كان صوته فارغاً شاحباً جعل بشرة غارّاتي تقشعرّ. لم يكن هناك أمل فيه.

"هل سيُخبر الصغير اللطيف أمه؟"، صاح كوينس. "آهههه يا باركوفيتش، أليس هذا مؤسفاً جداً؟".

اتركه وشأنه، صَرَخ غارّاتي في سرّه، اتركه وشأنه، ليست لديك أي فكرةٍ كم يتألم. لكن أي نوع من الأفكار المنافقة الرديئة هذه؟ فقد أراد أن يموت باركوفيتش. قد يعترف بذلك أيضاً. أراد أن ينهار باركوفيتش ويزول من الوجود.

والأرجح أن ستابنز في الظلمة في الخلف يضحك عليهم كلهم.

زاد سرعته، ولحِق بماكفريز، الذي كان يمشي متمهلاً ويحدِّق بخمول في الحَشد. وكان الحَشد يحدِّق فيه بشراهة.

"لماذا لا تساعدني على اتخاذ القرار؟"، قال ماكفريز.

"بالتأكيد. ما هو موضوع القرار؟".

"مَن يتواجد في القفص. نحن أم هم".

ضحِك غارّاتي باستمتاع حقيقي. "كلنا. والقفص موجود داخل غرفة الرائد الخاصة".

لم يشاركه ماكفريز في الضحك. "باركوفيتش يتأرجح على حافة الهاوية، أليس كذلك؟".

"نعم، أظن ذلك".

"لا أريد رؤيته بعد الآن. المسألة رديئة. وهذا غشّ. تبني كل خططك حول شيء... وتعقد عزمك على شيء... ثم لا تريده. ألا يكفي أن الحقائق الكبيرة مجرد كذبة؟".

"لم أفكِّر كثيراً في ذلك. هل تُدرِك أنها الساعة العاشرة تقريباً؟".

"هذا يشبه تمرّنك على القفز بالزانة طوال حياتك ثم تصل إلى الألعاب الأولمبية وتقول، 'لماذا أريد القفز فوق هذا الحاجز اللعين؟'".

"نعم".

"تكاد تكون مهتماً، أليس كذلك؟"، قال ماكفريز، مُغتاظاً.

"تزداد صعوبة إثارة مشاعري"، قال غارّاتي معترفاً. ثم صمت لبرهة. كان هناك شيء يُزعجه كثيراً منذ بعض الوقت الآن. فقد انضم بايكر إليهم. وراح غارّاتي ينقّل نظره من بايكر إلى ماكفريز ثم من ماكفريز إلى بايكر. "هل رأيتهما أولسون... هل رأيتما شعره؟ قبل أن يشتري بطاقته؟".

"ماذا بشأن شعره؟"، سأل بايكر.

"كان يصبح رمادياً".

"لا، هذا جنون"، قال ماكفريز، لكنه بدا خائفاً جداً فجأة. "لا، كان ذلك بسبب الغبار أو شيء آخر".

"كان رمادياً"، قال غارّاتي. "يبدو كما لو أننا بدأنا السير على هذا الطريق منذ ما قبل التاريخ. كان شعر أولسون يصبح... يصبح بتلك الطريقة مما جعلني أفكِّر به أولاً، لكن... ربما كلنا متنا ولم نُدرك ذلك بعد". كانت الفكرة مسبِّبة لكآبة كبيرة. راح يحدِّق في العتمة التي أمامه، متحسّساً الرياح الناعمة على وجهه.

"سرتُ، أسير، سأسير، كنتُ لأسير"، راح ماكفريز يغني. "هل أترجمها لكم إلى اللاتينية؟".

نحن عالقون في الزمن، فكّر غارّاتي في سرّه.

كانت أقدامهم تتحرَّك على عكسهم هم. السيجارة الكرزية تتوهّج في الحَشد، وأضواء الكاميرات أو شرارات الألعاب النارية العَرَضيّة ربما كانت نجوماً، كوكبات منخفضة غريبة حدَّدت وجودهم قبل وبعد، تضيق إلى لا شيء في الاتجاهين.

"يا رجل"، قال غارّاتي وهو يرتعش. "يمكن أن يُصاب المرء بالجنون".

"هذا صحيح"، وافَق بيرسون، ثم ضحِك بعصبية. كانوا قد بدأوا صعود تلة طويلة. وأصبح الطريق عبارة عن ألواح أسمنتية موصولة ببعضها عبر وصلات تمدُّد، وهذا مزعج للقدمين. شَعَر

غارّاتي أنه يحسّ بكل حصاة عبر حذائه الرقيق جداً مثل الورقة. وقد جرفت الرياح مجموعات ضحِلة من غلافات السكاكر وعلب الفشار، وقذارات متنوعة أخرى اعترضت سبيلهم. واضطروا في بعض الأماكن تقريباً إلى أن يحاربوا لكي يشقّوا طريقهم عبرها. هذا ليس عدلاً، فكّر غارّاتي بشفقة ذاتية.

"ما هو المخطط أمامنا؟"، سأله ماكفريز بنبرة اعتذارية.

أغلق غارّاتي عينيه وحاوَل أن يرسم خريطة في ذهنه. "لا يمكنني تذكّر كل البلدات الصغيرة. سنصل إلى لويستون، وهي ثاني أكبر مدينة في الولاية، أكبر من أوغستا. سنسير على الطريق الرئيسي فوراً. كان ذلك شارع لشبونة في الماضي، لكنه الآن جادة نصب كوتر التذكاري. كان ريغي كوتر الشاب الوحيد من ماين الذي فاز بالمسيرة الطويلة. حصَل ذلك منذ زمن بعيد".

"لقد مات، أليس كذلك؟"، قال بايكر.

"نعم. نزَف الدم من إحدى عينيه وأنهى المسيرة نصف أعمى. تبيَّن أن لديه تخثّر دموي في دماغه. مات بعد حوالي أسبوع من انتهاء المسيرة". وفي محاولة ضعيفة لتخفيف عبء هذا الحدث، كرَّر غارّاتي: "حصل ذلك منذ زمن بعيد".

لم يتكلّم أحد لبعض الوقت. راحت غلافات السكاكر تفرقِع تحت أقدامهم مثل صوت حريق غابة بعيدة. انفجرت مفرقعة نارية بين الحَشد. واستطاع غارّاتي رؤية ضوء باهت في الأفق كان على الأرجح المدينتين التوأم لويستون وأوبورن، أرض آل دوسّات وأوبوشون ولافسك، أرض نحن نتكلم الفرنسية هنا. شَعَر غارّاتي فجأة برغبة قوية ليمضغ علكة.

"ماذا بعد لويستون؟".

"نسلك الطريق 196، ثم الطريق 126 إلى فريبورت، حيث سأرى أمي وحبيبتي. هناك أيضاً سنصل إلى الطريق العام رقم 1. وسنبقى عليه إلى أن ينتهي كل هذا".

"الطريق العام الكبير"، تمتم ماكفريز.

"بالتأكيد".

زأرت البنادق وجفل الجميع.

"كان باركوفيتش أو كوينس"، قال بيرسون. "لا يمكنني التحديد بدقة... أحدهما لا يزال يسير... إنه–".

ضحِك باركوفيتش من العتمة، ضحكةً صاخبةً مروِّعةً. "ليس بعد أيها السفلة! لم يُقضَ عليَّ بعد! ليس بعععععععدددددد...".

استمرّ صوته يرتفع ويرتفع. كان يشبه صفّارة حريق أصابها مسّ من الجنون. وارتفعت يدا باركوفيتش فجأة مثل حمام طار جافلاً ومزَّق باركوفيتش حنجرته.

"يا إلهي!"، ناحَ بيرسون، وتقيأ فوق نفسه.

فرّوا عنه، وتبعثروا أمامه وخلفه، واستمرّ باركوفيتش يصرخ ويصيح ويسير، مُديراً رأسه المتوحش إلى السماء، بفمه المقوَّس المظلِم.

ثم بدأ صوت صفّارة الحريق يخبو، وبدأ باركوفيتش يخبو معه. سقَط وأطلقوا النار عليه، ميتاً أو حيّاً.

استدار غارّاتي وعاد يسير إلى الأمام مرة أخرى. كان ممنوناً قليلاً من أنه لم ينل تحذيراً. رأى نسخة كربونية عن رعبه على وجوه الكل. لقد انتهى جزء باركوفيتش في كل هذا. شَعَر غارّاتي أن هذا لا يبشِّر بالخير لبقيتهم، لمستقبلهم على هذا الطريق المظلم والدموي.

"لا أشعر أنني بخير"، قال بيرسون. كان صوته مسطَّحاً. تقيأ بشكل جاف وسار منحنياً للحظة. "آه. لستُ بخير. يا إلهي. لا. أشعر. أنني بخير. آه".

نظر ماكفريز أمامه. "أظن... أتمنى لو كنتُ مجنوناً"، قال بتبصّر.

فقط بايكر لم يقل شيئاً. وهذا كان غريباً، لأن غارّاتي شمَّ فجأة رائحة أشجار عسلة لويزيانا. كان يمكنه سماع نقيق الضفادع في القعر. ويمكنه الشعور بالهمهمة الكسولة لحشرات الزيز وهي تحفر في لحاء أشجار السرو القاسية لكي تقضي فيها نومها الخالي من الأحلام والذي يمتد على سبع عشرة سنة. ويمكنه رؤية عمّة بايكر تتأرجح ذهاباً وإياباً، بعينيها الحالِمتين المبتسمين اللتين تحدّقان في الفراغ، جالسةً على شرفتها تستمع إلى الهمهمات الساكنة والأصوات البعيدة على جهاز راديو قديم مكسور من خشب الماهوجني المهترئ. تتأرجح وتتأرجح وتتأرجح. مبتسمةً، نعسانةً. مثل قطة شربت الحليب حتى التُخمة.

الفصل 15

"لا يهمّني إن فزتم أو خسرتم،

طالما أنكم تفوزون".

– فينس لومباردي
المدرِّب السابق لفريق غرين باي باكرز

دخَل ضوء النهار متسلّلاً عبر عالم أبيض مكتوم من الضباب. كان غارّاتي يسير بمفرده مرة أخرى. حتى إنه لم يعد يعرف عدد الذين اشتروا بطاقاتهم خلال الليل. ربما خمسة. كانت قدماه مُصابتين بصُداع. بصُداع نصفي فظيع. ويمكنه الشعور بتورّمهما كلما وَضَع وزنه عليهما. وردفاه يؤلمانه. كان عموده الفقري حريقاً جليدياً. لكن قدميه مُصابتين بالصُداع والدم يتخثّر فيهما ويجعلهما تتورّمان ويحوِّل الأوردة إلى معكرونة نصف مطهوة.

ومع ذلك كانت هناك دودة إثارة تنمو في أحشائه: أصبحوا يبعدون عشرين كليومتراً فقط عن فريبورت. كانوا في بورترفيل الآن، وبالكاد الحَشد قادر على رؤيتهم في الضباب الكثيف، لكنهم كانوا يغنّون إسمه بشكل إيقاعي منذ لويستون. كان ذلك يشبه نبضات قلب عملاق.

فريبورت وجانيس، فكّر في سرّه.

"غارّاتي؟". كان الصوت مألوفاً لكن باهتاً. إنه ماكفريز. كان وجهه جمجمةً مكسوةً بالفراء. وعيناه تتألقان بقوة. "صباح الخير"، نَقَّ ماكفريز. "نعيش لنحارب يوماً آخر".

"أجل. كم واحد اشتراها ليلة أمس يا ماكفريز؟".

"ستة". أخرَج ماكفريز مرطبان لحم مقدَّد قابل للدهن من حزامه وبدأ يأكل منه بإصبعه. كانت يداه تهتزّان بشكل سيئ. "ستة منذ باركوفيتش". أعاد المرطبان إلى مكانه بحذرِ عجوزٍ مشلولٍ. "اشتراها بيرسون".

"حقاً؟".

"لم يبق الكثير منا يا غارّاتي. فقط ستة وعشرون".

"لا، ليس الكثير". كان عبور الضباب مثل عبور سُحُب من غبار العُثّ العديم الوزن.

"ليس الكثير منا أيضاً. الفرسان. أنت وأنا وبايكر وأبراهام. كولي باركر. وستابنز. إذا كنت تريد إدخاله في حساباتنا. لما لا؟ اللعنة، لما لا؟ هيا نُدخِل ستابنز في حساباتنا يا غارّاتي. ستة فرسان وعشرون حامل رمح".

"هل لا تزال تظن أنني سأفوز؟".

"هل الجو هنا ضبابياً دائماً إلى هذا الحد في الربيع؟".

"ماذا يعني هذا؟".

"لا، لا أظن أنك ستفوز. سيفوز ستابنز يا راي. لا شيء يمكنه إرهاقه، إنه كالألماس. الخبر هو أنهم يرجّحونه في فيغاس الآن بنسبة تسعة إلى واحد بما أن سكرام أصبح خارج الصورة. يا إلهي، إنه يبدو بنفس النشاط تقريباً مثلما كان عندما بدأنا".

أومأ غارّاتي برأسه كما لو أنه كان يتوقع ذلك. عثر على أنبوب معجون لحم البقر المركَّز وبدأ يأكله. ما لم يكن ليعطيه ليحصل على بعض همبرغر ماكفريز النيء الذي اختفى منذ مدة طويلة.

خَنَّ ماكفريز قليلاً ومسَح أنفه بيده. "ألا يبدو هذا غريباً لك؟ أن تعود إلى تراب بلدتك بعد كل هذا؟".

شعَر غارّاتي بدودة الإثارة تتلوّى وتستدير مرة أخرى. "لا"، قال. "هذا يبدو أكثر شيء طبيعي في العالم".

نزَلوا تلة طويلة، وألقى ماكفريز نظرة سريعة على الشاشة البيضاء الخالية أمامهم. "الضباب يزداد سوءاً".

"هذا ليس ضباباً"، قال غارّاتي. "إنه مطر الآن".

انهمر المطر بلطف، كما لو أنه لم تكن لديه النيّة ليتوقف قبل فترة طويلة جداً.

"أين بايكر؟".

"في مكان ما في الخلف"، قال ماكفريز.

من دون أي كلمة – فقد أصبحت الكلمات الآن غير ضرورية تقريباً – بدأ غارّاتي يتباطأ إلى الخلف. جعلهم الطريق يمرّون بجانب جزيرة مرورية، بجانب مركز بورترفيل الترفيهي المتخلِّع ذي ممرات البولينغ الخمسة، بجانب مبنى مبيعات حكومية أسود ميت معلَّقة على إحدى نوافذه لافتة كبيرة تقول "مايو هو شهر تأكيد جنسك".

أخطأ غارّاتي بايكر في الضباب، وانتهى به المطاف يسير بجانب ستابنز. صلب كالألماس، قال ماكفريز. لكن هذه الماسة بدأت تُظهِر بعض العيوب الصغيرة، فكّر في سرّه. أصبحوا الآن يسيرون بموازاة نهر أندروسكوغن العظيم والملوَّث كلياً. ويوجد على الضفة الأخرى مصنع بورترفيل للغزْل والنسيج، الذي ترتفع أبراجه في الضباب مثل حصن قذر من القرون الوسطى.

لم يرفع ستابنز نظره، لكن غارّاتي عرِف أن ستابنز عرِف أنه بجانبه. لم يقل شيئاً، مصمِّماً بحماقة أن يجعل ستابنز يقول أول كلمة. انعطف الطريق مرة أخرى. اختفى الحَشد للحظات أثناء اجتيازهم الجسر الممتد فوق أندروسكوغن. كان الماء تحتهم يغلي، متجهِّماً ومالحاً، تغمره رغوة جبنية صفراء.

"إذاً؟".

"وفِّر أنفاسك لدقيقة"، قال غارّاتي. "ستحتاج إليها".

بلغوا نهاية الجسر، وأصبح الحَشد معهم من جديد أثناء انعطافهم يساراً وبدء صعودهم تلة بريكيارد. كانت تلة طويلة ومرهقة ومائلة. والنهر يختفي تحتها على اليسار، ويوجد على يمينهم منحدر صاعد بشكل متعامد تقريباً. كان المتفرّجون قد تشبَّثوا بالأشجار، بالأجمات، ببعضهم البعض، ويغنّون إسم غارّاتي. واعَدَ في السابق فتاةً تعيش على تلة بريكيارد، فتاة تدعى كارولين. أصبحت متزوجة الآن. ولديها طفل. ربما كانت لتدعه، لكنه كان يافعاً ومغفّلاً جداً.

من مكان ما أمامهما، كان باركر يشتم بصوتٍ هامسٍ لاهثٍ بالكاد مسموع من الحَشد.

ارتجَفت رِجلا غارّاتي وهدَّدته أن تصبحا هلاماً، لكن هذه التلة كانت آخر تلة كبيرة قبل فريبورت. ولا شيء يهمّ بعد ذلك. فإذا ذهَب إلى الجحيم سيكون قد ذهَب إلى الجحيم. بلغوا قمّتها أخيراً (كان ثديا كارولين ناعمين، وغالباً ما ارتدت كنزات من الكشمير) وكرَّر ستابنز وهو يلهث قليلاً: "إذاً؟".

زأرت البنادق. انسحب فتى يدعى تشارلي فيلد من المسيرة.

"حسناً، لا شيء"، قال غارّاتي. "كنتُ أبحث عن بايكر وعثرتُ عليك بدلاً عنه. يقول ماكفريز إنه يظن أنك ستفوز".

"ماكفريز أحمق"، قال ستابنز بهدوء. "هل تظنّ حقاً أنك سترى حبيبتك يا غارّاتي؟ بين كل هؤلاء الأشخاص؟".

"ستكون في المقدمة"، قال غارّاتي. "لديها إذن مرور".

"سيكون رجال الشرطة مشغولين جداً في إرجاع الجميع إلى الخلف، ولن يتسنّى لهم الوقت لتمريرها إلى المقدمة".

"هذا ليس صحيحاً"، قال غارّاتي. تكلَّم بحدّة لأن ستابنز عبَّر عن خوفه الدفين. "لماذا تريد أن تقول شيئاً كهذا؟".

"أنت بالحقيقة تريد رؤية أمك على أي حال".

ارتَد غارّاتي بحدّة. "ماذا؟".

"ألن تتزوَّجها عندما تكبُر يا غارّاتي؟ هذا ما يريده معظم الفتيان الصغار".

"أنت مجنون!".

"حقاً؟".

"نعم!".

"ما الذي يجعلك تعتقد أنك تستحق الفوز يا غارّاتي؟ أنت جهبذ من الدرجة الثانية، عيّنة فيزيائية من الدرجة الثانية، وعلى الأرجح شهوة جنسية من الدرجة الثانية. غارّاتي، أشارطك بأنك لم تجامع حبيبتك تلك أبداً من قبل".

"أغلق فمك اللعين!".

"أنت بِكر، أليس كذلك؟ وربما عليل قليلاً في هذه المسألة؟ غير سويّ؟ لا تخف. يمكنك التكلم مع بابا ستابنز".

"سأصمد أطول منك حتى ولو اضطررتُ إلى السير إلى فيرجينيا، أيها الحقير اللعين!". كان غارّاتي يرتعش من الغضب. لا يمكنه أن يتذكّر متى كان غاضباً إلى هذا الحد في حياته كلها.

"لا بأس"، قال ستابنز بنبرة مهدئة للأعصاب. "أفهمك".

"أيها السافل!–".

"الآن هذه كلمة مثيرة للاهتمام. ما الذي جَعَلك تستخدمها؟".

للحظة كان غارّاتي متأكداً أن عليه أن ينقضّ على ستابنز أو يُغمى عليه من الغضب، لكنه لم يفعل أياً منهما. "لو كان عليَّ أن أسير إلى فيرجينيا"، كرَّر. "لو كان عليَّ أن أسير حتى فيرجينيا".

تمطَّط ستابنز على أصابع قدميه وابتسم بأسلوب يدّل على النعاس. "أشعر أنه يمكنني السير حتى فلوريدا يا غارّاتي".

اندفَع غارّاتي بعيداً عنه، باحثاً عن بايكر، وهو يشعر بالغضب والحنق يضمحلان إلى أسف كبير. افترَض أن ستابنز اعتقَده هدفاً سهلاً. افترَض أنه كذلك.

كان بايكر يسير بجانب فتى لا يعرفه غارّاتي. كان رأسه منخفضاً، وشفتيه تتحرّكان قليلاً.

"مرحبا يا بايكر"، قال غارّاتي.

جفل بايكر، ثم بدا أنه هزَّ نفسه من الأعماق، مثل كلب. "غارّاتي"، قال. "أنت".

"نعم، أنا".

"كنتُ أحلم – حلماً حقيقياً مريعاً. كم الساعة؟".

تفحّصها غارّاتي. "حوالي السابعة إلا ثلثاً".

"هل تظن أنها ستُمطر طوال اليوم؟".

"أنا... آه!". تطوَّح غارّاتي إلى الأمام، وفَقَد توازنه للحظة. "انفصَل كعب حذائي اللعين"، قال.

"تخلَّص منه"، نصحَه بايكر. "ستبدأ المسامير بنكز قدميك. وستضطر إلى بذل جهد أكبر عندما تفقد توازنك".

ركلَ غارّاتي إحدى قدميه في الهواء فطارت فردة الحذاء حتى حدود الحَشد تقريباً، حيث حطَّت مثل جرو صغير مشلول. تحسَّست أيدي الحَشد بحثاً عنها بتلهّف. اصطادها أحدهم، وانتزعها أحد آخر، واندلع عراك عنيف عليها. رفضت فردة حذائه الأخرى أن تخرج من رجله؛ فقد انتفخت قدمه بشكل كبير داخلها.لذا ركَع، ونال تحذيره، وفكّ رباطها، ونزعها من قدمه. فكَّر برميها إلى الحَشد، لكنه تركها تجلس على الطريق. غمرته فجأة موجة كبيرة وغير منطقية من اليأس وفكَّر في سرّه: لقد فقدتُ حذائي. لقد فقدتُ حذائي.

كان الزفت بارداً على قدميه. وسرعان ما أصبحت بقايا جوربَيه الممزَّقين رطبة جداً. بدت قدماه بليدتين بشكل غريب. وشعَر غارّاتي بيأسه يتحوَّل إلى شفقة على قدميه. لحِق بسرعة ببايكر، الذي كان يسير حافي القدمين أيضاً. "أنا مُنهَك"، قال بايكر فقط.

"كلنا منهكون".

"إنني أتذكّر كل الأشياء الجميلة التي حصلت معي. أول مرة أخذتُ فيها فتاة إلى حفلة راقصة وكان هناك شاب ضخم ثمل بقي يحاول الدخول بيننا فأخذتُه إلى الخارج وأشبعتُه ضرباً. كنتُ قادراً على فعل ذلك لأنه كان ثملاً. راحت تلك الفتاة تنظر إليَّ كما لو أنني أعظم شيء منذ اختراع محرّك الاحتراق الداخلي. دراجتي الهوائية الأولى. أول مرة قرأتُ فيها رواية ويلكي كولينز ذات الرداء الأبيض... إنها كتابي المفضَّل يا غارّاتي، في حال سألك أحدٌ يوماً ما. الجلوس نصف نائم أمام حفرة ملأى بالوحل ومعي صنّارة صيد أسماك، واصطيادي جراد البحر بالآلاف. الاستلقاء في الفناء الخارجي والنوم واضعاً أحد أعداد القصص المصوَّرة باباي على وجهي. إنني أفكِّر في هذه الأشياء يا غارّاتي. مؤخراً فقط. كما لو أنني عجوز وبدأتُ أُصاب بالخرف".

انهمر مطر الصباح الباكر باللون الفضيّ حولهم. حتى الحَشد بدا أهدأ، منطوياً أكثر على ذاته. أصبح يمكن رؤية الوجوه مرة أخرى، بشكل ضبابي، مثل وجوه خلف ألواح زجاجية ماطرة. كانت وجوه شاحبة ذات عيون لوزية وتعابير مكتئبة تحت قبعات ومظلاّت وخيم من صحف. شعَر غارّاتي بوجع عميق داخله، وبدا له أن الأمور ستكون أفضل إذا استطاع أن يصرخ، لكن لا يمكنه ذلك، تماماً مثلما لا يمكنه مواساة بايكر وإخباره أنه لا بأس من الموت. قد يكون ذلك، لكن مرة أخرى، قد لا يكون.

"آمل ألا يكون مُظلماً"، قال بايكر. "هذا كل ما آمله. وآمل أن يكون باستطاعة المرء أن يتذكَّر. أكره أن أتجوَّل في الظلمة إلى الأبد، دون أن أعرف مَن كنتُ أو ما الذي أفعله هناك، أو حتى دون أن أعرف إن كان يمكنني فعل أي شيء مختلف".

بدأ غارّاتي يتكلم، ثم أسكتته الطلقات النارية. كانت أمور التصفية تستأنف نشاطها. والثغرة التي توقّعها باركر بدقة متناهية أوشكت على الانتهاء. رسمت شفتا بايكر ابتسامةً.

"هذا أكثر شيء أخشاه. ذلك الصوت. لماذا فعلنا هذا يا غارّاتي؟ لا بدّ أننا كنا مجانين".

"لا أعتقد أنه كان هناك أي سبب وجيه".

"نحن مجرد فئران في مصيدة".

استمرت المسيرة. وانهمر المطر. ساروا متجاوزين الأماكن التي كان غارّاتي يعرفها – الأكواخ المنهارة حيث لا يعيش أحد، ومبنى المدرسة المهجورة ذات الغرفة الواحدة التي حل محلها البناء الموحَّد الجديد، وأقفاص الدجاج، والشاحنات القديمة المكدَّسة فوق بعضها البعض، والحقول الممهَّدة حديثاً. بدا أنه يتذكّر كل حقل، كل منزل. شَعَر بالإثارة الآن. وبدا الطريق يطير أمامه. وبدت رِجلاه قد اكتسبتا مرونة جديدة وزائفة. لكن ربما كان ستابنز على حق – ربما لن تكون هناك. عليه أن يأخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار ويتحضَّر له، على الأقل.

وصل الخبر عبر الصفوف الهزيلة بأن هناك فتى بالقرب من المقدمة يظن أن لديه التهاباً في الزائدة الدودية.

كان يمكن أن يجفل غارّاتي من هذا الخبر في السابق، لكنه يبدو الآن غير مهتمّ بأي شيء آخر سوى جانيس وفريبورت. كانت عقارب ساعته تركض بنشاط من تلقاء نفسها. فقط ثمانية كيلومترات الآن. فقد قطعوا خط بلدة فريبورت. وفي مكان ما في الأمام كانت جانيس وأمه تقفان أمام مركز وولمان للتجارة الحرة، مثلما رتّبوا الأمر مسبقاً.

أشرقت السماء بعض الشيء لكنها بقيت مظلمة. وتحوَّل المطر إلى رذاذ عنيد. أصبح الطريق الآن مرآةً جليديةً سوداء يكاد يستطيع غارّاتي رؤية انعكاس صورة وجهه عليها. مرَّر يده على جبهته، فشعَر أنها حارة ومحمومة. جانيس، آه جانيس. يجب أن تعرفي أنني –

كان الفتى ذو الخصر المتألم هو كلينغرمان، حامل الرقم 59. بدأ يصرخ. وسرعان ما أصبحت صرخاته رتيبة. تذكَّر غارّاتي المسيرة الطويلة الوحيدة التي شاهدها – في فريبورت أيضاً –

والفتى الذي كان يغني برتابة لا أستطيع. لا أستطيع. لا أستطيع.

كلينغرمان، فكَّر في سرّه، اخرس.

لكن كلينغرمان استمر يسير، واستمر يصرخ، واستمر يشدّ يديه على خصره، وبقيت عقارب ساعة غارّاتي تركض. كانت قد أصبحت الثامنة والربع الآن. ستكون جانيس هناك، أليس كذلك؟ صحيح. حسناً. لم أعد أعرف ماذا الذي تقصده بعد الآن، لكنني أعرف أنني لا أزال حيّاً وأنني أحتاج منك أن تكوني هناك، لإعطائي إشارة، ربما. فقط كوني هناك. كوني هناك.

الثامنة والنصف.

"هل نقترب من هذه البلدة اللعينة يا غارّاتي؟"، صاح باركر.

"ما الذي يهمّك أنت؟"، قال ماكفريز ساخراً. "بالتأكيد ليست هناك فتاة بانتظارك".

"لديَّ فتيات في كل مكان، أيها الأحدب المغفّل"، قال باركر. "يُلقين نظرة واحدة على هذا الوجه ويذُبن ذوباناً". كان الوجه الذي يتكلّم عنه قد أصبح مُنهَكاً وهزيلاً الآن، مجرد ظل لما كان عليه سابقاً.

الثامنة وخمس وأربعون.

"مهلك يا صديقي"، قال ماكفريز عندما اقترب منه غارّاتي وبدأ يتجاوزه. "وفّر القليل لهذه الليلة".

"لا أستطيع. قال ستابنز إنها لن تكون هناك. أنه لن يكون هناك أي شرطي متوفر ليساعدها على المرور. عليَّ أن أعرف. عليَّ أن–".

"فقط هوِّن عليك، هذا كل ما أقوله. ستابنز سيجعل أمه تشرب الوقود إذا كان ذلك سيساعده على الفوز. لا تستمع له. ستكون هناك. فهذه دعاية رائعة للمسيرة، بالحد الأدنى".

"لكن–".

"بلا أي لكن يا راي. أبطئ قليلاً واسترخِ".

"يمكنك أن تبلّ أقوالك المبتذَلة اللعينة في الماء وتشربها!"، صرَخ غارّاتي. لعَق شفتيه ووضع يداً متزعزعةً على وجهه. "آ... آسف. لا مُبرِّر لما قلتُه. وستابنز في الواقع قال أيضاً إنني أريد رؤية

أمي فقط".

"ألا تريد رؤيتها؟".

"بالطبع أريد رؤيتها! ماذا تظن أنني – لا – نعم – لا أعرف. كان لديَّ صديق مرةً. وقد خلعنا ملابسنا معاً – وهي–".

"غارّاتي"، قال ماكفريز، ووضع يده ليلمس كتفه. كان كلينغرمان يصرخ بصوتٍ عالٍ جداً الآن. وسأله شخصٌ قريبٌ من الخطوط الأمامية إن كان يريد مضاداً للحموضة. سبَّب ذلك السؤال موجة ضحك عامة. "أنت تنهار يا غارّاتي. اهدأ. لا تشوّه الأمور".

"كفّ عن إزعاجي!"، صَرَخ غارّاتي. ثم حشَر قبضته بين شفتيه وراح يعضّ عليها. وقال بعد ثانية، "فقط اتركني وشأني".

"حسناً. بالتأكيد".

وابتعد عنه ماكفريز. أراد غارّاتي أن يناديه ليعود، لكنه لم يتمكن.

ثم كانت التاسعة صباحاً، للمرة الرابعة. استداروا يساراً وكان الحَشد مرة أخرى أقل من أربعة وعشرين شخصاً بينما اجتازوا المعبر الفوقي 295 ودخلوا فريبورت. أمامهم كان "فرح الألبان" الذي كان يذهب إليه مع جانيس أحياناً بعد السينما. استداروا يميناً وأصبحوا على الطريق العام رقم 1، والذي سمّاه أحدهم الطريق العام الكبير. سواء كان كبيراً أم صغيراً، فإنه الطريق العام الأخير. بدت عقارب ساعة غارّاتي وكأنها تقفز عليه. كان وسط المدينة أمامهم مباشرة، ومركز وولمان على اليمين. كان قادراً على رؤية ذلك المبنى البشع المختبئ خلف واجهة كاذبة. بدأت القصاصات الورقية الملوَّنة تتساقط عليهم من جديد. وجَعَلها المطر مُبتَلة ولاصقة، بلا حياة. بدأ الحَشد يتضخَّم. وشغَّل أحدهم صفارة إنذار حريق البلدة، واختلط عويلها بعويل كلينغرمان. غنَّت صفارة إنذار كلينغرمان وفريبورت ثنائياً كابوسياً.

التوتّر ملأ أوردة غارّاتي إلى أقصى طاقتها. كان يمكنه سماع صوت نبضات قلبه، الذي أصبح في أحشائه الآن، في حنجرته، بين عينيه. مئتا متر. كانوا يصرخون إسمه من جديد (غارّاتي–غارّاتي–قلبنا ينادي!) لكنه لم ير وجهاً مألوفاً في الحَشد بعد.

انجرَف إلى اليمين إلى أن أصبحت أيادي الناس الممدودة تبعد عنه بضعة سنتيمترات فقط –

ذراع طويلة ومفتولة العضلات شدّت قميصه بقوة في الواقع، فجفل وقفز بعيداً كما لو أنه سُحبَ إلى داخل دَرّاسة – ورفع الجنود بنادقهم عليه، استعداداً لنسف رأسه إذا حاوَل أن يختفي بين الجماهير. فقط مئة متر الآن. كان بإمكانه رؤية لافتة وولمان البنية الكبيرة، لكن لا يوجد أي أثر لأمه أو جانيس. يا إلهي، يا إلهي، كان ستابنز محقاً... فحتى لو كانتا هنا، كيف سيتمكن من رؤيتهما في هذا البحر الهائج من الناس؟

تسرَّب تأوه متزعزع منه، مثل قطعة لحم تقيأها. تعثَّر وكاد يسقط على رِجليه الرخوتين. كان ستابنز محقاً. أراد التوقف هنا، ألا يسير أي خطوة أخرى. كان خيبة أمله وشعوره بالخسارة مذهلَين، بل كانا مجوَّفين. ما الفائدة؟ ما الفائدة الآن؟

صوت صفارة الإنذار، صراخ الجماهير، زعيق كلينغرمان، انهمار المطر، وروحه الصغيرة المعذَّبة، كل شيء يقرع رأسه بصخب.

لا أستطيع الاستمرار. لا أستطيع، لا أستطيع، لا أستطيع. وراحت قدماه تترنحان. أين أنا؟ جانيس؟ جانيس؟... جانيس!

ثم رآها. كانت تلوِّح له بالوشاح الحريري الأزرق الذي أهداها إياه في ذكرى ولادتها، والمطر يتلألأ على شعرها كالجواهر. كانت أمه بجانبها، مرتدية معطفها الأسود العادي. كانتا محشورتين معاً بين الرُعّاع وتتمايلان بعجز يميناً ويساراً. ورأى كاميرا تلفزيون تطلّ بخَطْمها الأحمق فوق كتف جانيس.

شَعَر أن تقرّحاً كبيراً انفجر في مكان ما في جسمه. وتدفّق التلوّث منه في فيضان أخضر. اندفع يركض بحركة متثاقلة وأصابع قدميه مائلتين إلى الداخل. راح جارباه الممزَّقان يرفرفان ويصفعان قدميه المتورّمتين.

"جانيس! جانيس!".

أمكنه سماع هذه الفكرة لكن ليس الكلمات في فمه. لاحقته كاميرا التلفزيون بحماسة. كان الضجيج صاخباً. وأمكنه رؤية شفتيها تنطق إسمه، وكان عليه أن يصل إليها، عليه أن–

أوقفته ذراعٌ في اندفاعته. كان ماكفريز. وكان جنديٌ يتكلّم عبر بوق ليعطيهما تحذيرهما الأول.

"ليس إلى داخل الحَشد!". كانت شفتا ماكفريز ملتصقتين بأذن غارّاتي وكان يصرخ. اخترق مِبضَع ألم رأس غارّاتي.

"اتركني!".

"لن أدعك تقتل نفسك يا راي!".

"اتركني، تباً!".

"هل تريد أن تموت بين ذراعيها؟ هل هذا ما تريده؟".

الوقت سريع الزوال. كانت تبكي. يمكنه رؤية الدموع على خدَّيها. حرَّر نفسه من ماكفريز بالقوة. وبدأ يركض نحوها مرة أخرى. شَعَر بشهقات غاضبة صارمة تخرج من داخله. أراد النوم. سيجده في ذراعيها. إنه يحبّها.

أحبك يا راي.

يمكنه رؤية الكلمات على شفتيها.

كان ماكفريز لا يزال بجانبه. سطع ضوء كاميرا التلفزيون، وأصبح بإمكانه رؤية زملاء مدرسته هامشياً، وكانوا ينشرون راية ضخمة عليها صورة وجهه، المأخوذة من الكتاب السنوي للمدرسة، بعد أن كبّروها إلى حجم هائل، وكان يبتسم لنفسه وهو يبكي ويكافح للوصول إليها.

دوّى تحذيره الثاني من مكبِّر الصوت.

جانيس –

كانت تمدّ يدها إليه. تلامست اليدان. يدها الباردة. دموعها –

أمه. يداها، الممدودتان –

أدركهما. فأمسك يد جانيس بإحدى يديه، ويد أمه بيده الأخرى. لمسهما. أُنجزت المهمة.

أُنجزت المهمة إلى أن أحاطت ذراع ماكفريز بكتفه مرة أخرى، ماكفريز الشرير.

"اتركني! اتركني!".

"لا شكّ أنك تكرهها حقاً يا رجل!"، صَرَخ ماكفريز في أذنه. "ماذا تريد؟ أن تموت عارفاً أنهما

غارقتان في دمك؟ هل هذا ما تريده؟ بالله عليك، هيا معي!".

كافَح، لكن ماكفريز كان قوياً. وربما كان ماكفريز محقاً أيضاً. نَظَر إلى جانيس وكانت عيناها الآن واسعتين من الذعر. قامت أمه بإيماءات ابتعاد. واستطاع أن يقرأ كلمات غضب على شفتَي جانيس: تابع سيرك! تابع سيرك!

بالطبع يجب أن أتابع سيري، فكَّر برتابة. فأنا ممثل ماين. وشَعَر في تلك الثانية بالذات أنه يكرهها، رغم أنه إذا كان قد فعل شيئاً، فلم يكن سوى إيقاعها – وأمه – في الشرك الذي نصبه لنفسه.

دوّى التحذير الثالث له ولماكفريز بشكل مهيب مثل الرعد؛ فسكَتَ الحَشد قليلاً وظهر الترقّب في العيون الرطبة. سيطر الآن ذعر على وجهَي جانيس وأمه. فرفعت أمه يديها وغطّت وجهها بهما، وتذكّر باركوفيتش يرفع يديه إلى عنقه وينزع حنجرته بنفسه.

"إذا كان عليك فعل ذلك، فافعله عند المنعطف التالي، أيها الحقير الأحمق!"، صاح ماكفريز.

بدأ يتذمّر. فقد هزمه ماكفريز مرة أخرى. كان ماكفريز قوياً جداً. "حسناً"، قال، دون أن يعرف إن كان باستطاعة ماكفريز سماعه أم لا. بدأ يسير. "حسناً، حسناً، أفلتني قبل أن تحطّم ترقوتي". بكى، حَوزَق، مسَح أنفه.

أفلته ماكفريز بحذر، متحفِّزاً ليُمسك به مرة أخرى.

استدرَك غارّاتي والتفَت إلى الوراء، لكنهما كانتا قد اختفتا في الحَشد مرة أخرى. شَعَر أنه لن ينسى أبداً نظرة الذعر تلك في عينيهما، وزال أخيراً ذلك الشعور بالثقة واليقين. لم يحصل سوى على نصف نظرة خاطفة لوشاح أزرق يلوِّح.

استدار إلى الأمام مرة أخرى، دون أن ينظر إلى ماكفريز، وراحت قدماه المرتبكتان الخائنتان تنقلانه، وخرجوا من البلدة.

الفصل 16

"بدأ الدم يسيل! ليستون يعرج! كلاي يؤرجحه بسلسلة لكمات!... منقضّاً عليه! كلاي يقتله! كلاي يقتله! سيداتي سادتي، ليستون سقط! صاني ليستون سقط! كلاي يرقص... يلوِّح... يصيح في الجمهور! آه، سيداتي سادتي، لا أعرف كيف أصف لكم هذا المشهد!".

– معلِّق إذاعي
مباراة الملاكمة الثانية بين كلاي وليستون

أُصيب تابنز بالجنون.

كان تابنز فتى قصيراً يرتدي نظارات ووجهه مليء بالنَمَش. كان يرتدي جينزاً أزرق معلَّقاً على وركه بقي يرفعه باستمرار. لم يقل الكثير، لكنه كان لطيفاً كفاية قبل أن يفقد عقله.

"بائعة هوى!"، صاح تابنز بالسُحُب. كان قد رفع وجهه إلى أعلى، وراحت مياه المطر تتقطّر على خدّيه وشفتيه وطرف ذقنه الحادة. "لقد تسلّلت بائعة هوى بيننا! إنها تستلقي في الشوارع وتُباعد رِجليها على قذارةِ الحصى! كريهة! كريهة! انتبهوا من بائعة الهوى! شفتاها تقطر عسلاً لكن قلبها سفيه وحقير–".

"وتنال الاستحسان"، أضاف كولي باركر بضجر. "يا إلهي، إنه أسوأ من كلينغرمان". رفع صوته. "اسقط ميتاً يا تابي!".

"البغي!"، زعَق تابنز. "الكريهة! غير النظيفة!".

"بوِّلوا عليه"، تمتم باركر. "سأقتله بنفسي إذا لم يصمت". مرَّر أصابع هزيلة مرتعشة على

شفتيه، وأنزلهما إلى حزامه، وأمضى ثلاثين ثانية في فكّ المشبك الذي يربط القِربة بحزامه. كاد يوقعها وهو يرفعها إلى فمه، ثم سكب نصفها على الأرض. بدأ يبكي بضعف.

كانت الثالثة بعد الظهر. وأصبحت بورتلاند وبورتلاند الجنوبية خلفهم. مرّوا منذ حوالي خمس عشرة دقيقة تحت راية رطبة ومتأرجحة تُعلن أن حدود نيو هامبشاير تبعُد 70 كيلومتراً فقط.

فقط، فكّر غارّاتي في سرّه. فقط، يا لها من كلمة غبية. مَن الأحمق الذي ظنَّ أننا بحاجة إلى كلمة غبية مثل هذه؟

كان يسير بجانب ماكفريز، لكن ماكفريز لم ينطق سوى ببضع كلمات صغيرة منذ فريبورت. بالكاد تجرأ غارّاتي على التكلّم معه. كان مديناً له مرة أخرى، وهذا أخجله. أخجله لأنه يعرف أنه لن يساعد ماكفريز إذا جاءت الفرصة. الآن اختفت جانيس، واختفت أمه. بشكل لا يمكن إبطاله وإلى الأبد. إلا إذا فاز. فأصبح الآن يريد الفوز بأي ثمن.

شَعَر بالغرابة. فقد كانت هذه أول مرة يمكنه أن يتذكّر فيها أنه يريد الفوز. ليس حتى عند خط الانطلاق، عندما كان بكامل نشاطه (في الحقبة التي كانت فيها الدينوصورات تعيش على كوكب الأرض)، لم يرغب بالفوز بهذه القوة. لم يكن هناك وقتها سوى التحدي. ولم تكن البنادق قد أخرجت بعد أعلامها الحمراء الصغيرة المكتوبة عليها كلمة "طاخ". كان كل شيء حقيقياً.

أم هل كان يُدرك كل شيء من البداية؟

بدا الألم في قدميه مضاعفاً منذ أن قرَّر أنه يريد الفوز، وكان يشعر بطعنات ألم في صدره عندما يشهق أنفاساً طويلةً. والإحساس بالحمى يزداد – ربما التقط عدوى ما من سكرام.

أراد الفوز، لكن حتى ماكفريز لن يستطيع أن يحمله على خط النهاية غير المرئي. لم يظن أنه سيفوز. فاز في الصف المدرسي السادس بمسابقة التهجئة في مدرسته وتأهّل إلى تصفيات المقاطعة، لكن المسؤولة عن تلك التصفيات لم تكن الآنسة بيتري، التي تسمح لك أن تتراجع عن إجابتك إذا أخطأتَ. الآنسة بيتري الحنونة. وَقَف هناك، متألماً، غير مصدِّق، متأكداً من وجود خطأ ما، لكن لم يكن هناك أي خطأ. فهو لم يكن بارعاً كفاية وقتها ليتخطى التصفيات، ولن يكون بارعاً كفاية الآن. إنه بارع كفاية ليصمد أكثر من أغلب الباقين، لكن ليس كلهم. لقد تجاوزت قدماه ورِجلاه حاجز الخَدر والعِصيان الغاضب، وأصبح التمرّد وشيكاً جداً الآن.

زال ثلاثة فتيان فقط منذ أن غادروا فريبورت. وكان كلينغرمان البائس أحدهم. عرِف غارّاتي

ما كان يفكِّر فيه الباقون. فقد صدر عدد كبير من البطاقات الآن لكي يستسلم أي واحد منهم. ليس مع بقاء عشرين سائراً فقط. سيسيرون الآن إلى أن تنهار أجسادهم أو عقولهم.

مرّوا على جسر يمتدّ فوق غدير صغير هادئ، يتمايل سطحه بخفة بفعل المطر. زأرت البنادق، وابتهَج الحَشد، وشعَر غارّاتي بمنطقة الأمل المظلمة العنيدة في مؤخرة دماغه تُفتَح أكثر بمقدار طفيف جداً.

"هل بدت حبيبتك جميلة بنظرك؟".

كان أبراهام، وقد بدا مثل ضحية من ضحايا مسيرة باتان. كان لسبب لا يمكن تخيّله قد رمى سترته وقميصه، تاركاً صدره النحيل وقفصه الصدري المرصوص عارياً.

"نعم"، قال غارّاتي. "آمل أن أتمكن من التعويض عليها".

ابتسم أبراهام. "تأمل؟ نعم، لقد بدأتُ أتذكّر كيف يهجّئون هذه الكلمة أنا أيضاً". كان يبدو كتهديد صغير. "هل كان ذلك تابنز؟".

أنصَتَ غارّاتي. لم يسمع شيئاً سوى الهدير الهادئ للحَشد. "أجل، كان هو. أظن أن باركر نَحَسه".

"أقول لنفسي دائماً"، قال أبراهام، "إن كل ما عليَّ فعله هو مواصلة وضع قدم أمام الأخرى".

"نعم".

بدا أبراهام مستغيثاً. "غارّاتي... من الحقارة قول هذا...".

"ما هو؟".

بقي أبراهام صامتاً لفترة طويلة. كان يرتدي حذاءً رسمياً كبيراً بدا ثقيلاً بشكل مريع لغارّاتي (الذي كانت قدماه عاريتين الآن، وباردتين). بقي ذلك الحذاء يطقطق ويتجرجر على الطريق، الذي توسّع الآن إلى ثلاثة ممرات. لم يبدُ الحَشد صاخباً جداً أو قريباً جداً منهم بشكل مروِّع مثلما كان منذ أوغستا.

بدا أبراهام مستغيثاً أكثر من أي وقت مضى. "هذه حقارة. لا أدري كيف أقوله".

هزَّ غارّاتي كتفيه، مرتبِكاً. "أظن أن عليك قوله كما هو".

"حسناً، اسمع. نحن نُنجز شيئاً معاً. كل مَن بقي منا".

"تزاحُم، ربما؟".

"إنه نوع من... الوعد".

"آه حقاً؟".

"لا تساعد أي شخص آخر. اتكل على نفسك فقط لا غير".

نَظَر غارّاتي إلى قدميه. تساءل منذ كم من الوقت أحسّ بالجوع، وتساءل كم من الوقت سيمضي قبل أن يُغمى عليه إذا لم يأكل شيئاً. اعتقَد أن حذاء أبراهام الرسمي كان مثل ستابنز – يستطيع ذلك الحذاء أن يحمله من هنا إلى جسر غولدن غايت (البوابة الذهبية) من دون حتى أن يُبلى رباطه... على الأقل بدا هكذا.

"هذا يبدو أمر عديم الشفقة كلياً"، قال أخيراً.

"ستكون الحالة برمّتها عديمة الشفقة". قال أبراهام دون أن يظهر إليه.

"هل تكلَّمت مع كل الآخرين حول هذا؟".

"ليس بعد. تكلّمتُ مع حوالي عشرة أشخاص".

"نعم، هذه حقارة حقيقية. يمكنني رؤية كم هو صعب عليك التكلم عنه".

"يبدو أنه يصبح أصعب وليس أسهل".

"ماذا قالوا؟". كان يعرِف ما الذي قالوه، ما الذي كان يُفترَض بهم أن يقولوه؟

"إنهم موافقون".

فتَح غارّاتي فمه، ثم أغلقه. نَظَر إلى بايكر أمامهم. كان بايكر يرتدي سترته، وكانت مبلَّلة كلياً. كان رأسه ملتوياً. وأحد وركَيه يتمايل وينتأ بشكل غريب. ورِجله اليسرى متيبّسة بشكل سيئ جداً.

"لماذا خلعتَ قميصك؟"، سأل أبراهام فجأة.

"كان يسبّب لي حكاكاً. كان مصنوعاً من قماش اصطناعي، وربما لديَّ حساسية من الأقمشة الاصطناعية. كيف كان يمكنني أن أعلم هذا الأمر اللعين؟ ما رأيك يا راي؟".

"تبدو مثل شخص تائب".

"ما رأيك؟ نعم أو لا؟".

"ربما أَدين لماكفريز مرتين". كان ماكفريز لا يزال قريباً منهما، لكنه كان من المستحيل معرفة إن كان يمكنه سماع حديثهما في ضجيج الحَشد. هيا يا ماكفريز، فكّر في سرّه. أخبره أنني لا أَدين لك بأي شيء. هيا أيها الحقير. لكن ماكفريز لم يقل شيئاً.

"حسناً، أَدخلني في حسابك"، قال غارّاتي.

"ممتاز".

أنا الآن حيوان، مجرد حيوان قذر ومُتعَب وغبي. مبروك. لقد تخلّيتَ عن كل قيَمِك.

"لا يمكننا منعك إذا حاولتَ مساعدة أي شخص. فهذا مخالف للقوانين. لكننا سنستبعدك. وستكون قد خالفت وعدك".

"لن أحاول".

"ينطبق الشيء نفسه على أي شخص يحاول مساعدتك".

"أجل".

"لا شيء شخصي. أنت تعرف هذا يا راي. لكننا نعارض هذا الآن".

"اعتمد على نفسك فقط".

"بالضبط".

"لا شيء شخصي. فقط عدنا إلى شريعة الغاب".

ظنَّ لثانية أن أبراهام سيغضب، لكن شهيقه السريع خرَج في تنهيدة غير مؤذية. ربما كان مُتعَباً جداً لكي يغضب. "لقد وافقتَ. سأُلزمك بوعدك يا راي".

"ربما يجب أن أستخدم لغة طنّانة وأقول إنني سألتزم بوعدي لأن كلمتي عهد عليَّ"، قال غارّاتي. "لكنني سأكون صادقاً. أريد رؤيتك تحصل على بطاقتك يا أبراهام. وعاجلاً أفضل".

لعَق أبراهام شفتيه. "نعم".

"يبدو هذا الحذاء جيداً يا آبي".

"نعم. لكن اللعين ثقيل جداً. عندما تشتري شيئاً صالحاً للمسافات الطويلة، ستحصل على الوزن إلزامياً".

"لا يوجد أي حلّ للرقص في ليالي الصيف، أليس كذلك؟".

ضحِك أبراهام. وراقَب غارّاتي ماكفريز. كان وجهه غير مقروء. ربما سمع حديثهما. وربما لم يسمعه. انهمر المطر في خطوط مستقيمة هادئة، أثقل الآن، أبرد. كانت بشرة أبراهام بيضاء منتفخة. بدا أبراهام وقد خلع قميصه كمحكوم مُدان. تساءل غارّاتي إن كان أي شخص قد أخبَرَ أبراهام أن فرص نجاته معدومة نهائياً إن أمضى الليل خالعاً قميصه. بدا الشَفَق قاب قوسين أو أدنى. ماكفريز؟ هل سمعتنا؟ لقد خنتك يا ماكفريز. فرسان إلى الأبد.

"آه، لا أريد أن أموت بهذه الطريقة"، قال أبراهام. كان يبكي. "ليس علناً مع وجود أشخاص يشجِّعونك لكي تنهض وتسير لبضعة كيلومترات أخرى. هذا أمر غبي. غبي جداً. هذا يزيل كل الوقار عن الشخص ويصبح كما لو أنه متخلّف عقلياً يعضّ على لسانه ويتبرَّز في بنطلونه في الوقت نفسه".

كانت الثالثة وربعاً عندما أعطى غارّاتي وعده بعدم المساعدة. وعند السادسة ذلك المساء، نال شخص واحد فقط بطاقةً. لم يتكلم أحد. بدا أن هناك مؤامرة غير مريحة جارية على قدم وساق بتجاهل آخر ثواني من حياتهم، فكّر غارّاتي في سرّه، بأن يتظاهروا ببساطة أن ذلك لم يكن يحصل. كانت المجموعات – أو بالأحرى العدد القليل جداً المثير للشفقة الذي بقي منها – قد تحلّلت كلياً. فالجميع وافَقوا على اقتراح أبراهام. ماكفريز وافَق. بايكر وافَق. ستابنز ضحِك وسأل أبراهام إن كان يريده أن ينخس إصبعه لكي يمكنه توقيع ذلك بالدم.

كان البرد يزداد أكثر فأكثر. بدأ غارّاتي يتساءل إن كان هناك شيء حقاً يدعى الشمس، أو أنه موجود في أحلامه فقط. حتى جانيس كانت حلماً له الآن – حلم ليلة صيف في صيف لم يحصل أبداً.

ومع ذلك فقد بدا له أنه يرى أبيه بوضوح أكبر من ذي قبل. أبوه بشعره الكثّ الذي ورثه عنه، وكتفيه الضخمين اللذين يشبهان أكتاف سائقي الشاحنات. كانت بنية أبيه تشبه بنية مدافعي كرة القدم. ويمكنه تذكّر أبيه يرفعه بذراعيه، ويلوِّح به إلى حدود إصابته بدوار، ويفرك له شعره، ويقبّله. يحبُه.

لم ير أمه في فريبورت أبداً، أدرَك ذلك بحزن، لكنها كانت هناك – في معطفها الأسود الرث، "للأفضل"، ذلك الذي يبيّن قشرة الرأس البيضاء كالثلج على الياقة مهما غسلت شعرها من مرات. الأرجح أنه أذاها جداً بتجاهله لها لصالح جانيس. وربما حتى تقصَّد إيذاءها. لكن هذا لا يهمّ الآن. فقد أصبح من الماضي. والمستقبل هو الذي يتّضح أمامه، حتى قبل حصوله.

أنت تتوغل أعمق، فكّر في سرّه. لا يصبح ضحِلاً أكثر أبداً، فقط أعمق، إلى أن تخرج من الخليج وتسبح في المحيط. كان كل هذا يبدو بسيطاً في السابق. مضحكاً جداً. لقد كلَّم ماكفريز وقد أخبره ماكفريز عندما أنقذه للمرة الأولى كردة فعل لاإرادية تماماً. ثم أنقذه مرة أخرى في فريبورت لتفادي منظر بشع أمام فتاة جميلة لن يعرفها أبداً. تماماً مثلما لن يعرف زوجة سكرام أبداً، الحامل بطفل. شَعَر غارّاتي بغُصّة من هذه الفكرة، وبحزن مفاجئ. لم يفكّر بسكرام منذ وقت طويل. اعتقَد أن ماكفريز ناضج جداً، حقاً. تساءل لماذا لم يتمكن من النضوج شخصياً ولو قليلاً.

استمرت المسيرة. وراحوا يقطعون بلدة تلو البلدة.

وَقَع في حزن، في مزاجٍ مُرضٍ بشكل غريب حطّمته فجأة القعقعة المفاجئة لطلقة نارية والصراخ الأجش من الحَشد. عندما نظر حوله كان مذهولاً من رؤية كولي باركر واقفاً فوق العربة نصف المجنزَرة وبندقية في يديه.

كان أحد الجنود ساقطاً على ظهره محدّقاً في السماء بعينين فارغتين غير معبِّرتين. كانت هناك فجوة زرقاء مُتقَنة مُحاطة بهالة من البارودِ المحترق في وسط جبهته.

"الأوغاد اللعينون!"، كان باركر يصرخ. وقد قفز بقية الجنود عن العربة نصف المجنزَرة. نظرَ باركر إلى السائرين المذهولين. "هيا يا شباب! هيا! يمكننا–".

راح السائرون، بما في ذلك غارّاتي، يحدِّقون في باركر كما لو أنه بدأ يتكلم بلغة أجنبية. والآن قام أحد الجنود الذين كانوا قد قفزوا عندما تسلَّق باركر جانب العربة بإطلاق النار على ظهر كولي باركر.

"باركر!"، صَرَخ ماكفريز. كان الأمر كما لو أنه لوحده فهِم ما الذي حصل، والفرصة التي قد تكون قد فاتتهم للتو. "آه، لا! باركر!".

نخر باركر كما لو أن أحدهم ضربه على ظهره بهراوة هندية مبطَّنة. انهمر الرصاص وكان كولي باركر هناك، واقفاً فوق العربة نصف المجنزَرة مع أحشائه منتشرة على كل قميصه الكاكي

الممزَّق وسرواله الجينز الأزرق. تجمَّدت إحدى يديه في إيماءة عريضة، كما لو أنه كان على وشك إلقاء خطاب مصيريّ.

"يا إلهي".

"تباً"، قال باركر.

أطلق رصاصتين على الطريق من البندقية التي كان قد انتزعها من الجندي الميت. ارتدّت الرصاصتان عن الأرض، وشعَر غارّاتي أن إحداهما اخترقت الهواء أمام وجهه. صَرَخ شخص في الحَشد ألماً. ثم انزلقت البندقية من يدَي باركر. قام بنصف استدارة عسكرية تقريباً ثم سقط على الطريق مستلقياً على خصره، وراح يلهث بسرعة مثل كلب ضربته سيارة وأصابته إصابةً مميتةً. توهجت عيناه. فتَح فمه وكافح ليقول شيئاً عبر الدم الذي في فمه.

"أيها. ال. الس. السفل. ال". ثم مات، محدِّقاً فيهم بوحشية أثناء مرورهم.

"ماذا حصل؟"، صرَخ غارّاتي دون أن يوجِّه كلامه لأي شخص بالتحديد. "ماذا حصل له؟".

"تسلَّل عليهم"، قال ماكفريز. "هذا ما حصل. لا شكّ أنه شعَر بعدم القدرة على الاستمرار. تسلَّل عليهم من الخلف وفاجأهم في نومهم". أصبح صوت ماكفريز أجش. "أرادنا كلنا معه فوق يا غارّاتي. وأعتقدُ أنه كان بإمكاننا فعل ذلك".

"عما تتكلّم؟"، سأل غارّاتي، مرتعباً فجأة.

"ألا تعلَمْ؟"، سأله ماكفريز. "ألا تعلَمْ؟".

"معه فوق؟... ماذا؟...".

"انسَ الأمر. فقط انسَه".

ابتعد عنه ماكفريز. أُصيب غارّاتي بقشعريرة مفاجئة. لم يكن قادراً على إيقافها. لم يعرف عما كان ماكفريز يتكلم. لم يرغب أن يعرف عما كان ماكفريز يتكلم. أو حتى أن يفكِّر فيه.

استمرت المسيرة.

توقف المطر عند الساعة التاسعة تلك الليلة، لكن السماء كانت خالية من النجوم. لم ينل أي شخص آخر بطاقته، لكن أبراهام بدأ يئنّ بغير وضوح. كان الجو بارداً جداً، لكن لا أحد عرضَ على

أبراهام أي شيء ليرتديه. حاوَل غارّاتي اعتبار المسألة عدالة شاعرية، لكن ذلك جَعَله يشعر بالاشمئزاز فقط. وتحوَّل الألم الذي في داخله إلى مرض، إلى اشمئزاز عَفِن بدا ينمو في تجاويف جسمه مثل فطر أخضر. كان حزام أنابيب معجونه المركَّز ممتلئاً تقريباً، لكن كل ما كان يمكنه أن يفعله هو أكل أنبوب صغير من معجون الطون من دون غثيان.

بايكر وأبراهام وماكفريز. لقد تقلَّصت دائرة أصدقائه إلى هؤلاء الثلاثة. وستابنز، إذا كان صديقاً لأي شخص. أحد المعارف، إذاً. أو الشيطان. أو أي شيء. تساءل إن كان أحدهم سيكون هنا في الصباح، وإن كان سيكون حيّاً ليعرف ذلك.

مفكِّراً بهكذا أشياء، كاد يرتطم ببايكر في الظلمة. شيء ما خشخَش في يدَي بايكر.

"ماذا تفعل؟"، سأل غارّاتي.

"ماذا؟"، رفع بايكر نظره بشكل خالٍ من أي تعبير.

"ماذا تفعل؟"، كرَّر غارّاتي بصبر.

"أعدّ الفكّة".

"وكم معك؟".

خشخَش بايكر المال في يديه الكُوبيّة الشكل وابتسم. "دولار واثنين وعشرين سنتاً"، قال.

ابتسم غارّاتي. "هذه ثروة. ماذا ستفعل بها؟".

لم يبادله بايكر الابتسامة. بل نظرَ نظرة حالمة إلى العتمة الباردة. "تعطيني واحداً كبيراً"، قال وقد ثقُل تشدُّقه الجنوبي الخفيف بشكل ملموس. "تعطيني واحداً مصنوعاً من الرصاص ذي قسم داخلي من الحرير الزهري ووسادة رأس من الساتان الأبيض". وغمزَت عيناه اللتان تشبهان مسكتَي باب فارغتين. "لن أتعفّن أبداً عندها، ليس قبل يوم الختام، عندما نكون كلنا مثلما كنا. مكسوون بلحم غير متعفّن".

شعَر غارّاتي ببعض الرعب الدافئ. "بايكر؟ هل فقدتَ عقلك؟".

"لا يمكنك أن تهزمها. كلنا مجانين لمحاولة ذلك. لا يمكنك أن تهزم عفونتها. ليس في هذا العالم. مصنوع من الرصاص، هذه هي البطاقة...".

"إذا لم تتمالك نفسك، ستكون ميتاً عند الصباح".

أومأ بايكر برأسه. كانت بشرته مشدودة فوق عظام وجنتيه، مما أبرَز بنية جمجمته. "هذه هي البطاقة. أردتُ أن أموت. ألم ترد ذلك أنت أيضاً؟ أليس هذا السبب؟".

"اصمت!"، صاح غارّاتي. شعرَ برعشة أخرى.

انحدر الطريق صعوداً بحدّة، قاطعاً عليهما حديثهما. حنى غارّاتي جسمه نحو التلة، بارداً وحاراً، بعموده الفقري وصدرِه اللذين يؤلمانه. كان متأكداً أن عضلاته سترفض بشكل قاطع دعمه أطول من ذلك. تذكّر صندوق بايكر المصنوع من الرصاص، والمُغلق في وجه الألفيات المظلمة، وتساءل إن كان ذلك سيكون آخر شيء يفكّر فيه في حياته. لم يتمنَّ ذلك، وكافح ليفكّر في فكرة أخرى.

صدرت تحذيرات بشكل متشتّت. عاد الجنود على العربة نصف المجنزَرة إلى سابق عهدهم؛ فالجندي الذي قتله باركر استُبدل بشكل خفي. وابتهَج الحَشد برتابة. تساءل غارّاتي ما هو شعور الاستلقاء في أكبر صمت مكتبة وأكثره غباراً، يحلم أحلاماً غير مبالية إلى ما لا نهاية خلف جفنين مُغمضين، مرتدياً أفضل بذلة لديه إلى الأبد. لا قلق بشأن المال، النجاح، الخوف، الفرح، الألم، الحزن، الجنس، أو الحب. لا قلق أبداً. لا أب، لا أم، لا حبيبة، لا حبيب. الموتى أيتام. لا صُحبة سوى الصمت مثل جناح عُثّة. نهاية لعذاب الحركة، للكابوس الطويل للسير على الطريق. الجسد في سلام، سكون، ونظام. العتمة المثالية للموت.

كيف سيكون ذلك؟ فقط كيف سيكون؟

وفجأة بدا العرق الذي يسيل على وجهه، وعضلاته المعذِّبة المؤرِقة، وحتى الألم نفسه، حلواً جداً وحقيقياً. بذل غارّاتي جهداً أكبر. كافَح ليصل إلى قمة التلة، وراح يلهث بغير انتظام طوال مسافة النزول عند الجهة البعيدة.

عند 11:40، اشترى مارتي وايمان حفرته. كان غارّاتي قد نسي أمر وايمان كلياً، فهو لم ينطق بأي كلمة أو يومئ بأي إيماءة خلال الساعات الأربعة والعشرين الماضية. لم يمت بشكل مذهل. بل استلقى فقط وتلقّى طلقة نارية. وهمَس شخصٌ أنه وايمان. وهمَس شخصٌ آخر أنه الثالث والثمانون، أليس كذلك؟ وكان هذا كل شيء.

عند منتصف الليل، كانوا يبعدون ثلاثة عشر كيلومتراً فقط عن حدود نيو هامبشاير. مرّوا

بسينما في الهواء الطلق كانت عبارة عن مستطيل أبيض ضخم في العتمة. وتوهجت لقطة واحدة على الشاشة: "إدارة هذه السينما تحيّي المشاركين في المسيرة الطويلة لهذه السنة!". عند 12:20 بعد منتصف الليل، بدأ المطر ينهمر مرة أخرى، وبدأ أبراهام يسعل – نفس نوع السعال الرطب المتفرّق الذي أصاب سكرام قبل فترة قصيرة من شرائه بطاقته. عند الساعة الواحدة، أصبح المطر غزيراً وراح يلسع عينَي غارّاتي ويسبِّب له أوجاعاً في جسمه كنوع من أنواع البُرَدَاء الداخلية. وراحت الرياح تلطم ظهورهم.

عند الواحدة والربع، حاوَل بوبي سلادج أن يهروِل بهدوء نحو الحَشد تحت غطاء الظلمة والمطر الغزير. فأُحدِثت فيه ثقوب بسرعة وفعالية. تساءل غارّاتي إن كان الجندي الأشقر الذي كاد يبيعه بطاقته هو الذي فعل ذلك. كان يعرف أن الجندي الأشقر في الخدمة؛ فقد رأى وجهه بوضوح في وهج الأضواء الكشّافة للعربة. تمنّى من كل قلبه لو كان الجندي الأشقر هو الجندي الذي قتله باركر.

عند الثانية وثُلثاً، سقَط بايكر وارتطم رأسه بحافة الرصيف. بدأ غارّاتي يسير نحوه من دون أي تفكير. فأمسكتْ يدٌ، لا تزال قوية، ذراعه. كان ماكفريز. بالطبع سيكون ماكفريز.

"لا"، قال. "لا فرسان بعد الآن. وهذا حقيقي".

تابعا سيرهما من دون أن يلتفتا إلى الوراء.

جمَّع بايكر تحذيراته الثلاثة، ثم ساد الصمت إلى ما لا نهاية. انتظَر غارّاتي أن تنخفض البنادق، ثم تفحَّص ساعته عندما لم تفعل ذلك. كانت قد مرَّت أكثر من أربع دقائق. بعد فترة قصيرة من ذلك، تجاوزه بايكر دون أن ينظر إلى أي شيء. كان هناك جرح بشع يقطر دماً على جبهته، لكن عينيه بدتا عاقلتين. كانت النظرة الفارغة المذهولة قد اختفت.

قبل الساعة الثانية بقليل، دخلوا نيو هامبشاير وسط أكبر هرج ومرج رأوه في حياتهم. راحت المدافع تقصف، والألعاب النارية تفرقع في السماء الماطرة، مضيئةً الحشد الذي امتدّ على مدّ العين والنظر. وبدأت فِرق نحاسية تتنافس على عزف ألحان عسكرية. كانت الهتافات أشبه بالرعد. وقام انفجار جوي كبير برسم وجه الرائد في النار. وتلى ذلك وجه حاكم نيو هامبشاير، وهو رجل معروف باقتحامه القاعدة النووية الألمانية في سانتياغو لوحده تقريباً في العام 1953. كان قد فقد إحدى رِجليه بسبب التسمّم الإشعاعي.

كبا غارّاتي مرة أخرى. وأصبحت أفكاره غير متماسكة. كان فريكي دالّيسيو يربض تحت الكرسي الهزّاز لعمّة بايكر، ملتفاً على نفسه في تابوت صغير جداً. كان جسمه جسم قطة تشيشر بدينة، ويبتسم ابتسامة تكشف الأسنان كلها. وبشكل باهت في الوبر بين عينيه الخضراوين البعيدتين عن الوسط قليلاً، كانت هناك العلامات الفارقة الملتئمة لجرح بيسبول قديم. كانا يراقبان والد غارّاتي يُقاد إلى شاحنة سوداء غير موسومة بأي علامات مميزة. كان الجندي الأشقر أحد الجنود القابضين على والد غارّاتي. وكان والد غارّاتي يرتدي سروالاً داخلياً فقط. اِلتفَت الجندي الآخر إلى الوراء وظنَّ غارّاتي للحظة أنه الرائد. ثم رأى أنه ستابنز. اِلتفَت إلى الوراء ورأى أن قطة تشيشر ذات رأس فريكي اختفت – كلها ما عدا ابتسامتها، التي بقيت معلَّقة في الهواء تحت الكرسي الهزّاز مثل الحافة الخارجية لقطعة بطيخ أحمر...

كانت البنادق تُطلق النار مرة أخرى. يا إلهي، كانت تطلق النار عليه الآن، وشَعَر بالهواء من تلك الطلقة، انتهى كل شيء، كل شيء–

جفلَ مستيقظاً بالكامل وركض خطوتين، مرسلاً وخزات ألم صعوداً من قدميه حتى منفرج ساقيه قبل أن يُدرِك أنهم كانوا يطلقون النار على شخص آخر، وأن ذلك الشخص الآخر مات ووجهه غارقاً في المطر.

"يا إلهي"، تمتم ماكفريز.

"رحمه الله"، قال ستابنز من خلفهم. كان قد تقدَّم مقترباً منهم، تقدَّم ليشهد القتل، وكان يبتسم مثل قطة تشيشر في حلم غارّاتي. "ساعدوني على الفوز في سباق السيارات هذا".

"هيا"، قال ماكفريز. "لا تحاول أن تتذاكى".

"سأتذاكى بقدر ما أنت ذكي"، قال ستابنز بوقار.

ضحِك ماكفريز وغارّاتي – ببعض الانزعاج.

"حسناً"، قال ستابنز، "ربما قليلاً".

"ارفعها واطرحها أرضاً، أغلق فمك"، غنّى ماكفريز. مرَّر يداً متزعزعةً على وجهه وتابع سيره، مُبقياً عينيه تنظران إلى الأمام مباشرة، وكتفَيه مثل قوس مكسور.

اشترى أحدهم بطاقته قبل الساعة الثالثة – أُطلق عليه النار في المطر والعتمة العاصفة

عندما جثا على رُكبتيه في مكان ما بالقرب من بورتسموث. أُصيب أبراهام، الذي كان يسعل باستمرار، بحمى ميؤوس منها، نوع من توهّج الموت، سطوع ذكَّر غارّاتي بالنيازك. سيحترق بدلاً من أن ينطفئ – أصبح الوضع دقيقاً إلى هذا الحدّ الآن.

سار بايكر بإصرار هادئ متجهّم، محاولاً التخلّص من تحذيراته قبل أن يتخلَّصوا منه. وبالكاد كان غارّاتي قادراً على تمييزه تحت زخّات المطر، وهو يعرج ويداه تضغطان على خصره.

وكان ماكفريز ينهار. لم يكن غارّاتي متأكداً متى بدأ ذلك؛ ربما حصل في ثانية، بينما كان مُديراً ظهره. في لحظة واحدة كان لا يزال قوياً (تذكَّر غارّاتي قبضة يد ماكفريز على ذراعه عندما سقط بايكر)، ثم أصبح مثل عجوز الآن. كان ذلك مثيراً للأعصاب.

كان ستابنز هو ستابنز. صامد مثل حذاء أبراهام. بدا أنه يفضِّل رِجلاً على الأخرى قليلاً، لكن يمكن أن يكون ذلك مجرد خيال غارّاتي.

من بين العشرة الآخرين، خمسة بدوا قد انسحبوا إلى ذلك العالم السفلي الخاص الذي اكتشفه أولسون – خطوة واحد بعد الألم وإدراك لما كان سيحصل لهم. ساروا في الظلمة الماطرة مثل أشباح هزيلة، ولم يحبّذ غارّاتي النظر إليهم. كانوا الموتى السائرين.

قبل الفجر بقليل، سقط ثلاثة منهم دفعة واحدة. زأر المتفرّجون وعمّ الحماس بينهم من جديد بينما راحت الأجساد تدور والأقدام تخبط الأرض مثل قُطع حطب مكدَّسة. بدا ذلك لغارّاتي كأنه بداية تفاعل متسلسل مُرعِب قد ينتشر بينهم ويقضي عليهم كلهم. لكنه انتهى. انتهى مع زحف أبراهام على رُكبتيه، وعيناه تنظران بشكل أعمى إلى العربة نصف المجنزَرة والحَشد من ورائها، شاردتان ومليئتان بألم مرتبك. كانتا عينَي خروف علق في سور أسلاك شائكة. ثم وَقَع على وجهه. أحدثَ حذاؤه الرسمي الثقيل صوت ارتطام قوي على الطريق الرطب ثم توقف.

بعد ذلك بقليل، بدأت السمفونية المائية للفجر. أشرقَ اليوم الأخير للمسيرة رطباً ومظلماً. وعصفت الرياح في زقاق الطريق الفارغ تقريباً مثل كلب تائه يعدو بسرعة في مكان غريب ومريع.

الجزء الثالث

الأرنب

الفصل 17

"أمي! أمي! أمي! أمي!".

– جيم جونز، في لحظة ارتداده عن معتقداته

تم توزيع أنابيب المعجون المركَّز للمرة الخامسة والأخيرة. احتاج الأمر الآن إلى جندي واحد لكي يوزّعها. فلم يبق سوى تسعة سائرين. وبعضهم نَظَر إلى الأحزمة برتابة، كما لو أنهم لم يروا هكذا أشياء أبداً، وتركوها تنزلق من أياديهم مثل أفاعي زلقة. احتاج غارّاتي إلى ما بدا أنه ساعات ليجعل يديه تنفّذان العملية المعقَّدة بربط الحزام حول خصره، وفكرة تناول الطعام جَعَلت معدته المنقبضة والذابلة تشعر بالغثيان.

كان ستابنز يسير بجانبه الآن. حارسي الأمين، فكّر غارّاتي في سرّه بامتعاض. بينما كان غارّاتي يراقبه، ابتسم ستابنز ابتسامة عريضة وحشَرَ رقاقتَي بسكويت هشّ ملطَّختين بزبدة الفول السوداني في فمه. أكَل بصخب. شعَر غارّاتي بالغثيان.

"ما المشكلة؟"، سأل ستابنز بفمه اللزج. "ألا تستطيع التحمّل؟".

"وما دخلك أنت؟".

ابتلَع ستابنز بما اعتبره غارّاتي جهداً حقيقياً. "لا شيء. إذا أُغمي عليك من سوء التغذية، فذلك أفضل لي".

"أعتقد أننا سنتمكن من الوصول إلى ماساتشوستس"، قال ماكفريز بصوت بائس.

أومأ ستابنز برأسه. "أول مسيرة ستتمكن من تحقيق ذلك منذ سبع عشرة سنة. سيُذهَلون".

"كيف تعرف هذا الكمّ الكبير عن المسيرة الطويلة؟"، سأل غارّاتي فجأة.

هزَّ ستابنز كتفيه. "كل شيء مدوَّن في السجلات. لا يوجد شيء يخجلون منه. أليس كذلك؟".

"ماذا ستفعل إذا فزتَ يا ستابنز؟"، سأل ماكفريز.

ضحِك ستابنز. بدا وجهه الرفيع الغائم التعِب في المطر مثل وجه أسد. "ما رأيك أنت؟ أشتري كاديلاك صفراء كبيرة ذات سقف أرجواني وتلفزيوناً ملوّناً بمكبّرات صوت مجسَّمة لكل غرفة في المنزل؟".

"أتوقع"، قال ماكفريز، "أنك ستتبرَّع بمئتي ألف أو بثلاثمئة ألف دولار لجمعية تكثيف معاملة الحيوانات بطريقة وحشية".

"أبراهام بدا مثل خروف"، قال غارّاتي فجأة. "مثل خروف علَقَ بسلك شائك. هذا ما أعتقدتُه".

مرّوا تحت راية ضخمة تُعلن أنهم يبعدون الآن خمسة وعشرين كيلومتراً فقط عن حدود ماساتشوستس – لم يكن هناك الكثير حقاً من نيو هامبشاير على الطريق العام رقم 1، مجرد قطعة أرض ضيقة تفصل ماين عن ماساتشوستس.

"غارّاتي"، قال ستابنز بلطف، "لماذا لا تذهب وتجامع أمك؟".

"آسف، لم تعد قادراً على استفزازي". وتقصَّد إخراج لوح شوكولا من حزامه وحشره كله في فمه. انقبضت معدته بشراسة، لكنه ابتلَع لوح الشوكولا. وبعد كفاح قصير متوتّر مع أحشائه، عرِف أنه سيبقى في الداخل. "أظن أنني قادر على السير ليوم كامل آخر إذا اضطررتُ"، قال بشكل غير رسمي، "ويومين آخرين إذا لزم الأمر. أقلِع عن ذلك يا ستابنز. توقف عن استخدام أسلوب الحرب النفسية القديم. هذا لا ينفع. تناوَل بعض رقائق البسكويت الهشّ وزبدة الفول السوداني".

زمّ ستابنز فمه بانقباض – للحظة فقط، لكن غارّاتي رأى ذلك. لقد تمكّن من إغاظة ستابنز. شعَر بمقدار هائل من الزهو بالنفس. لقد اكتشف منجم ذهب أخيراً.

"هيا يا ستابنز"، قال. "أخبرنا لماذا أنت هنا. أخبرنا بما أننا لن نكون معاً لفترة طويلة. نحن الثلاثة فقط، بعد أن أصبحنا نعرف أنك لست سوبرمان".

فتَح ستابنز فمه وبحركة مباغتة مروعة تقيأ رقائق البسكويت الهشّ وزبدة الفول السوداني التي أكلها، وكانت على حالها تقريباً بحيث بدا أن العصارات الهضمية لم تلمسها. ترنَّح قليلاً، ونال تحذيراً

للمرة الثانية فقط منذ بدء المسيرة.

شعَر غارّاتي بالدم الجامد يقرع رأسه. "هيا يا ستابنز. إنه مجرد قيء. اعترف الآن. أخبرنا".

أصبح وجه ستابنز بلون قماش لفّ الجبن القديم، لكنه استعاد رباطة جأشه. "لماذا أنا هنا؟ تريد أن تعرف؟".

كان ماكفريز ينظر إليه بفضول. لم يكن هناك أحد بالقرب منهم؛ وأقرب شخص كان بايكر، الذي كان يتجوَّل عند حافة الحَشد، وينظر باهتمام في وجوه المتفرّجين.

"لماذا أنا هنا أو لماذا أسير؟ أيهما تريد أن تعرف؟".

"أريد معرفة كل شيء"، قال غارّاتي. كانت هذه هي الحقيقة.

"أنا الأرنب"، قال ستابنز. انهمر المطر بثبات، وراح يتقطَّر عن أنوفهم، ويتدلّى في قطرات على شحمات آذانهم مثل أقراط. شاهدوا أمامهم سقوط فتى قدميه حافيتين ولونهما أرجواني بسبب تفجّر الأوردة فيهما على رُكبتيه، وراح يزحف ورأسه يتمايل بجنون إلى الأعلى والأسفل، ثم حاوَل النهوض، وسقط مرة أخرى، ثم نجح أخيراً. واندفع إلى الأمام. كان باستُر، لاحظَ غارّاتي مع بعض الدهشة. لا يزال معنا.

"أنا الأرنب"، كرَّر ستابنز. "لقد رأيتها يا غارّاتي. الأرانب الميكانيكية الرمادية الصغيرة التي تطاردها الكلاب السلوقية في سباقات الكلاب. مهما ركضت الكلاب بسرعة، فلن تتمكن أبداً من الإمساك بالأرنب. لأن الأرنب ليس لحماً ودماً بينما الكلاب كذلك. الأرنب مجرد قطعة بلاستيكية على عصا موصولة بمجموعة تروس وعجلات. كانوا يستخدمون أرنباً حقيقياً في الأيام الخوالي في إنكلترا، لكن الكلاب تُمسكه أحياناً. الطريقة الجديدة موثوقة أكثر".

"لقد خدعني".

راحت عينا ستابنز الزرقاوان الشاحبتان تحدِّقان في المطر المنهمر.

"وربما يمكنك أن تقول... لقد شعوذني. غيَّرني إلى أرنب. هل تتذكّر الأرنب في رواية أليس في بلاد العجائب؟ لكنك ربما على حق يا غارّاتي. لقد حان الوقت لكي نتوقف عن أن نكون أرانب وخِراف ونعود أشخاصاً... حتى ولو استطعنا أن نرتقي فقط إلى مستوى البغايا والمنحرفين على شرفات المسارح في الشارع الثاني والأربعين". أصبحت عينا ستابنز جامحتين ومرِحتين، وراح ينظر

إلى غارّاتي وماكفريز – وجفلا من تحديقه. كان ستابنز مجنوناً. لم يكن هناك أدنى شكّ في تلك اللحظة. كان ستابنز مجنوناً كلياً.

ارتفع صوته المنخفض النبرة إلى صراخ المنابر.

"كيف أعرف الكثير عن المسيرة الطويلة؟ أنا أعرف كل شيء عن المسيرة الطويلة! يجب عليَّ ذلك! الرائد أبي يا غارّاتي! إنه أبي!".

ارتفع صوت الحَشد في ابتهاج غبي كان جبلياً وغبياً في حدّته؛ ربما كانوا يبتهجون مما قاله ستابنز، لو كان بإمكانهم سماعه. زأرت البنادق. هذا ما كان الحَشد يبتهج له. زأرت البنادق وتدحرَج باستُر ميتاً.

شعَر غارّاتي بانقباض في أحشائه وصَفَنه.

"يا إلهي"، قال ماكفريز. "هل هذا صحيح؟". مرَّر لسانه فوق شفتيه المتقشّرتين.

"هذا صحيح"، قال ستابنز، بلطف تقريباً، "أنا إبنه غير الشرعي... لم أعتقد أنه يعرف. لم أعتقد أنه يعرف أنني إبنه. هنا ارتكبتُ خطأي. إنه حقير عاشق للمجامعة. علمتُ أن لديه عشرات الأبناء غير الشرعيين. وقد أردتُ أن أفاجئه – أن أفاجئ العالم بأسره. مفاجأة، مفاجأة. وعندما أفوز، ستكون الجائزة التي أطلبها أن أذهب إلى منزل أبي".

"لكنه عرِف كل شيء؟"، همَس ماكفريز.

"جعلني أرنبه. أرنب رمادي صغير لجعل بقية الكلاب تركض بسرعة أكبر... ولمسافة أطول. وأظن أنه نجح في ذلك. سنصل إلى ماساتشوستس".

"والآن؟"، سأل غارّاتي.

هزَّ ستابنز كتفيه. "تبيَّن أن الأرنب من لحم ودم في النهاية. أنا أسير. أتكلم. وأظن أنه إذا لم ينتهِ كل هذا قريباً، سأبدأ بالزحف على بطني مثل الزواحف".

مرّوا تحت دعامة ثقيلة من خطوط الطاقة. وكان هناك عدد من الرجال يرتدون أحذية تسلّق قد تشبَّثوا بأعمدة الدعم، فوق الحَشد، مثل سراعيف متنافرة.

"كم الساعة الآن؟"، سأل ستابنز. بدا وجهه قد ذاب في المطر. وأصبح وجه أولسون، وجه

أبراهام، وجه باركوفيتش... ثم، بشكل رهيب، وجه غارّاتي نفسه، يائس ومستنزَف، غائر على نفسه، وجه فزّاعة عَفِنة في حقل حُصِدَ منذ مدة طويلة.

"إنها العاشرة إلا ثلثاً"، قال ماكفريز. ابتسم – بتقليد شبحي لابتسامته الساخرة القديمة. "يوماً خامساً سعيداً لكما أيها الأبلهان".

أومأ ستابنز برأسه. "هل ستمطر طوال اليوم يا غارّاتي؟".

"نعم، أعتقد ذلك. هكذا يبدو".

أومأ ستابنز برأسه ببطء. "أعتقد ذلك أيضاً".

"حسناً، ادخل هرباً من المطر"، قال ماكفريز فجأة.

"شكراً".

تابعوا السير، بخطى متناغمة نوعاً ما، رغم أنهم كانوا منحنين إلى الأبد في أشكال مختلفة بسبب الآلام التي كانت تشدّ عليهم.

* * *

كانوا سبعة عندما دخلوا ماساتشوستس: غارّاتي، بايكر، ماكفريز، هيكل عظمي مكافِح غائر العينين يدعى جورج فيلدر، بيل هَفّ، وفتى مفتول العضلات طويل قليلاً يدعى راتيغان لم يبدُ أنه أصبح في حالة خطيرة جداً بعد، وستابنز.

تلاشت الأبّهة والعَظَمة اللتان ترافقان عبور الحدود ببطء خلفهم. استمر هطول المطر، بثبات ورتابة. وعصفت الرياح بكل الوحشية اليافعة والجاهلة لفصل الربيع. وجعلت قبعات تتطاير عن رؤوس في الحَشد وراحت تشقلبها في دوائر صغيرة وعنيفة في السماء البيضاء.

منذ مدة قصيرة جداً – مباشرة بعد أن أدلى ستابنز باعترافه – شَعَر غارّاتي بارتقاء غريب خفيف في جسمه كله. بدا أن قدميه تذكّرتا ما كانتا عليه في الماضي. كان هناك نوعٌ من التوقف في الآلام الـمُبرِحة في ظهره وعنقه. كان كما لو أنه تسلّق صخرة أخيرة ووصل إلى القمة – خرَج من رذاذ السُحُب ودخَل أشعة الشمس الباردة والهواء المنعش الخفيف الأكسجين... مع عدم إمكانية

الذهاب في أي اتجاه سوى نزولاً، وبسرعة الطيران.

كانت العربة نصف المجنزَرة أمامهم بقليل. نَظَر غارّاتي إلى الجندي الأشقر الرابض تحت المظلّة القماشية الكبيرة على السطح الخلفي. حاوَل أن يُسقِط كل أوجاعه وكل بؤسه المبتلّ بالمطر على رَجل الرائد. راح الأشقر يحدِّق فيه بلا مبالاة.

ألقى غارّاتي نظرة سريعة على بايكر ورأى أن أنفه ينزف كثيراً. ملأ الدم خدّيه وراح يتقطَّر عن فكّه.

"سوف يموت، أليس كذلك؟"، قال ستابنز.

"بالتأكيد"، أجاب ماكفريز. "الجميع يُحتضَرون، ألم تعلَمْ؟".

غطّتهم هَبَّة ريح قوية بالمطر، وترنَّح ماكفريز. ونال تحذيراً. ابتهَج الحَشد، غير متأثر ومنيع على ما يبدو. على الأقل كانت كمية المفرقعات النارية أقل اليوم. فقد وضع المطر حدّاً لكل تلك الاحتفالات الفارغة.

أخذهم الطريق حول منعطف كبير مائل، وشعَر غارّاتي بتطوُّح في قلبه. وسمِع راتيغان يتمتم بصوت خافت جداً، "يا إلهي!".

كان الطريق غارقاً بين تلّتين منحدِرتين، فكان أشبه بشَقّ بين نَهدَين مرتفعَين. كانت التلال سوداء بالناس. وبدا كما لو أن المتفرِّجين يرتفعون فوقها وحولها مثل الأسوار الخضراء لمستنقع داكن ضخم.

انتعش جورج فيلدر فجأة. فراح يدير رأسه يميناً ويساراً ببطء على عنقه الرفيع. "سيلتهموننا"، تمتم. "سينقضّون علينا ويلتهموننا".

"لا أعتقد"، قال ستابنز بعد قليل. "لم يحصل أبداً أن–".

"سيلتهموننا! يلتهموننا! يلتهموننا! ننا! ننا! ننا! ننا–". راح جورج فيلدر يدور في دائرة ضخمة غير مترابطة، ملوِّحاً بذراعيه بجنون. وتوهجت عيناه برعب المصيدة. شَعَر غارّاتي أنه بدا مثل إحدى تلك ألعاب الفيديو وقد أصابها مسّ من الجنون.

"يلتهموننا، يلتهموننا، يلتهموننا–".

كان يزعق بأعلى صوته، لكن بالكاد كان غارّاتي قادراً على سماعه. فالموجات الصوتية من التلال كانت تهبط عليهم مثل المطارق. حتى إن غارّاتي لم يسمع الطلقات النارية عندما اشترى فيلدر بطاقته؛ فقط الصراخ الهمجي لحناجر المتفرِّجين. رقصَ فيلدر رقصة غريبة لكن لبقة في وسط الطريق، فراحت قدماه تركلان، وجسمه يرتعش، وكتفاه ينتفضان. ثم بدا مُتعَباً جداً لكي يتابع الرقص، فجلَس، مباعداً بين رِجليه، ومات بهذه الطريقة، جالساً، وذقنه متدلٍ على صدره مثل طفل صغير مُتعَب أصابه النعاس فجأة أثناء اللعب.

"غارّاتي"، قال بايكر. "غارّاتي، أنا أنزف". كانت التلال خلفهم الآن وأصبح غارّاتي قادراً على سماعه – قليلاً.

"أجل"، قال. كان صعباً جداً عليه المحافظة على مستوى صوته. كان هناك شيء داخل آرت بايكر ينزف دماً. فكان يتدفّق من أنفه بغزارة. وأصبح خدّاه وعنقه حمراوين تماماً. وتبلَّلت ياقة قميصه كلياً.

"هذا ليس سيئاً، أليس كذلك؟"، سأله بايكر. كان يبكي من الخوف. فقد كان يعرِف أن وضعه سيئ.

"لا، ليس سيئاً جداً"، قال غارّاتي.

"المطر دافئ جداً"، قال بايكر. "لكنني أعرف أنه المطر فقط. إنه المطر فقط، أليس هذا صحيحاً يا غارّاتي؟".

"صحيح"، قال غارّاتي بصوت بائس.

"أتمنى لو كان معي بعض الثلج لأضعه عليه"، قال بايكر، وابتعَد. راقَبه غارّاتي يبتعد.

اشترى بيل هَفّ بطاقته عند الحادية عشرة والربع، وراتيغان عند الحادية عشرة والنصف، مباشرة بعد أن حلَّق فريق "الثنائي الطائر" للبهلوانيات الجوية فوقهم في ست طائرات F-111 زرقاء. كان غارّاتي قد توقَّع أن يزول بايكر قبل أحدهما. لكن بايكر بقي صامداً، رغم أن النصف العلوي لقميصه أصبح مبلَّلاً بالكامل الآن.

بدا لغارّاتي أن رأسه يعزف موسيقى جاز من ألحان دايف بروبَكْ وثالونيوس مَنك وكانونبول أدّيرلي – محدثو الضوضاء المحظورون الذين كان الجميع ينتظرون حتى تصبح الحفلة صاخبة جداً والجميع ثملين جداً قبل أن يشغّلوا موسيقاهم.

بدا له أنه كان محبوباً في يوم من الأيام، وأنه هو نفسه أحبَّ في يوم من الأيام. لكن كل شيء الآن كان مجرد موسيقى جاز وقرع الطبول المتزايد في رأسه، وأمه مجرد ريشة في معطف فرو، وجانيس مجرد مركز تسوّق زائف. انتهى كل شيء. حتى ولو فاز، حتى ولو تمكَّن من الصمود أكثر من ماكفريز وستابنز وبايكر، فإن كل شيء قد انتهى. لن يعود إلى المنزل مرة أخرى أبداً.

بدأ يبكي قليلاً. غشي بصره وتشابكت قدماه ببعضهما وسقَط. كان الطريق صلباً وبارداً جداً ومريحاً بشكل لا يُصدَّق. حُذِّر مرتين قبل أن يتمكّن من رفع نفسه، مستخدماً سلسلة حركات ثملة مثل السلطعون. أجبرَ قدميه على العمل من جديد. أخرَج ريحاً – قعقعةً طويلةً عقيمةً بدت غريبة كلياً عن أي ريح صادق يخرج من إنسان.

كان بايكر يترنّح يميناً ويساراً على الطريق، وماكفريز وستابنز يتشاوران. كان غارّاتي متيقّناً فجأة أنهما يتآمران لقتله، بنفس الطريقة التي قتل بها شخصٌ يدعى باركوفيتش يوماً ما رقماً مجهولاً يدعى رانك.

أجبرَ نفسه على السير بسرعة ولحِق بهما. أفسحا له المجال ليسير بينهما من دون أن ينطقا ببنت شفة (لقد توقفتما عن التكلم عني، أليس كذلك؟ لكنكما كنتما تتكلمان عني. هل تعتقدان أنني لا أعرف ذلك؟ هل تعتقدان أنني أبله؟)، لكن كان هناك ارتياح. أراد أن يكون معهما، أن يبقى معهما، إلى أن يموت.

مرّوا بلافتة الآن بدا أنها تلخِّص لعينَي غارّاتي المتسائلتين بصمت كل الجنون الصارِخ الذي يمكن أن يتواجد في الكون، كل الضحك الأحمق للأجسام الكروية، وكانت تلك اللافتة تقول: "79 كيلومتراً إلى بوسطن! يمكنكم تحقيق ذلك أيها السائرون!". كان لينفجر ضحكاً لو كان قادراً. بوسطن! بدت هذه الكلمة خرافية، زاخرة بالكذب.

كان بايكر بجانبه مرة أخرى. "غارّاتي؟".

"ماذا؟".

"هل دخلنا؟".

"ماذا؟".

"دخلنا، هل دخلنا؟ رجاءً يا غارّاتي".

تضرَّعته عينا بايكر. كان أشبه بمَسلَخٍ، بآلةٍ ملطَّخةٍ بالدم.

"نعم. لقد دخلنا. لقد دخلنا يا آرت". لم تكن لديه أي فكرة عما يتكلم عنه بايكر. "سأموت الآن يا غارّاتي".

"حسناً".

"إذا فزتَ، هل ستفعل شيئاً من أجلي؟ أخاف أن أطلب ذلك من أي شخص آخر". وقام بايكر بإيماءة جارفة نحو الطريق المهجور كما لو أن المسيرة كانت لا تزال تعجّ بالعشرات. اقشعرّ بدن غارّاتي للحظة متسائلاً إن كان الجميع لا يزالون هناك، أشباحاً تسير يستطيع بايكر رؤيتها الآن في لحظاته الأخيرة.

"أي شيء".

وضع بايكر يده على كتف غارّاتي، وبدأ غارّاتي يبكي بشكل خارج عن السيطرة. شَعَر أن قلبه سينفجر من صدره ويبكي هو أيضاً.

قال بايكر، "مصنوع من الرصاص".

"سِر لمسافة أطول قليلاً"، قال غارّاتي وهو يكزّ على أسنانه. "سِر لمسافة أطول يا آرت".

"لا – لا أستطيع".

"حسناً".

"ربما سأراك يا رجل"، قال بايكر، ومسَح بقعة دم عن وجهه بذهول.

أخفَض غارّاتي رأسه وبكى.

"لا تشاهدهم يفعلون ذلك"، قال بايكر. "عِدني بهذا أيضاً".

أومأ غارّاتي برأسه، غير قادر على الكلام.

"شكراً. لقد كنتَ صديقاً لي يا غارّاتي". حاوَل بايكر أن يبتسم. مدَّ له يده، وصافحه غارّاتي بيديه الاثنتين.

"في زمن آخر، في مكان آخر"، قال بايكر.

وَضَع غارّاتي يديه على وجهه واضطر أن ينحني لكي يتمكن من مواصلة السير. مزَّقته الشهقات وجَعَلته يشعر بألم يفوق أي شيء آخر كانت المسيرة قادرة على رميه عليه.

أمِلَ ألا يسمع صوت الطلقات. لكنه سمعها.

الفصل 18

"أُعلن انتهاء المسيرة الطويلة لهذه السنة.

سيداتي سادتي – أيها المواطنون – أقدِّم لكم الفائز!".

– الرائد

كانوا يبعدون خمسة وستين كيلومتراً عن بوسطن.

"أخبِرنا قصة يا غارّاتي"، قال ستابنز فجأة. "أخبِرنا قصة تُنسينا متاعبنا". كان قد هَرُمَ بشكل لا يُصدَّق؛ أصبح ستابنز عجوزاً.

"نعم"، قال ماكفريز. كان يبدو عجوزاً وذابلاً هو أيضاً. "قصة يا غارّاتي".

نقَّل غارّاتي نظره من الواحد إلى الآخر برتابة، لكنه لم يكن قادراً على رؤية أي نِفاق في وجهيهما، فقط الإرهاق. كان يسقط عن قمته الذاتية الآن؛ وكانت كل الآلام البشعة تندفع إليه بكل قوتها.

أغلَق عينيه للحظة طويلة. وعندما فتحهما، وجدَ أن العالم تضاعف، ثم عاد الوضوح إلى نظره على مضض. "حسناً"، قال.

صفَّق ماكفريز بوقار، لثلاث مرات. كان يسير بثلاثة تحذيرات؛ وغارّاتي بتحذير واحد؛ وستابنز بلا أي تحذير.

"كان يا ما كان–".

"آه، مَن يريد سماع قصة خرافية لعينة؟"، سأل ستابنز.

قهقه ماكفريز قليلاً.

"ستسمع ما أريد إخبارك إياه!"، قال غارّاتي بشكل شَكِس. "هل تريد سماع القصة أم لا؟".

تعثَّر ستابنز بغارّاتي. فحُذِّر الاثنان. "أظن أن قصة خرافية أفضل من لا قصة أبداً".

"إنها ليست قصة خرافية، على أي حال. لمجرد أن أحداثها تجري في عالم غير موجود أبداً لا يعني أنها قصة خرافية. لا يعني-".

"هل ستُخبرنا القصة أم لا؟"، سأل ماكفريز بنَزَق.

"كان يا ما كان في قديم الزمان"، بدأ غارّاتي يقول، "فارس أبيض خرَج إلى العالم في مهمة غاية في الأهمية. ترَك قلعته وسار في الغابة المسحورة-".

"الفرسان يمتطون أحصنة"، اعترَض ستابنز.

"امتطى حصانه في الغابة المسحورة إذاً. امتطى حصانه. وخاض عدة مغامرات غريبة. حارَب آلاف العمالقة والعفاريت وقطيعاً كاملاً من الذئاب. حسناً؟ ووصل أخيراً إلى قلعة الملك وطلب إذناً ليرافق غويندولين، إبنته المشهورة بجمالها، في نزهة".

قوقأ ماكفريز.

"لم يُعجب ذلك الملك، لأنه كان يعتبر أن لا أحد جيد كفاية لإبنته غوين، السيدة المشهورة بجمالها عالمياً، لكن السيدة الجميلة أحبّت الفارس الأبيض كثيراً لدرجة أنها هدَّدت بالهرب في البراري إذا... إذا...". أصابه دوار كبير، وشَعَر كما لو أنه يعوم في الفضاء. وصله زئير الحَشد مثل صوت تفجّر أمواج البحر في نفق طويل مخروطيّ الشكل. ثم تلاشى، لكن ببطء.

نظر حوله. كان رأس ماكفريز قد انخفض، وكان يسير في الحَشد، مستغرقاً في نومه.

"بيت!"، صرَخ غارّاتي. "يا بيت! بيت!".

"اتركه وشأنه"، قال ستابنز. "لقد قطعتَ الوعد مثلنا كلنا".

"تباً لك"، قال غارّاتي بوضوح، وتوجَّه إلى ماكفريز. لـمَس كتفَي ماكفريز، وأعاد تقويم ظهره

من جديد. نظر إليه ماكفريز بعينين نعستين جداً وابتسم. "لا يا راي. لقد حان الوقت لكي أجلس".

ملأ الرعب صدر غارّاتي. "لا! مستحيل!".

نَظَر إليه ماكفريز للحظة، ثم ابتسم مرة أخرى وهزّ رأسه. ثم جلَس شابكاً رِجليه على الرصيف. بدا مثل مروِّض أفاعٍ مُنهَك. كانت الندبة على خده عبارة عن شرطة بيضاء في الظُلمة الماطرة.

"لا!"، صَرَخ غارّاتي.

حاوَل رفع ماكفريز، لكنه كان ثقيلاً جداً رغم نحافته. لم ينظر إليه ماكفريز حتى. كانت عيناه مغلقتين. وفجأة كان جنديان يشدّان ماكفريز بعيداً عنه. كانا يضعان بندقيتهما على رأس ماكفريز.

"لا!"، صَرَخ غارّاتي مرة أخرى. "أنا! أنا! اقتلوني أنا!".

لكنهم بدلاً من ذلك، أعطوه تحذيره الثالث.

فتَح ماكفريز عينيه وابتسم مرة أخرى. وفي اللحظة التالية، كان قد زال.

راح غارّاتي يسير على غير هدى الآن. ويحدِّق بعينين خاليتين من أي تعبير في ستابنز، الذي راح يحدِّق فيه بفضول. شَعَر غارّاتي أن فراغاً غريباً هادراً يملؤه.

"أنهِ القصة"، قال ستابنز. "أنهِ القصة يا غارّاتي".

"لا"، قال غارّاتي. "لا أظن ذلك".

"انسَ الأمر إذاً"، قال ستابنز، وابتسم ابتسامة أخّاذة. "ربما لا تزال روحه قريبة منا. يمكنك اللحاق به".

نَظَر غارّاتي إلى ستابنز وقال، "سأواصل السير حتى أراك على الأرض".

آه يا پيت، فكّر في سرّه. حتى إنه لم تعد لديه أي دموع ليذرفها عليه.

"حقاً؟"، قال ستابنز. "سنرى".

عند الثامنة ذلك المساء كانا يمرّان في دانفرس، وعرِف غارّاتي أخيراً. كانت النهاية وشيكة، لأن لا أحد يستطيع الفوز على ستابنز.

أمضيتُ وقتاً طويلاً أفكِّر في الأمر. ماكفريز، بايكر، أبراهام... لم يفكّروا فيه، بل فعلوه فقط. كما لو أنه أمر طبيعي. وهو طبيعي. إنه، بطريقة أو بأخرى، أكثر أمر طبيعي في العالم.

مشى متثاقلاً منتفخ العينين، وفكّه متدلٍ في الهواء، والمطر ينهمر عليه. ظنَّ للحظة ضبابية خاطفة أنه رأى شخصاً يعرفه، يعرفه جيداً مثلما يعرف نفسه، يبكي ويومئ في الظلمة أمامه، لكن لا فائدة. لا يمكنه الاستمرار.

سيُخبر ستابنز ببساطة. كان أمامه بمسافة صغيرة، وأصبح يعرج كثيراً الآن، ويبدو هزيلاً. كان غارّاتي مُتعَباً جداً، لكنه لم يعد خائفاً. شعَر بهدوء. شعَر أنه بخير. أجبرَ نفسه على الإسراع إلى أن يستطيع وضع يده على كتف ستابنز. "ستابنز"، قال.

استدار ستابنز ونَظَر إلى غارّاتي بعينين ضخمتين عائمتين لم تريا شيئاً للحظة. ثم تعرَّف عليه ومدَّ يده وشدَّ قميص غارّاتي، ممزِّقاً إياه. صَرَخ الحَشد غاضباً من هذا التدخّل، لكن فقط غارّاتي كان قريباً كفاية ليرى الرعب في عيني ستابنز، الرعب، العتمة، وفقط غارّاتي عرِف أن إمساك ستابنز به كان آخر محاولة يائسة لطلب النجدة.

"آه يا غارّاتي!"، بكى، ثم سقَط.

أصبح صوت الحَشد رؤيوياً الآن. كان صوت جبال تتهاوى، وكوكب الأرض يتحطّم. الصوت سحقَ غارّاتي بسهولة. كان ليقتله لو سمعه. لكنه لم يسمع شيئاً سوى صوته.

"ستابنز؟"، قال بفضول. انحنى وتمكَّن من قَلب ستابنز بطريقة ما. كان ستابنز لا يزال يحدِّق فيه، لكن اليأس كان قد تلاشى من قبل. تدحرَج رأسه على عنقه كأنه خالٍ من أي عظام.

وَضَع يداً كُوبيّة الشكل أمام فم ستابنز. "ستابنز؟"، قال مجدداً.

لكن ستابنز كان قد مات.

فَقَد غارّاتي اهتمامه فيه. وقف على قدميه وبدأ يسير. وعمّت الهتافات الآن وملأت الألعاب النارية السماء. أمامه، زأر جيب نحوه.

ممنوعة كل المركبات على الطريق أيها المغفَّل اللعين. إنها جريمة عقوبتها الإعدام. يمكنهم أن يطلقوا النار عليك.

وَقَف الرائد في الجيب، مؤدّياً تحيةً صارمةً. جاهزاً ليحقّق أول أمنية، كل أمنية، أي أمنية،

الأمنية بالموت. الجائزة.

خلفه، انتهوا بإطلاق النار على ستابنز الميت من قبل، ولم يبقَ أحد سواه الآن، لوحده على الطريق، يسير نحو المكان الذي توقف فيه جيب الرائد قطرياً على الخط الأبيض، وكان الرائد يخرج منه، متوجّهاً نحوه، بوجه حنون وغير مقروء خلف النظارات الشمسية المرآوية.

تنحّى غارّاتي جانباً. لم يكن لوحده. لقد عاد الشكل الداكن، أمامه، ليس بعيداً، يومئ له. لقد عرِف ذلك الشكل. إذا استطاع أن يقترب منه قليلاً، سيتمكن من تمييز ملامحه. أي واحد لم يهزمه؟ هل كان باركوفيتش؟ كولي باركر؟ بيرسي مهما–يكن–إسمه؟ مَن كان؟

"غارّاتي!"، صَرَخ الحَشد بانفعال كبير. "غارّاتي، غارّاتي، غارّاتي!".

هل كان سكرام؟ غريبل؟ دايفدسون؟

يد على كتفه. هزَّ غارّاتي كتفه ليتخلّص منها. أومأ الشكل الداكن، أومأ في المطر، أومأ له أن يأتي ويسير، أن يأتي ويلعب اللعبة. وكان قد حان وقت البدء. كان لا يزال هناك الكثير ليسيره.

بعينين عمياوين، امتدت يدان متضرِّعتان أمامه كما لو أنها تطلب صَدَقة. سار غارّاتي نحو الشكل الداكن.

وعندما لمست اليد كتفه مرة أخرى، لم يعرف كيف وجد القوة ليركض.